

البناية في شرح الهداية

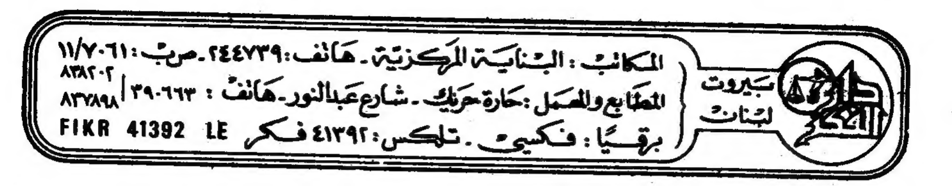
لأبي محمد محمود بن أحمد العيني

المولوى محمد عمر الشهير بناصر الإسلام الرامفوري

تنبيه: متن الهداية في رأس الصفحة بحرف كبير وشرح البناية للعيني تحته ثم تعليقات المولوي محمد عمر مفصولاً بينها بخط.

الجزء الثاني عشر

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع



قام بإخراج هذه الطبعة وتصحيحها

دار الفكر ببيروت

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الطبعة الثانية : منقحة وبها زيادات

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

المسهمون في إخراج هذا الكتاب

مكتب التوثيق والدراسات في دار الفكر

باب الرهن الذي يوضع على يد العدل

قال وإذ اتفقا على وضع الرهن على يــــد العدل جاز . وقال مالك لا يجوز ، ذكر قوله في بعض النسخ ، لأن يد العدل يــــد المالك ،

(باب الرهن الذي يوضع على يد العدل)

أى هذا باب في بيان حكم الرهن الذي يوضع على يد الراهن ، ولما ذكر حكم الرهن إذا كان في يد المرتهن ذكر حكمه إذا كان في يد العدل،وهو الذي من الراهن والمرتهن يكون الرهن في يده ، لأنه نائب عن المرتهن ، والنائب يقوم مقام المنوب لا محالة .

(قال) أى القدورى (وإذا اتفقا) أى الراهن والمرتهن (على وضع الرهن على يــد العدل جاز) وهو قول اكثر اهل العلم خلاف لابن أبي ليلى والحكم والحــارث العكلي وداود « رح » . قال الحاكم الشهيد في مختصر الكافي وقبض العــدل الرهن بمنزلة قبض المرتهن في حكم صحته وضمانه بالدين إذا هلك بلغنا ذلك عن ابراهيم والشعبي وعطــاء والحسن . وقال ابن أبي ليلى إن هلك في يد العدل لم يبطل الدين ، وإن مات الراهن فالمرتهن أسوة الغرماء فيه .

(قال مالك لا يجوز ذكر قوله) أى ذكر قول مالك (في بعض النسخ) أشار به إلى أن في بعضها ليس كذلك ، فإنه ذكر في المبسوط وشرح الأقطع ابن أبي ليلى بدل مالك . قال الأكمل وكأنه شك في هذه الرواية عن مالــك ، فإن القبض ليس بشرط عنده كما مر في اول هذا الكتاب ، فإنه يثبت ذلك عنده كان عنه روايتان . وقال الكاكي ولمالــك « رح » فيه رواية . وقال الشيخ أبو الفضل الكرماني في إشارات الأسرار والرهن يــتم بقبض العدل خلافاً لمالك ، لأن يده يداً لمالك فلا يتم به الرهن (لأن يد العدل يد المالك) أى الراهن .

ولهذا يرجع العدل عليه عند الاستحقاق فانعدم القبض . ولنا أن يده على الصورة يد المالك في الحفظ ، إذ العين أمانة ، وفي حق المالية يد المرتهن ، لأن يده يد ضمان والمضمون هو المالية فنزل منزلة الشخصين

وفي الكافي هذا الدليل مشعر بأن على قول مالك القبض شرط ، وقد شرط في كتبه شرط فيمكن أن يكون له روايتان حتى يصح ذلك ، ولكن انه لا خلاف لمالك فى جواز وضعه على يد العدل . قلت ذكر مالك وفي المدونة ولا يتم رهن إلا بقبضه .

(ولهذا) أى ولكون يد العدل يد المالك (يرجع العدل عليه) أى على الراهن (عند الاستحقاق) يعني إذا هلك الرهن في يد العدل ثم استحق وضمن العدل قيمته يرجع على الراهن بما ضمن ، ولو لم يكن يده يد الراهن لما رجع (فانعدم القبض) إيضاحه أن رجوع العدل على الراهن عند الاستحقاق لوقوع الفعل له ، يدل على أن الرهن غير مقبوض ، لأن الاصل أن ما عمل عمل الإنسان بأمره ولحقه الغرم يرجع على الذي وقع له العمل ، وهنا يرجع على الراهن بعدم القبض ، فإذا كان كذلك لا يجوز وضعه على يد العدل ، لأن وجود الرهن بقبض المرتهن ولم يوجد لا حقيقة ولا تقديراً ، لأن العدل نائب عن الراهن لا عن المرتهن ، لأن المالك هو الراهن ، لأن المرتهن كيف يكون نائباً عن المرتهن ، والعدل نصب ليحفظ عنه في حال لا يؤتمن عليه ، ولهذا لحقه ضمان بأن هلك في يده ثم جاء مستحق يرجع به على الراهن دون المرتهن .

(ولنا أن يده) أى يد العدل (على الصورة) يعني بالنظر إلى الظاهر (يد المالك في الحفظ إذ العين امانة وفي حق المالية يد المرتهن ، لأن يده يد ضمان والمضمون هو المالية) إذ الإستيفاء يكون منها (فنزل) أى العدل (منزلة الشخصين) لا يجوز أن تجعل اليد الواحدة في الحكم بدين كمن أدى ماله إلى الساعي قبل الحول يده يد المالك من وجه ، حتى لو انتقض النصاب لو هلك قبل الحول له أن يشترط المؤدى إذا بقي في يده ويد الفقير من وجه ، حتي لو هلك المؤدي في يده وبقي النصاب إلى آخر الحول يقع المؤدى

تحقيقاً لما قصداه من الرهن ، وإنمـــا يرجع العدل على المالك في الإستحقاق ، لأنـــه نائب عنه في حفظ العين كالمودع . قـال وليس للمرتهن ولا للراهن أن يأخـذه منـه لتعلق حق الراهن في الحفظ بيده أمانته ، وتعلق حق المرتهن به استيفاء فلا يملك أحدهما إبطال حق الآخر . فلو هلك في يـــده هلك في ضمان المرتهن ، لأن يده في حق المالية يـد المرتهن وهي المضمونة . ولو دفـــع العدل إلى الراهن أو المرتهن ضمن، لأنه مودع الراهن في حق العين ومودع المرتهن في حق المالية وأحدهما

زكاة كما لو دفعه إلى الفقير (تحقيقاً لما قصداه من الرهن) يعني لأجل تحقيق ما قصداه ، لأن غرضهما تحقيق عرض عقد الرهن .

(وإنما يرجع العدل على المالك) هذا بيان لقوله ولهذا يرجع العدل عليه ، توضيحه أن رجوع العدل على المالك (في الاستحقاق ، لأنه نائب عنه) أى لأن العـدل نائب عن المالك (في حفظ العين) في حال لا يؤتمن عليه (كالمودع) إذا كانت الوديعة في يده ثم استحقت ضمن المودع ، ثم يرجع على المودع .

(قال) أى القدوري (وليس للمرتهن ولا للراهن أن يأخذه منـه) أى أن يأخذ الرهن من العدل (لتعلق حق الراهن في الحفظ بيده أمانته) أى أمـانة العدل (وتعلق حق المرتهن به استيفاء) أى من حيث الاستيفاء (فلا يملك احدهما) أى الراهن أو المرتهن (إبطال حق الآخر ، فلو هلك في يده) أي فلو هلك الرهن في يد العدل (هلك في ضمان المرتهن ، لأن يده) أي يد العدل (في حق المالية يد المرتهن وهي المضمونة) أى يد المرتهن في حق المالية مضمونة بالاقل من قيمة الرهن ومن الدين .

(ولو دفع العدل إلى الراهن أو إلى المرتهن ضمن ، لأنه) أي لأن العـدل (مودع الراهن في حق العين ومودع المرتهن في حق الماليـــة وأحدهما) أى الراهن أو المرتهن

أجنبي عن الآخر والمودع يضمن بالدفع إلى الأجنبي ، وإذا ضمن العدل قيمة الرهن بعدما دفع إلى أحدهما وقـــد استهلكه المدفوع إليه أو هلك في يده لا يقدر أن يجعل القيمة رهناً في يده، لأنه يصير قاضياً ومقتضياً له، وبينهما تناف ، لكن يتفقان على أن يأخذاهـــا منه ، ويجعلاه رهناً عنده أو عند غيره . ولو تعذر اجتماعهما يرفع أحدهما إلى القاضي ليفعل كذلك . ولو فعل ذلك ثم قضى الراهن

(أجنبي عن الآخر والمودع يضمن بالدفع إلى الاجنبي) وإذا كان العـدل رجلين والرهن مما لا يقسم فوضعاه عند احدهما كان جائز ، ولا ضمان فيه ، لأنهما أتيا بالحفظ المطلوب ، وإن كان مما لا يقسم فاقتسماه فوضعاه عند احدهما ضمن الذي وضع حصته عند صاحبه في قول أبي حنيفة . وقالا لا ضمان عليه ، وقد مر في كتاب الوديعة .

(وإذا ضمن العدل قيمة الرهن بعدما دفع إلى احدهما) أى إلى الراهن أو المرتهن (وقد استهلكه المدفوع اليه) وهو الراهن أو المرتهن (أو هلك في يديه) أى في يد المدفوع اليه (لا يقدر) أي العدل (أن يجعل القيمة رهناً في يده) أي في يـــد نفسه (لأنه) أي لأن العدل حينئذ (يصير قاضياً) أي ما وجب عليه بالضمان (ومقتضياً له ، وبينهما تناف) لكون الواحد مسلماً ومسلماً اليه (لكن يتفقـــان) أى الراهن والمرتهن (على أن يأخذاها) أى القيمة (منه) أى العدل (ويجعلاها) أى القيمـــة (رهناً عنده) أي العدل (أو عند غيره) .

(وإذا تعذر اجتماعهما) أى اجتماع الراهن والمرتهن(يرفع) أي العدل هكذا قاله الكاكي وغيره (احدهما) إما الراهن أو المرتهن . قال الاترازي احدهما برفع الدال ، لأنه فاعل وظن بعضهم ان احدهما منصوب ، يعني أن العدل برفع احدهما وذاك ليس بشيء،لأن العدل هو ضامن القيمة فبعيد أن يرفع الضامن لمطالبة نفسه الخصم إلى القاضي. قلت هذا ليس بوجه أنه ليس بعيد من العدل ما نفاه عنه (إلى القاضي ليفعل كذلك) يعني يأخذ القيمة الواجبة على العدل بالضمان منه ، ثم يصير رهناً عنده .

الدين وقد ضمن العدل القيمة بالدفع إلى الراهن فالقيمـــة سالمة له لوصول المرهون إلى الراهن، ووصول الدين إلى المرتهن ولا يجتمع البدل والمبدل في ملك واحد، وإن كان ضمنها بالدفع إلى المرتهن فالراهن يأخذ القيمة منه، لأن العين لو كانت قائمة في يده يأخذها إذا أدى الدين فكذلك يأخذ ما قام مقامها ولا جمع فيـــه بين البدل والمبدل. قال وإذا وكل الراهن المرتهن أو العدل أو غيرهما ببيع الرهن عند حلول الدين فالوكالة جائزة، لأنه توكيل ببيع مــاله. وإن شرطت في عقد الرهن فليس للراهن أن يعزل الوكيل وإن

(ولو فعل) أي القاضي (ذلك ثم قضى الراهن الدين وقد ضمن العدل القيمة بالدفع إلى الراهن فالقيمة سالمة له) أي للعدل (لوصول المرهون إلى الراهن، ووصول الدين إلى المرتهن، فلا يجتمع البدل والمبدل في ملك واحد) لأنه إذا أخذ الراهن القيمة يلزم اجتماع البدل والمبدل في ملك رجل واحد.

(وإن كان) العدل (ضمنها بالدفع إلى المرتهن فالراهن يأخـــذ القيمة منه) أي من العدل (لأن العين لو كانت قائمة) فيه بين البدل والمبدل، لأن العين لو كان قائماً (في يده يأخذها إذا أدى الدين فكذلك يأخـــذ ما قام مقامها ولا جمع بين البدل والمبدل) يعني لا يجمع هذا البدل والمبدل في ملك واحد ثم هلك يرجع العدل بذلك على المرتهن. قال في الذخيرة إن كان العدل رفع الرهن إلى المرتهن العارية أو الوديعـــة وهلك في يده لا يرجع وإن استهلكه المرتهن يرجع عليه.

(قال) أي القدوري (وإذا وكل الراهن المرتهن أو العدل أو غيرهما) أي وكل غير المرتهن والعدل (ببيع الرهن عند حلول الدين، فالوكالة جائزة) ولا خلاف فيه للأئمـــة الثلاثة (لأنه توكيل ببيع ماله وإن شرطت) أي الوكالة (في عقد الرهن فليس للراهن أن يعزل الوكيل وإن عزله لم ينعزل) وعند الشافعي رحمه الله ينعزل وبه قال أحمـــد

أي: دعوت لك بأن يحييك الله، لاتكالك على إجابة دعوتك، كأنك تبقيه على حياته، وكذلك: عمّرك الله وعمّرتك، وسقاك الله وسقيتك. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 56] أي: ادعوا الله بأن يصلي عليه. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة. ويُروى: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56] قال أبو بكر رضي الله عنه: ما خصّك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه؛ فأنزلت. ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يُحيّون يوم لقائه بسلام. فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم، كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلًا كاللقاء على ما فسرنا. وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم، وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: 23-24]، و«الأجر الكريم»: الجنة.

وقال القاضي: الفعل ههنا بمعنى الاعتناء، والمراد بالصلاة المشترك، وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة. وقيل: الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود[1].

وقلت: هذا التأويل أولى لقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولذلك اختاره المصنف، ونصّ عليه بقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة. والتأويل الأول أي: ظهور الشرف أنسب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية.

---

(1) أنوار التنزيل (4/ 236).

[﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]]

﴿شَاهِدًا﴾ على من بُعثت إليهم، وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي: مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم، كما يُقبل قول الشاهد العدل في الحكم. فإن قلت: وكيف كان شاهداً وقت الإرسال، وإنما يكون شاهداً عند تحمل الشهادة أو عند أدائها؟ قلت: هي حال مقدّرة كمسألة «الكتاب»: مررت برجل معه صقرٌ صائداً به غداً، أي: مقدّراً به الصيد غداً. فإن قلت: قد فُهم من قوله: إنا أرسلناك داعياً أنه مأذونٌ له في الدعاء، فما فائدة قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾؟ قلت: لم يُرد به حقيقة الإذن، وإنما جعل الإذن مستعاراً للتسهيل والتيسير؛ لأن الدخول في حق المالك متعذّر، فإذا صُودف الإذن تسهّل وتيسّر، فلما كان الإذن تسهيلاً لما تعذّر من ذلك وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمرٌ في غاية الصعوبة والتعذر، فقيل: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ للإيذان بأن الأمر صعبٌ لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهّله الله ويسّره. ومنه قولهم في الشحيح: إنه غيرُ مأذونٍ له في الإنفاق، أي: غير مسهّل له الإنفاق؛ لكونه شاقاً عليه داخلاً في حكم التعذر. جلّى به الله ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يُجلّى ظلام الليل بالسراج المنير ويُهتدى به، أو أمدّ الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار. ووصفه بالإنارة؛ لأن من السُّرج ما لا

قوله: (جلّى به الله ظلمات الشرك) اعلم أن قوله: «سراجاً منيراً» موقعه موقع المشبّه به، والمشبّه المخاطب في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، وهو على وجهين: أحدهما: أن يكون من التشبيه المركب العقلي، شبّهه سبحانه وتعالى بالسراج المنير في أنه جلّى به الظلمة واهتدى به الضالون.

وثانيهما: أن يكون من التمثيل، وهو أن يكون الوجه منتزعاً من عدة أمور متوهمة، [illegible] أحدهما: قوله: أمدّ الله بنور نبوته نور البصائر، [illegible] وهو أن يكون الثاني [illegible] المشبّه به حسياً والمشبّه عقلياً.

تضيء إذا قلّ سليطه ودقّت فتيلته. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تضني: رسولٌ بطيء، وسراجٌ لا يضيء، ومائدةٌ يُنتظر لها من يجيء. وسُئل بعضهم عن الموحشات؟ فقال: ظلامٌ ساتر، وسراجٌ فاتر. وقيل: وذا سراج منير، أو وتاليًا سراجًا منيرًا. ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾.

قوله: (ومائدةٌ يُنتظر) أنشد في معناه:

أشدُّ شيءٍ في الناس [illegible] ... حرق الجماعة بانتظار الواحد[1]

قوله: (وقيل: وذا سراج منير) قال الزجاج: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: وكتابًا مبينًا، المعنى: أرسلناك شاهدًا وذا سراج منير، أي: وذا كتاب نيّر، وإن شئت كان ﴿وَسِرَاجًا﴾ منصوبًا على معنى: وداعيًا وتاليًا كتابًا بيّنًا[2]. وقال أبو البقاء: والسراج اسمٌ للتسريج وليس بالمصدر[3].

قوله: (ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على الكاف ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾) يعني: تفسير (ذا سراج) أو (وتاليًا سراجًا). قال صاحب «التقريب»: لم يجز أن يكون حال الإرسال ذا سراج وتاليًا له ليصحّ تقدير (أرسلناه به)؛ أما على الأول: فهو أنه سراجٌ احتفّ به [illegible] فلا يصحّ تقدير (أرسلناه معه)، وأما [illegible] حال الإرسال كان من قصدنا كونه كذلك، فيجوز أن يعطف على الأحوال المقدرة قبله، ويجوز أن يكون مراده أن السراج الذي أُرسل به القرآن فيعطف على الكاف، أي: أرسلناك والقرآن، ويتمّ معه، وإلا فالقرآن لم يكن مرسلًا. وقيل: عكسه: «وأنزل معه الكتاب»[4] على معنى: أنزل معه نبوته، لأن [illegible] مصحوبًا بالقرآن متشرفًا به. والتحقيق أن هذا يعطفه من قبيل:

علفتها تبنًا وماءً [illegible]

---

(١) البيت لابن المعتز. انظر: التمثيل والمحاضرة (ص ١٧٨).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٣٠).
(٣) التبيان في إعراب القرآن [illegible].
(٤) [illegible] ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [illegible].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [٤٧]

الفضل: ما يتفضّل به عليهم زيادة على الثواب، وإذا ذكر المتفضّل به وكبّره فما ظنّك بالثواب؟ ويجوز أن يريد بالفضل: الثواب، من قولهم للعطايا: فضول وفواضل. وأن يريد أنّ لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم، وذلك الفضل من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضّلهم به.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [٤٨]

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ معناه: الدوام والثبات على ما كان عليه، أو التهييج. ﴿أَذَاهُمْ﴾ يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول، يعني: ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل، وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله في باطنهم. أو: ودع ما يؤذونك به ولا

وإذا [illegible] من أحوال (١) [illegible] يعني به القرآن، [illegible] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾ [illegible] من أحواله الثابتة [illegible] رسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] رسول الله ﷺ المتصف بتلك الصفات الكاملة [illegible] من الخلق الكريم والشيمة [illegible] عليه [illegible].

قوله: (الفضل: ما يتفضّل به عليهم زيادة على الثواب) [illegible] زيادة [illegible].

قوله: (وإذا ذكر [illegible] فما ظنّك بالثواب؟) أي: [illegible] المتفضّل به بالكبر في قوله: ﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

قوله: (معناه الدوام والثبات على ما كان عليه) أي: من عدم إطاعته [illegible] فهو [illegible].

ثم عم نفعه حتى تم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي منسوخة بآية السيف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يكفيكهم، وفي نسخة: مفوضًا إليه. ولقائل أن يقول: وصفه الله بخمسة أوصاف، وقابل كلًا منها بخطاب مناسب له، فقابل الشاهد بقوله

قوله: (وصفه الله تعالى بخمسة أوصاف وقابل كلًّا منها بخطاب مناسب له) إلى آخره، يعني في غاية من الحسن [illegible] كالكشاف، وهذا قال القاضي: ﴿وَبَشِّرِ﴾ معطوف على محذوف مثل: فراقب أحوال أمتك؛ لأن ما بعد قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ إلى آخره كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين، والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم، والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه، والسراج المنير بالاكتفاء به، فإن من أناره الله برهانًا على جميع خلقه كان حقيقًا بأن يكتفى به عن غيره[1].

ومما يناسب تفسير هذه الآية ما رواه البخاري والإمام أحمد بن حنبل عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة[2] قال: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا[3].

وقد رواه الدارمي بنحوه عن عبد الله بن سلام.

مقابلة [illegible] للمؤمنين [illegible] لقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بتيسيره وتسهيله، قال: (قوله صلوات الله عليه [illegible]) [illegible] فكان صلوات الله عليه [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٧] لأنه يكون شاهداً على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم، وهو الفضل الكبير، والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين؛ لأنه إذا أعرض عنهم أقبل بجميع إقباله على المؤمنين، وهو مناسب للبشارة، والنذير بدفع أذاهم؛ لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر، والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل، كانوا منذرين به في المستقبل، والداعي إلى الله بتيسيره بقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٨] من توكل على الله يسّر عليه كل عسير، والسراج المنير بالاكتفاء به؛ ولأن الأمر إذا كان الله شاهداً على جميع خلقه، كان جديراً بأن يُكتفى به عن جميع خلقه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٤٩]

وقوله: «سميتك المتوكل» إلى آخر الحديث مقابل لقوله: «أنت عبدي».

فاعلم أن قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مناسب لقوله: ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾؛ فإن السراج مضيء في نفسه ومنوّر لغيره، فكونه متوكلاً على الله يكون نوراً في نفسه، فهو مناسب لقوله: «أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل» إلى قوله: «ويصفح»، وكونه منيراً يفيض الله عليه يكون نوراً لغيره، وهو مناسب لقوله: «حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً». هذا معنى قول المصنف: فإذا كان الله شاهداً على جميع خلقه، كان جديراً بأن يُكتفى به عن جميع الخلق، والله أعلم.

ويمكن أن تُنزّل الآيات على لسان أهل العرفان بقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ هو مقام الشريعة ودعوة الناس إلى الإيمان وترك الكفر، ونتيجة بشارة من آمن ونذارة من أعرض، وقوله: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ هو مقام الطريقة ونتيجة الإعراض عما سوى الله، والأخذ في السير والسلوك والانجذاب إلى حرم لطفه والتوكل عليه، وقوله: ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ هو مقام الحقيقة ونتيجة فناء السالك وبقائه بقيوميه، وكفى بالله وكيلاً، والله أعلم بمراده من كلامه.

النكاح: الوطء، وتسمية العقد نكاحاً لملابسته له من حيث إنه طريق إليه، ونظيره تسميتهم الخمر إثماً لأنها سبب في اقتراف الإثم، ونحوه في علم البيان قول الراجز:

أسنمة الآبال في سحابه

سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته. ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد، لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمباشرة والقربان والتغشي والإتيان.

قوله: (تسميتهم الخمر إثماً) قال:

شربت الإثم حتى ضل عقلي ... كذاك الإثم يذهب بالعقول

قوله: (أسنمة الآبال في سحابه) قبله:

أقبل في المستن من ربابه

[illegible](1)

قوله: (ومن آداب القرآن الكناية عنه) أي: الوطء، بلفظ الملامسة ونحوه احترازاً من الاستهجان. فإن قيل: هذا لا يناسب قوله: «ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا بلفظ العقد»، لأن الكناية أن يعدل من اللفظ الموضوع لمعنى إلى ما يستلزمه، ورعاية الأدب العدول عن لفظ فيه شناعة إلى ما ليس كذلك، كالملامسة والمباشرة والقربان والغشيان، لا إلى لفظ ليس فيه شناعة كالعقد إلى ما فيه شناعة كالوطء. والجواب: أن استعمال النكاح في معنى العقد ليس من الكناية في شيء، بل إنه من الحقيقة الشرعية منقولاً منه لمعنى [illegible] ولا يكاد يفهم منه معنى الوطء إلا بقرينة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [illegible]؟ فعلى هذا قوله: «لأنه في معنى الوطء» [illegible]

---

(1) [illegible]

فإن قلت: لم خص المؤمنات، والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات؟ قلت: في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته، وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة، ويتنزه عن مزاوجة الفواسق، فما بال الكوافر، ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه، فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات. فإن قلت: ما فائدة «ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾؟ قلت: فائدته نفي التوهم عمن عسى أن يتوهم تفاوت الحكم بين أن

معقولة شرعية لا أنه كناية فصيح قوله: وهي آداب القرآن الكناية عنه بالملامسة يعني: لا يراد به الكناية عن الاصطلاح؛ لأن من آداب القرآن عكسه.

قوله: (وهذه فيها تعليم ما هو الأولى)، وبيان الاختصاص أنه في «المائدة» وردت في بيان تحريم ما يجب تحريمه وتحليل ما هو مباح من الأطعمة والأنكحة كما قال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥]، فعلم منها تعليم ما هو جائز غير محرم. وأما اختصاص هذه الآية بما ذكر فهو أنها عقيب قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، فتعطف ختماً إلى ذكر ما هو الأفضل والأولى والأطيب والأزكى بحاله ﷺ من السنة، وما يتعلق بين تضاعيف ذلك مفصل البلاغة.

قوله: (نفي التوهم عمن عسى أن يتوهم) يعني: لا تفاوت في عدم وجوب العدة عليها سواء كانت قريبة العهد بالنكاح أو بعيدته منه، وذلك أن المرأة إذا دام عهدها في حبالة الزوج استأنس كل واحد بصاحبه، وربما توهم الرجل من توهم علقة الزوجية وقد تقرر عنده أن العدة حق واجب للنساء على الرجال فيجيء بـ«ثم» ليزيل ذلك التوهم وبيان أن العلقة إنما تثبت بالدخول. قال القاضي: فائدة «ثم» إزاحة ما عسى يتوهم متوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة(١).

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٣٨).

يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح، وبين أن يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها. فإن قلت: إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس، هل يقوم ذلك مقام المساس؟ قلت: نعم عند أبي حنيفة وأصحابه؛ حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس. وقوله: ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال. ﴿تعتدونها﴾ تستوفون عددها، من قولك: عددت الدراهم فاعتدها، كقولك: كلته فاكتاله، ووزنته فاتزنه. وقرئ: (تعتدونها) مخففًا، أي: تعتدون فيها، كقوله:

ويوم شهدناه

والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

قوله: (في حبالة الزوج) الحبالة: الحبالة التي يصاد بها.

قوله: (نعم عند أبي حنيفة وأصحابه) قال القاضي: ظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة.

قوله: (﴿تعتدونها﴾ تستوفون عددها) أي: تعدونها عليهن. قال أبو البقاء: ﴿تعتدونها﴾ تفتعلونها من العدد، أي: تعدونها عليهن، وموضعه جر على اللفظ أو رفع على الموضع[1].

قوله: (وقرئ: ﴿تعتدونها﴾ مخففًا) وهو من الاعتداء، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، أي: لتظلموا.

قوله: (ويوم شهدناه) تمامه:

سليمًا وعامرًا ... قليل سوى الطعن النهال نوافله[2]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

فإن قلت: ما هذا التمتيع؟ أواجبٌ أم مندوبٌ إليه؟ قلت: إنْ كانت غيرَ مفروضٍ لها كانت المتعةُ واجبةً، ولا تجب المتعةُ عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات، وإن كانت مفروضاً لها فالمتعةُ مختلفٌ فيها: فبعضٌ على الندب والاستحباب، ومنهم أبو حنيفة، وبعضٌ على الوجوب. ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب.

قوله: (إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة)، قال القاضي: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: إن لم يكن مفروضاً لها، فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة، ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما، أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب، فإن المتعة سنة للمفروض لها[1]، وقد مرّ في البقرة.

قوله: (﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار)، الراغب: السَّرح: شجر له ثمر، الواحدة سرحة، وسرّحت الإبل: أن ترعيه السرح، ثم جعل لكل إرسال في الرعي، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، والتسريح في الطلاق مستعار من تسريح الإبل، كالطلاق في كونه مستعاراً من إطلاق الإبل، واعتبر في السرح المضيّ، فقيل: ناقة سُرُح: تسرح في سيرها، ومضى سرحاً سهلاً، والمنسرح: ضربٌ من الشعر استعير لفظه من ذلك[2].

وقلت: ولعل السرّ أن ربط هذه الآية بما قبلها كالتمهيد للشروع في نوع آخر من شرعة النبي ﷺ وخصائصه، وهو استبدال الله له الأفضل والأولى واستحبابه له الأطيب والأزكى في قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، واختصاصه من دون المؤمنين بنكاح الموهوبة نفسها [illegible] في طلاق غير المدخول بها حيث أسقط حقهم من العدة وأمر بتمتيع المتعة والتسريح الجميل، وهذا بإزاء قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ مختص بهم، هذا ما يتعلق بالآية، والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) انظر: البيضاوي ([illegible]).

(٢) انظر: مفردات الراغب (ص [illegible]).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٥٠]

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن؛ لأنّ المهر أجرٌ على البضع. وإيتاؤها: إمّا إعطاؤها عاجلاً، وإمّا فرضها وتسميتها في العقد. فإن قلت: لم قال: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾، و﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، و﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾؟ وما فائدة هذه التخصيصات؟ قلت: قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى، واستحبه بالأطيب الأزكى، كما اختصه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الأثرة؛ وذلك أنّ تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزاً، وله أن يماسها، وعليه مهر المثل إن دخل بها، والمتعة إن لم يدخل بها. وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم، وما لا يعرف بينهم غيره. وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها، وخطبة سيفه ورمحه، وممّا غنمه الله من دار الحرب أحلّ وأطيب ممّا يشترى من شق الجلب. والسبي على ضربين: سبي طيبة، وسبي خبثة؛ فسبي الطيبة: ما سبي من أهل الحرب. وأمّا من كان له عهدٌ فالمسبيّ منهم

قوله: (من الأثرة) أي: من الخلاصة، والأُثرة بضم الهمزة: الإيثار، والأِثر بالكسر: خلاصة السمن ... (من الأثر) خلاصة.

قوله: (وخطبة سيفه ورمحه) مأخوذ من قول الفرزدق:

وذات حليلٍ أنكحتنا رماحنا ... حلالٌ لمن يبني بها لم تطلّق[1]

---

(١) [illegible]

شيءٍ حِلِّه، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]؛ لأن فيء الله لا يُطلق إلا على الطيِّب دون الخبيث، كما أنَّ رزق الله يجبُ إطلاقُه على الحلال دون الحرام، وكذلك اللاتي هاجرْنَ مع رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضلُ من غير المهاجرات معه. وعن أمِّ هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسولُ الله ﷺ فاعتذرتُ إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية، فلم أحِلَّ له؛ لأني لم أهاجر معه، كنتُ من الطُّلقاء، وأحلَلْنا لك مَن وقع لها أن تهب لك نفسها.

قوله: (وعن أم هانئ)؛ في «جامع الأصول»[1]: هي فاختة بنت أبي طالب، أختُ علي، خطبها النبي ﷺ فقالت: إني امرأةٌ مُصْبِيَةٌ، فاعتذرت إليه فعذرها[2]. وعن الترمذيِّ عن أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ[3] فاعتذرتُ إليه فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، قالت: فلم أكن أحِلُّ له؛ لأني لم أهاجر، وكنتُ من الطلقاء[4].

النهاية: الطلقاء: هم الذين خلَّى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقَّهم، واحدهم طليق، فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أُطلق سبيله.

قوله: (وأحللنا لك مَن وقع لها أن تهب نفسها لك)[5]: إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ على تقدير الفعل. قال صاحب «الكشف»: ما [illegible] ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ [illegible] على

---

(١) [illegible] (الأصول) [illegible].

(٢) «جامع الأصول» (١٢/ [illegible]).

(٣) في (ط): «فقالت: إني امرأة [illegible]».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢١٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» [illegible]، والحاكم في «المستدرك» (٢/ [illegible]).

(٥) في الأصول: «نفسها»، وفي «الكشاف»: «لك نفسها».

ما قبله من قوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وهذا من [illegible]؛ لأن ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ شرط، والشرط لا يصح في الماضي وكذا الجزاء، ألا ترى أنه لو قلت: إن أعطيتني أعطيتك أمس، كانت خطأ، وقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إخبار عن إحلال في الماضي، فلا يصح ذلك الجزاء على التقدير: أحللنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت، ليصح به الجزاء، أو تقول: [illegible] إن وهبت، وأخرج [illegible]، فالوجه.

وعن أبي علي أنه قال: فإن قلت: فإن هذا [illegible] محمول على أنه يحل له امرأة وهبت نفسها له [illegible]، وليس الإحلال [illegible]، فإنه يكون من باب قوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: إن صح أني كنت قلته، فكذلك ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ أي: إن صح أنها وهبت فإنه قد حلت، فهذا معنى هذا الكلام[1].

وقال القاضي: امرأة نصب بفعل يفسره ما قبله، أو عطف على ما سبق، ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال، فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل، أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها، ولا تطلب مهرًا إن اتفق، ولذلك نكرها[2].

وقال أبو البقاء: قيل في ناصب «وامرأة» وجهان: أحدهما: ﴿أحللنا﴾ في أول الآية، وقد رد هذا قوم وقالوا: ﴿أحللنا﴾ ماض، و﴿إن وهبت﴾ وهو صفة المرأة مستقبل، فـ﴿أحللنا﴾ في موضع جوابه، وجواب الشرط لا يكون ماضيًا في المعنى، وهذا ليس بصحيح؛ لأن معنى الإحلال هاهنا الإعلام بالحل إذا وقع الفعل على ذلك، كما تقول: أبحت لك أن تكلم فلانًا إن سلم عليك[3]، وهذه مسألة العدول السابقة في الامتنان.

---

(1) [illegible]

(2) تفسير البيضاوي [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكّرها. واختلف في اتفاق ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكن عند رسول الله ﷺ أحدٌ منهن بالهبة. وقيل: الموهوبات أربع: ميمونةُ بنت الحارث، وزينبُ بنت خُزيمة أمّ المساكين الأنصارية، وأمّ شريك بنت جابر، وخولةُ بنت حكيم رضي الله عنهن. قرئ: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ على الشرط، وقرأ الحسن رضي الله عنه: (أن) بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام، ويجوز أن يكون مصدراً محذوفاً معه الزمان، كقولك: اجلسْ ما دام زيدٌ جالساً، بمعنى: وقتَ دوامه جالساً، ووقتَ هبتها نفسها. وقرأ ابنُ مسعود بغير (إن). فإن قلت: ما معنى الشرط الثاني مع الأول؟ قلت: هو تقييدٌ له، شرط في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ، كأنه قال: أحللناها

قوله: (ميمونة بنت الحارث) في «الحاشية»: تولى عقدها أبو رافع، تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضية بسرف، على عشرة أميال من مكة[1].

قوله: (وزينب بنت خزيمة) في «الحاشية»: زينب بنت خزيمة بنت الحارث العامرية، كانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، قتل عنها يوم أحد، فتزوجها ﷺ سنة ثلاث[2].

قوله: (وأم شريك بنت جابر) في «الحاشية»: قيل: أم شريك غزية بنت جابر، طلقها النبيُّ ﷺ قبل أن يدخل بها، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ[3].

قوله: (وخولة بنت حكيم) في «الحاشية»: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فأرجأها، فتزوجها عثمان بن مظعون[4].

قوله: (وقرئ: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ على الشرط) وهي المشهورة.

---

(١) «حاشية الأصيل» ([illegible]).
(٢) «الحاشية البادي» ([illegible]).
(٣) «الحاشية البادي» ([illegible]).
(٤) «الحاشية البادي» ([illegible]).

لك إن وهبت لك نفسها ولست تريد أن تستنكحها؛ لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم. فإن قلت: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾ ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته. واستنكاحها: طلب نكاحها والرغبة فيه، وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة؛ لأن رسول الله ﷺ وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل، وقال الشافعي: لا يصح، وقد خص رسول الله ﷺ بمعنى الهبة ولفظها جميعاً؛ لأن اللفظ تابع للمعنى، والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج

قوله: (وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته) يعني: في إقامة المظهر موضع المضمر في قوله: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ على أن المراد: إن وهبت نفسها له، وجاز له ذلك دون غيره تكرمة لأجل نبوته، ودل تكرير ذلك في قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ على أن الله تعالى إنما اعتبر إرادته في ذلك لكونه صلوات الله عليه أهلاً لذلك لأجل نبوته، فظهر أن طريق التعليل مختلفة، فكأن النبوة اقتضت ذلك [illegible] الرجوع. وإنما قال: ﴿لِلنَّبِيِّ﴾؛ لأنه لو قيل: إن وهبت نفسها لك، لكان يجوز أن يتوهم أن في الكلام دلالة على أنه يجوز ذلك لغير النبي، كما جاء في ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾[1].

قوله: (وقد خص رسول الله ﷺ بمعنى الهبة ولفظها جميعاً) قال الإمام: قال الشافعي رضي الله عنه: معنى الآية إباحة الوطء بالهبة، وحصول التزوج بلفظها من خواصك[2]. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: تلك المرأة صارت زوجته ومن أمهات المؤمنين لا تحل لغيره أبداً. ويمكن أن يقال: فعلى هذا التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه، فإن أزواجه كلهن خالصات له[3].

---

(1) [illegible]

(2) مفاتيح الغيب [illegible]

(3) [illegible] أبي حنيفة رضي الله عنه [illegible]

في علمي. وقال أبو الحسن الكرخي: إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز، لقوله تعالى: ﴿الَّٰتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾. وقال أبو بكر الرازي: لا يصح؛ لأن الإجارة عقد مؤقت، وعقد النكاح مؤبد، فهما متنافيان. ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد كـ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢] [الروم: ٦] و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]؛ أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصًا، والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين، كالخارج

وقلت: وجه التقرير: أن الله تعالى ذكر في هذه الآية طبقات النساء المحللات للرسول ﷺ، واختصاصهن بما لم يوجد في غيرهن، وهي كونهن أمهات المؤمنين، ولم يذكر في شيء منها لفظًا يتعلق به علاقة الزوجية سوى ما ذكر في هذه الواهبة نفسها، فإنه تعالى لما اكتفى بكونها صائرة من أمهات المؤمنين بسبب إحلال الله إياها كالسوابق، بل صرح بلفظ الهبة، ولو لم يكن له مدخل في الاختصاص لم يكن لذكره فائدة، وللقائل أن يقول: فرق بين هذه الصورة وبين غيرها، فإنه لو لم يذكر لفظ الهبة لم يحصل المقصود، بخلاف غيرها فلذلك ذكره لا أن له مدخلًا في الاختصاص.

قوله: (أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة) يعني: أن ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد لمضامين الجمل، كلها كـ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، فلا تختص بقوله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، كما قال أبو البقاء: ﴿خَالِصَةً﴾ حال من ضمير ﴿وَهَبَتْ﴾ أو صفة لمصدر محذوف[1]. واستدل المصنف لمذهبه بأن قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وارد بعد ذكر الإحلالات التي جمعها معنى الاختصاص برسول الله ﷺ دون المؤمنين، وقيل: اعتراض في ترتيبها له خاصة، ومعروفة مؤكدة لمضمون المعاني كلها لا تختص بواحدة دون واحدة، وهو ما قال: قد علمنا ما فيه مصلحة المؤمنين ففرضناها، وعلمنا ما فيه مصلحة الرسول من الاختصاص ففعلناه. ولو علق ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ بقصة الموهوبة لم يكن ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ معترضًا بل يكون أجنبيًا، والله أعلم.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٥٨).

والتاء... والعاقبة، والخاتمة. والدليل على أنها وردت في أثناء الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله ﷺ على سبيل التوكيد لها قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهي جملة اعتراضية، وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ متصل بـ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية: أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء، وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم، ففرضه، وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله ﷺ بما اختصه به، ففعل. ومعنى ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل، وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات، وزدنا لك الواهبة نفسها. وقرئ: «خالصةٌ» بالرفع، أي: ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين. ومن جعل ﴿خَالِصَةً﴾ نعتًا للمرأة فعلى مذهبه: هذه المرأة خالصة لك من دونهم.

وذكر أيضًا أنها وجدها خالصة لك من دونهم، قال محيي السنة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم من الأحكام: أن لا يتزوجوا أكثر من أربع، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، لكي لا يكون عليك حرج، وهذا يرجع إلى أول الآية، أي: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة؛ لكيلا يكون عليك حرج أي: ضيق[1].

قوله: (وفي دنياك): عطف على «دينك»، يعني: أطلق الحرج ليعمّ له في الدين والدنيا؛ لدلالة سوق الكلام عليه، وأراد بالاختصاص التنزيه ما يدل عليه قوله: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ من أنه لا اختيار التسمية ولا تعجيل المهر، وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من أنه لا يكون مشتراة بالغريبة، وباختصاص ما هو أولى ما [illegible] قوله: ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فإن المهاجرات [illegible] من قرابته أفضل من غير المهاجرات.

---

(١) معالم التنزيل ([illegible]).

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة على عباده.

وروي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وقطن رسول الله ﷺ، فهجرهن شهرًا ونزل التخيير، فأشفقن أن يطلقهن، فقلن: يا رسول الله، افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت.

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إني أرى ربك يسارع في هواك.

﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [٥١]

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب، [illegible] أن قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وارد على سبيل التذييل للآية أجمعها، مقصود بها رفع الحرج عن حضرة الرسالة في أمور النساء، كما قال الواحدي[1]، فيجري بالمناسبة العامة في نفي الحرج عن جميع المكلفين في الدين لسعة الرحمة، فيدخل فيه أمر الرسول ﷺ [illegible].

قوله: (وقطن رسول الله ﷺ) [illegible]

قوله: (إني أرى ربك يسارع في هواك)، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[2].

---

(1) «التفسير الوسيط» (٣/ ٤٨٠).

(2) أخرجه البخاري (٤٧٨٨) ومسلم (١٤٦٤).

﴿ترجي﴾ بهمز وغير همز: تؤخر ﴿وتؤوي﴾ تضم، يعني: تترك مضاجعة من تشاء منهن، وتضاجع من تشاء، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء، أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت، أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت. وعن الحسن رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها. وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض؛ لأنه إما أن يطلق، وإما أن

قوله: (﴿ترجي﴾ بهمز وبغير همز)[1]: بالهمز: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر، والباقون بغير همز[2]. قال الزجاج: الهمز أجود وأكثر، والمعنى واحد، يقال: أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته[3].

قوله: (وهذه قسمة جامعة) قال صاحب «التقريب»: أي: حاصرة؛ لأنه إما أن يطلق أو يمسك، فإذا أمسك ضاجع أو لا، قسم أو لا، وإن طلق فإما أن يخطبها أو لا، [illegible] من قوله تعالى: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ أي: إنك [illegible] بعد العزل فلا جناح عليك[4].

والظاهر أن الزجاج[5] والواحدي[6] والبقاعي[7] جعلوا ﴿فلا جناح﴾ خبرًا لقوله: ﴿ومن ابتغيت﴾ فقط، أي: إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت فلا حرج عليك ولا جناح، [illegible] إذا أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن أرجيتهن من القسم وتضمها إليك

---

(١) [illegible] في بعض النسخ [illegible]
[illegible]
(٢) انظر: الحجة للقراءات السبعة [illegible]
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣٣).
(٤) [illegible]
(٥) معاني القرآن وإعرابه [illegible]
(٦) التفسير البسيط [illegible]
(٧) [illegible]

أمسكت فإنما أمسكت صاحبة أو تركت، وقسمت أو لم تقسم، وإذا طلّق وعزل فإمّا أن لم يخلِّ المعزولة لا تبتغيها أو تبتغيها. وروي: أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة، فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء، وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضي الله عنهن، أرجأ خمساً وآوى أربعاً.

وروي: أنه كان يسوّي مع ما أُطلق له وخُيّر فيه إلا سودة، فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلّقني حتى أحشر في زمرة نسائك. ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك ﴿أَدْنَىٰ﴾ إلى قُرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً؛ لأنه إذا سوّى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء، وارتفع التفاضل، ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى، وعلمن أن هذا التفويض من عند الله بوحيه، اطمأنت نفوسهن، وذهب التنافس والتغاير، وحصل الرضا، وقرّت العيون، وسلت القلوب. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وعيد لمن لم ترضَ منهن بما دبّر الله من ذلك وفوّض إلى مشيئة رسول الله ﷺ، وبعثٌ على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله ﷺ وما فيه طيب نفسه. وقرئ: «تُقَرَّ أعينَهن» بضم التاء ونصب

فلا تسأل عليك لوم ولا عتب، فجعل الجملة الشرطية عطفاً على قوله: ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ وسبباً لقوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ ولم تدل الفاء العاطفة، والمصنف الشرط، وثبت أنه قسيم ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ أو لا، فالوجوه الأربعة الماضية من تقسيم التقسيم الحاصر على الوجه الثاني على طريقة الجمع من الوجوه الأربعة المتضادة نظير قوله: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ منها على أن لم تريقهن ... تعلقه التمني ... قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ﴾ معنى يشمل المعزولة غير المعزولة وها أيضاً استيعاب ذلك التقسيم فمحتمل ... أو في الوجوه المذكورة للتسوية لا عند الإباحة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]، وقوله: ... أرجأ منهن ... إلى آخره، بيان للبعض ممن وقع إليه التقسيم

(الأحزاب)، و﴿أقرّ أعينهن﴾ على البناء للمفعول، ﴿وكان الله عليما﴾ بذات الصدور، ﴿حليما﴾ لا تعاجل بالعقاب، فهو حقيق بأن يُتقى ويُحذر. ﴿كلهن﴾ تأكيد لنون ﴿يرضين﴾. وقرأ ابن مسعود: (ويرضين كلهن بما آتيتهن) على التقديم. وقرئ: (كلهن) بالنصب تأكيدا لـ ﴿هن﴾ في ﴿آتيتهن﴾.

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ [٥٢]

﴿لا يحل﴾ وقرئ بالتذكير؛ لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وإذا جاز بغير فصل [illegible]

قوله: (وقرئ: «كلهن» بالنصب تأكيدا لـ﴿هن﴾ في ﴿آتيتهن﴾)، قال ابن جني: وهي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥] كان مع القطع الأول. ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد التسع؛ لأن التسع نصابُ رسول الله ﷺ من الأزواج، كما أن الأربع نصابُ أمته منهن، فلا يحلُّ له أن يتجاوز النصاب. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾: ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أخر بكلّهن أو بعضهن، أراد الله لهن كرامةً وجزاءً على ما اخترن ورضين، فقصر رسول الله ﷺ عليهن، وهن التسع اللاتي مات عنهن: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أم حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بنت زمعة، أم سلمة بنت أبي أمية، صفية بنت حُيي الخيبرية، ميمونة بنت الحارث الهلالية، زينب بنت جحش الأسدية، جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن. و«من» في ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ لتأكيد النفي، وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم. وقيل: معناه: لا تحلُّ لك

قوله: (وقيل: معناه: لا تحل لك النساء) معطوفٌ على قوله: «من بعد التسع»، والفرق أن الأول فيه حكمان: عدم جواز الزيادة على التسع وتحريمُ التبديل، والثاني فيه حُكمٌ واحد، وهو تحريم غير ما نص عليه من الأجناس الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ ثانيةٌ مؤكدة، فيجوز أن يزيد على العدد، وأن يبدل بكلّهن أو بعضهن من جنس ما نص عليه. نقل عنه ما روي عن أبي صالح: أُمِرَ أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاث مئة. فقول المصنف: «من الأعرابيات والغرائب» بيانٌ للنساء في ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾، وقوله: «من الأجناس الأربعة» بيانٌ للستة اللاتي نُصَّ على إحلالهن، والأعرابيات في مقابلة المهاجرات، والغرائب في مقابلة أقاربه، والكتابيات في مقابلة امرأة مؤمنة، والإماء بالنكاح في مقابلة ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾.

فإن قلت: ما فائدة الاختصاص [illegible] في العموم [illegible] في قوله

(١) «مسند أحمد» ([illegible]).

النساء من بعد النساء اللاتي نُصَّ إحلالُهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب، أو من الكتابيات، أو من الإماء بالنكاح. وقيل في تحريم التبدُّل: هو من البدل الذي كان في الجاهلية؛ كان يقولُ الرجلُ للرجل: بادلني بامرأتك وأُبادلك بامرأتي، فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه. ويُحكى: أنَّ عُيَينة بن حصن دخل على النبي ﷺ وعنده عائشةُ من غير استئذان، فقال رسول الله ﷺ: «يا عُيينةُ، فأين الاستئذان؟»، قال: يا رسول الله، ما استأذنت على رجل قطُّ من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراءُ إلى جنبك؟ فقال ﷺ: «هذه عائشة أم المؤمنين»، قال عُيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال ﷺ: «إن الله قد حرَّم ذلك»، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: من هذا يا رسول الله؟ قال: «أحمق مُطاع، وإنه على ما ترين لسيِّدُ قومه». وعن عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحلَّ له النساء. تعني: أن الآية قد نُسخت، ولا يخلو نسخها: إما أن يكون بالسُّنة، وإما بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ في موضع الحال من الفاعل، وهو الضمير في ﴿تَبَدَّلَ﴾، لا من المفعول الذي هو ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾.

«أو من الكتابيات أو من الإماء» دون الثاني، والأصل الواو؟ قلت: الوجه ما [illegible] والجمع بين الأقوال، فالواو في «والغرائب» إشارة إلى قول أبي صالح: أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، و«أو» في «أو من الكتابيات» مشيرة إلى ما روي عن مجاهد: أن معناه: لا يحلُّ لك اليهوديات والنصرانيات، ولا أن تبدَّل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى[1]، إلا ما ملكت يمينك من الكتابيات أن تتسرى بهن. وأما «أو» في «أو من الإماء» فهو ظاهر؛ لأنه قول [illegible] من [illegible] المسلمات أن تتزوج أمة [illegible] بالواو [illegible] اختلاف الأقوال. وكذا [illegible] «أو» في الغرائب [illegible] «الغريبة» [illegible].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/[illegible]).

لأنه لو قال في الشكل، وتقديره: مفروضاً إعجابك بهن. وقيل: هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن. واستثنى ممن حرم عليه الإماء. ﴿رَّقِيبًا﴾: حافظاً مهيمناً، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه.

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [٥٣]

قوله: (لأنه لو قال في الشكل) ولكن حال أن يكون صفة لـ﴿أَزْوَاجٍ﴾ والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما تقرر، والمعنى: ولا أن تبدل بهن من أزواج مفروضاً إعجابك بهن لا تعدل إلى الإعجاب حسن حسنهن. ونقل صاحب الكشف[1] عن ابن الحاجب حالاً من ﴿أَزْوَاجٍ﴾ وتخصيصها موصوفية ﴿أَزْوَاجٍ﴾؛ لأنه في تقدير أزواج من الأزواج [illegible] الصفة [illegible] على أنه لا يجوز توسط الواو بين الصفة والموصوف، المعنى: ولا أن تبدل بهن من أزواج [illegible] في الحسن جماعة، وهذا تمام.

قوله: (واستثنى ممن حرم عليه الإماء) يعني: أن الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [illegible] لطول الكلام. وقال أبو البقاء: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ في موضع رفع بدلاً من ﴿النِّسَاءُ﴾ أو موضع نصب على الاستثناء، وهو من الجنس فيكون متصلاً، ويجوز أن يكون من غير الجنس فيكون منقطعاً[2].

---

(١) [illegible]
(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٥٤).

﴿أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف، تقديره: وقت أن يؤذن لكم، و﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾، وقع الاستثناء على الوقت والحال معًا، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتحيّنون طعام رسول الله، فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه. ومعناه: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحيّنون للطعام، إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصًا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي ﷺ إلا أن يؤذن له إذنًا خاصًا، وهو الإذن إلى الطعام فحسب. وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ: غيرِ ناظرين، مجرورًا صفة لـ﴿طَعَامٍ﴾، وليس بالوجه؛ لأنه جرى على غير ما هو له، فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ، فيقال: غير ناظرين إناه أنتم، كقولك: هندٌ زيدٌ ضاربته هي.

قوله: (وقع الاستثناء على الوقت والحال معًا)، يعني: وقع الاستثناء على وقت الإذن مصحوبًا بصفة ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾، وهما بمنزلة المفعول، فوجب تقديرُ مستثنى منه من أعمّ هذا المستثنى، أي: لا تدخلوا في وقت من الأوقات إلا في هذا الوقت، لكنّ النهي وارد في قوم مخصوصين كانوا ينتظرون إدراك الطعام، فنُهوا عن ذلك، وإليه الإشارة بقوله: فلولا أن يكون لهؤلاء خصوصًا لما جاز لأحد أن يدخل إلا أن يؤذن له إذنًا خاصًا، وهو الإذن إلى الطعام فحسب، لكنه(1) يجوز الدخول بالإذن مطلقًا. قال أبو البقاء: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في موضع الحال، أي: لا تدخلوا إلا مأذونًا لكم، و﴿غَيْرَ﴾ على هذا حال من فاعل ﴿تَدْخُلُوا﴾ أو حالًا من المجرور في ﴿لَكُمْ﴾(2).

قوله: (يتحيّنون)، أي: ينتظرون وقت إدراك الطعام وحينه.

قوله: (كقولك: هندٌ زيدٌ ضاربته هي)، في «الإقليد» عن الفارسي: الصفة متى جرت على غير ... لا

---

(1) [illegible]

(2) التبيان في إعراب القرآن (2/ 1061).

وإنى الطعام: بلوغ إدراكه، يقال: أنى الطعام إِنًى، مقصور، مثل: قلاه قِلًى، ومنه قوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]: بالغ إناه، وقيل: ﴿إِنَاهُ﴾: وقته، أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله.

روي أن رسول الله ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة، وأمر أنساً أن يدعو

عامل، والفاعل «هي»، ولو أبرز لقيل: ... وإن كان في اللفظة ما يدل على أن نصبه بغير وهو الحال؛ لأنه جارٍ في مواضع مشكلة، فاحتيج إلى هذا الفصل ليخرج المشكل. ونظيره على مذهب واحد، قال ابن الحاجب: «إذا قلت: نحن الزيدان ضاربوه، أو: الزيدان ضاربتهم، ونحوهما يؤدي إلى اللبس، فعدلوا إلى المنفصل»[١]. قال الشيخ عبد القاهر[٢]: يجب الإبراز في قولك: هند زيد ضاربته هي، ولو قلت: زيد هند ضاربته، لم يجب؛ لأن في الأول جرى الوصف على غير ما هو له. قال مكي: ﴿غَيْرَ﴾ حال من الكاف في ﴿لَكُمْ﴾، والعامل ﴿يُؤْذَنَ﴾، ولا يجوز أن يكون وصفاً للطعام؛ إذ لو كان وصفاً له لقيل: غير ناظرين أنتم؛ لأن اسم الفاعل إذا جرى صفة أو حالاً أو صلة على غير من هو له لم يستتر فيه ضمير الفاعل، بخلافه في الفعل، فلو قيل: إلى طعام لا تنتظرون إناه، جاز على الوصف عنه[٣].

قوله: (وإنى الطعام: إدراكه)، قال الزجاج: إناه: نضجه وبلوغه، يقال: أنى يأني إِنًى، إذا نضج وبلغ[٤]. قال مكي: ﴿إِنَاهُ﴾ ظرف زمان، مقلوب من آن الذي بمعنى الحين، ... قبل الألف وغيّرت الهمزة إلى الكسرة، أي: غير ناظرين آنه، أي: حينه، ثم [illegible].

قوله: (أولم على زينب بتمر) الحديث من رواية البخاري ومسلم والترمذي

---

(١) «الكافية» في النحو (ص١٣٦).
(٢) في النسخ الخطية: [illegible] عبد القاهر الجرجاني [illegible].
(٣) «مشكل إعراب القرآن» [illegible].
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» [illegible].

فدعوت، ثم ادعُ إليّ أحدًا. قال: فجعل الرجل يجيء فيأكل فيخرج ثم يجيء قوم فيأكلون، إلى أن قال: يا رسول الله، دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه. فقال: «ارفعوا طعامكم». وتفرّق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدّثون فأطالوا، فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا، فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: «السلام عليكم أهل البيت». فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ وطاف بالحجرات فسلّم عليهن ويدعون له، ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدّثون، وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء، فتولّى، فلما رأوه متولّيًا خرجوا، فرجع ونزلت: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ نُهوا عن أن يُطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدّثه به، أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت، واستئناسه: تسمّعه وتوجّسه. وهو مجرورٌ معطوفٌ على ﴿نَاظِرِينَ﴾، وقيل: هو منصوبٌ على: ولا تدخلوها مستأنسين. لا بدّ في قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ من تقدير المضاف، أي: من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أنّ إخراجكم حقٌّ ما ينبغي أن يُستحيا منه.

والنسائي عن أنس قال: أنا أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل، وكان أول ما أُنزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروسًا فدعا القوم فأصابوا الطعام ثم خرجوا وبقي رهطٌ منهم عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه"[1] الحديث، في نحوٍ مما ذكره المصنف مع تغيير في بعض الألفاظ.

قوله: (وتوجّسه) الجوهري: التوجّس: التسمّع إلى الصوت الخفي.

قوله: (بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾)، [illegible] والمعنى أن في هذا المقام إخراجهم من البيت لأن جلوسهم فيه كان لأذى النبي ﷺ، فوجب [illegible] إخراجهم [illegible] والإهانة، وفي وضع الحق موضع الإخراج إيذانٌ بتعظيم جانب الرسول ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري [illegible]، ومسلم [illegible]، والنسائي [illegible].

ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل: ﴿لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ بمعنى: لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم. وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وعن عائشة رضي الله عنها: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾. وقرئ: لا يستحي بياء واحدة. والضمير في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنساء النبي ﷺ، ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن. ﴿مَتَاعًا﴾ حاجة ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ﴾ المتاع.

قيل: إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة، وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه، وكان يقول: لو أطاع فيكن ما رأتكن عين. وقال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت. وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال: لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فقالت زينب رضي الله عنها: يا ابن الخطاب،

قوله: (ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل: ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾) يعني: استعير لقولنا: لا يمتنع ولا يترك لفظ ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ بعد التشبيه، على قوله: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ﴾، أو لأن الله سبحانه وتعالى إذا وصف بما يختص بالأجسام حمل على نهايات الأعراض لا على بداياتها، فإن الإنسان إذا استحيا من فعل حصل له تركه والامتناع منه.

قوله: (ترك الحيي) منصوب على المصدر، أي: لا يتركه تركا مثل ترك الحيي منكم، ...

قوله: (قيل: إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن) روى البخاري ومسلم عن أنس قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الحجاب[1].

قوله: (لو أطاع فيكن ما رأتكن عين) كناية عن ضرب الحجاب على ...

---

(1) أخرجه البخاري (٤٧٩٠)، ومسلم (٢٣٩٩).

إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت.

وقيل: إن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره النبي ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب. وذكر أن بعضهم قال: أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات محمد لأتزوجن عائشة، فأعلم الله أن ذلك محرم، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ وما صح لكم إيذاء رسول الله ﷺ، ولا نكاح أزواجه من بعده، وسمى نكاحهن بعده عظيماً عنده، وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حياً وميتاً، وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره، فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره. ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده. وعن بعض الفتيان: أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفاً واستهتاراً، فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء، وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب، فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصوراً لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره. وعن بعض الفقهاء: أن الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة، فصين رسول الله ﷺ عما يلاحظ ذلك.

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٥٤]

قوله: (وذكر أن بعضهم قال: أننهى أن نكلم بنات عمنا)، روى محيي السنة عن مقاتل بن سليمان: أنه طلحة بن عبيد الله، وفي رواية قال: لأتزوجن عائشة رضي الله عنها[١].

قوله: (لا يرى الدنيا بها) أي: بدلها، الباء فيه كالباء في: بعت هذا بهذا.

قوله: (واستهتاراً) الاستهتار: أن يولع في الحب بحيث لا يبالي بما قيل فيه، مأخوذ من الهتر، وهو خرق العرض.

قوله: (في هدم الثلاث) أي: الطلقات الثلاث، عند إرادة التحليل.

(١) «معالم التنزيل» (٣: ٤٤٢).

﴿إن تبدوا شيئاً﴾ من نكاحهن على ألسنتكم ﴿أو تخفوه﴾ في صدوركم ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به. وإنما جاء به على أثر ذلك عاماً لكل باد وخفي ليندرج تحته نكاحهن وغيره، ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل.

﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ (٥٥)

روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب؟ فنزلت: ﴿لا جناح عليهن﴾ أي: لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء، ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين، وقد جاءت تسمية العم أباً، قال الله تعالى: ﴿وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ [البقرة: ١٣٣] وإسماعيل عم يعقوب. وقيل: لأنه كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفهن لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم، ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب، وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل: ﴿واتقين الله﴾ فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار، واحتطن فيه، وفيما استثني منه ما قدرتن، واحفظن حدوده، واسلكن طريق التقوى في حفظها، وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن

قوله: (وإنما جاء به على أثر ذلك عاماً) يعني: كان من الظاهر أن يقال: إن تبدوا نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه، لكن عمم ذلك، موضع في موضعهما ﴿شيئاً﴾ و﴿تخفوه﴾ ليندرج تحت هذا العام ما هو الأولى على سبيل البرهان، وذلك أهول وأجزل.

قوله: (فقيل ﴿واتقين الله﴾) متصل بقوله: (ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب) وقوله: (وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد) اعتراض، وإنما دل على فضل تشديد لأن الخطاب أقوى من الغيبة، ومن كان مخاطباً في الأمر كان أدخل في الأمر به مما كان غائباً، ولذلك قيل: المخاطبة والمواجهة في الكلام.

قوله: (واحفظن حدوده) أي: حدود الاحتجاب وما استثني منه من عدم الاحتجاب

فيما تحصيناه لتفصيل ما كان مجملاً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ لا يتفاوت في علمه الأحوال.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٥٦]

قُرِئ: (وملائكته) بالرفع، عطفًا على محلّ ﴿إنّ﴾ واسمها، وهو ظاهرٌ على مذهب الكوفيين، ووجهه عند البصريين أن تُحذف الخبر لدلالة ﴿يُصَلُّونَ﴾ عليه. ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾ أي: قولوا: الصلاة على الرسول والسلام. ومعناه: الدعاء بأن يترحّم عليه الله ويسلّم. فإن قلت: الصلاةُ على رسول الله ﷺ واجبةٌ أم مندوبٌ إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها: فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره. وفي الحديث: «من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ فدخل النار فأبعده الله». ويُروى أنه قيل: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ فقال ﷺ: «هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إنّ الله

[illegible]

قوله: «من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ فدخل النار»: روى الشيخ محيي السنة في «الأذكار»(١) عن ابن السُّنّي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ فقد شقي»(٢).

وروى أيضًا عن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ». قال الترمذي: حديث حسن(٣).

---

(١) «الأذكار» ص(...).

(٢) أخرجه ابن السني [illegible]

[illegible]

(٣) أخرجه الترمذي [illegible]

وكل بي ملكان فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته لذينك الملكين: آمين». ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره، كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس، وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره، ومنهم من أوجبها في العمر مرة، وكذا قال في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط: الصلاة عليه عند كل ذكر؛ لما ورد من الأخبار. فإن قلت: فالصلاة عليه في الصلاة، أهي شرط في جوازها أم لا؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا، وعن إبراهيم النخعي: كانوا يكتفون عن ذلك -يعني الصحابة- بالتشهد، وهو: السلام عليك أيها النبي، وأما الشافعي -رحمه الله- فقد جعلها شرطا. فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك، وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك: صلى الله على النبي وآله، فلا كلام فيها،

قوله: (وهو أنها إن كانت على سبيل التبع)[1]: قال الشيخ محيي الدين في كتاب «الأذكار»: أجمعوا على الصلاة على نبينا وعلى سائر الأنبياء والملائكة استقلالا، وأما غير الأنبياء فالجمهور: لا يصلى عليهم ابتداء، واختلف فيه فقيل: هو حرام، وقيل: مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقالوا: إن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء، كما أن قولنا: عز وجل، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، وكما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزا جليلا، لا يقال: أبو بكر أو علي صلى الله عليه، وإن كان صحيحا، واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعا لهم فيقال: اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه؛ للأحاديث الصحيحة، وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني: هو في معنى الصلاة،

(١) في (ط): [illegible]

وإذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يُفرد هو فمكروه، لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ﷺ، ولأنه يؤدّي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التُّهم».

[﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ٥٧ - ٥٨]

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يُعبَّر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي، وإنكار النبوّة، ومخالفة الشريعة، وما كانوا يصيبون به رسول الله ﷺ من أنواع المكروه، على سبيل المجاز. وإنما جعلتُه مجازاً فيهما جميعاً وحقيقةُ الإيذاء صحيحةٌ في رسول الله ﷺ لئلا أجعل العبارة الواحدة مُعطيةً معنى المجاز والحقيقة.

فلا يُستعمل في الغائب فلا يُفرد به غير الأنبياء فلا يقال: عليٌّ عليه السلام، وسواءٌ هذا في الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيُخاطَب به، ويُستحبّ الترضّي والترحّم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعُبّاد وسائر الأخيار. وأما ما قاله بعض العلماء: إن قوله: رضي الله عنه، مخصوصٌ بالصحابة، ويقال في غيرهم: رحمه الله، فليس كما قاله، بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه، ودلائله أكثر من أن تُحصى[1].

قوله: (على سبيل المجاز) متعلّقٌ بقوله: (أن يُعبَّر) يعني: أطلق ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وأُريد به فعلُ ما لا يرضيانه من الكفر والمعاصي ونحوهما، كأنه قيل: إن الذين يفعلون ما لا يرضى الله ورسوله، فأطلق السبب وأريد المسبَّب، وإنما لم يسلك طريق الجمع وإن صحّت حقيقة الإيذاء في حقّ رسول الله ﷺ حقيقةً لئلا تجعل العبارة الواحدة مُعطيةً معنى المجاز والحقيقة معاً، هذا الطريق هو الذي يسمّيه الأصوليون: عموم المجاز.

---

(١) الأذكار (ص[illegible]).

والثاني: أن المراد: يؤذون رسول الله ﷺ. وقيل في أذى الله: هو قول اليهود والنصارى والمشركين: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] و﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] و﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه. وقيل: قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته. وعن رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه: «شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني، وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني، فأما شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولدًا، وأما أذاه فقوله: إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني». وعن عكرمة: فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله. وقيل في أذى رسول الله ﷺ: قولهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وقيل: كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد. وقيل: طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي. وأطلق إيذاء الله

قوله: (والثاني: أن المراد: يؤذون رسول الله ﷺ) فيكون ذكر الله تمهيدًا لذكره، وأن رسول الله ﷺ عند الله بمكانة حتى إن إيذاءه إيذاؤه.

قوله: (شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني) الحديث من رواية البخاري والنسائي عن أبي هريرة[1]، [illegible] في الأنعام.

قوله: (وقيل: طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي) روى في «الاستيعاب» عن أبي عبيدة: كانت صفية قد [illegible] فذكرت ذلك لأبيها فلطم وجهها لطمة [illegible]. وروي عن أنس أنه قال: لما [illegible] النبي ﷺ [illegible] جاءه دحية فقال: أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فقيل: يا رسول الله، إنها سيدة بني قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، فقال النبي ﷺ: «خذ جارية غيرها». قال ابن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه فحجبها، وأولم عليها بتمر وسويق، وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) [illegible]

[illegible]

ورسوله، وقيّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات؛ لأنّ أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حقٍّ أبداً، وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه. ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية واستحقاق للأذى. وقيل: نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليّاً رضي الله عنه ويُسمعونه. وقيل: في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها. وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات. وعن الفضيل: لا يحلّ لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حقٍّ، فكيف؟ وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذّمّة لما فيه من الرّوعة عند كرّ الحول.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٥٩]

الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقيل: الملحفة وكلّ ما يستتر به من كساء أو غيره. قال أبو زُبيد:

مُجَلْبَبٌ من سواد الليل جلبابا

ويروى أن رسول الله ﷺ دخل عليها وهي تبكي فقال لها: «ما يبكيك؟» فقالت: إن عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان: نحن خير من صفية، قال: «ألا قلت: كيف تكنّ خيراً مني وأبي هارون وعمّي موسى وزوجي محمد»، وكانت من سبط هارون(١).

ليس في «الاستيعاب» ولا في «الخاتمة»(٢) أنّ أحداً طعن في نكاحها، والله أعلم.

ع (٣) (فمنه ومنه) أي: فمنه حقّ ومنه باطل. [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يُرخينها عليهن، ويُغطِّين بها وجوههن وأعطافهن. يقال: إذا زلَّ الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك. وذلك أنَّ النساء كُنَّ في أوَّل الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذِّلاتٍ، تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرَّة والأمة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرَّضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهنَّ في النخيل والغيطان للإماء، وربَّما تعرَّضوا للحرَّة بعلة الأمة، يقولون: حسبناها أمة، فأُمرن أن يخالفن بزيِّهنَّ عن زيِّ الإماء بلُبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويُهَبن فلا يطمع فيهنَّ طامعٌ، وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أي: أولى وأجدر بأن يُعرفن فلا يُتعرَّض لهنَّ ولا يلقين ما يكرهن. فإن قلت: ما معنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾؟ قلت: هو للتبعيض، إلا أنَّ معنى التبعيض محتمل وجهين: أحدهما: أن يتجلببن ببعض ما لهنَّ من الجلابيب، والمراد أنْ لا تكون الحرَّة متبذِّلةً في درع وخمار كالأمة والماهنة، ولها جلبابان فصاعدًا

قوله: (متبذِّلات)[1]: الجوهري: وابتذال الثوب وغيره: امتهانه، والتبذُّل: ترك التصاون.

قوله: (والغيطان): الجوهري: أصل الغائط: المطمئنُّ من الأرض الواسع، والجمع: غُوط وأغواطٌ وغيطان.

قوله: (والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة)[2]: يعني: على تقدير: «يدنين عليهن بعض جلابيبهن»: كان المراد: الحرة غير متبذلة؛ لأنه يلزم من ذلك أن تكون لها جلابيب، فلا تخرج نفسها بمنزلة من ليس لها إلا درع وخمار كالأمة. قوله: «ولها جلبابان» حال من الضمير في «متبذلة».

قوله: (والماهنة) أي: الخادمة. الجوهري: المهنة: الخدمة، وحكى أبو زيد

---

(١) كذا في الأصول الخطية، والذي في بعض [illegible] في الأصل الخطي من «الكشاف» [illegible] «متبذلات»، [illegible]

(٢) [illegible]

في [illegible] وتدلي، ألا ترى أن المرأة تقنع حين تدنيه [illegible] على وجهها [illegible] حتى يميز من الأمة. وعن ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها. وعن السدي: أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين. وعن الكسائي: يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن، أراد بالانضمام معنى الإدناء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط، مع التوبة، لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [٦٠ - ٦٢]

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، وقيل: هم الزناة وأهل الفجور، من قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾ ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ، فيقولون: هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت، فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين. قال الراغب: يقال: [illegible] إذا أخبر به على غير حقيقة؛ لكونه خبرًا متزلزلًا تشبيهًا بالرجفة وهي الزلزلة. والمعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفسقة

والكسائي [illegible] والأصمعي والناصر [illegible]

قوله: (لأن هذا لا يمكن معرفته بالعقل) وعند أهل السنة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما عسى يصدر منهن من الإخلال في أمر التستر رحيمًا بهن بعد التوبة، وقيل: ﴿غَفُورًا﴾ لما وقع منهن قبل الأمر [illegible] في «المطلع».

قوله: (يرجفون بأخبار السوء) الراغب: الرجف: الاضطراب الشديد، والإرجاف: إيقاع الرجفة إما بالفعل أو بالقول، وقالوا: الأراجيف ملاقيح الفتن[1].

[1] المفردات للراغب ص [illegible].

عن فجورهم، والمرجفون عن تلفيق من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفعال التي تسوءهم وتنوءهم، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، وإلى أن لا يساكنوك فيها ﴿إِلَّا﴾ زمنًا ﴿قَلِيلًا﴾ ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم، فسمى ذلك إغراء، وهو التحريش على سبيل المجاز. ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال، أي: لا يجاورونك إلا ملعونين، دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معًا، مثل قوله: ﴿إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قوله: (وتنوءهم) الجوهري: ناء بالحمل: نهض به مثقلًا، يقال: له عندي ما ساءه وناءه، أي: أثقله، وما يسوءه وينوءه[1]. وقال بعضهم: أراد ساءه وأناءه، وإنما قال: ناءه، وهو لا يتعدى؛ لأجل ساءه؛ ليزدوج الكلام.

قوله: (ويلتقطون أنفسهم) الأساس: التقط الشيء، ولقطه، والتقطه: الالتقاط[2]. في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ إشارة إلى ما قال صاحب "الفرائد": إن [illegible] عليه إجلاء، مثل: [illegible] يمهل ريثما يلتقط نفسه وعياله، [illegible] ولا يمهل حتى [illegible][3].

قوله: (فسمى ذلك إغراء) أي: أطلق على الأمر بأن يفعل بهم الأفعال التي تسوءهم الإغراء بقوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ على المجاز مبالغة.

قوله: (التحريش) النهاية: وفي الحديث: نهى عن التحريش بين البهائم[3]، وهو الإغراء وتهييج بعضها على بعض، كما يفعل بين الجمال والكباش والديوك.

قوله: (دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معًا) أي: لا يجاورونك في حال من الأحوال وزمن من الأزمنة إلا مقرونين ملعونين زمنًا قليلًا ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم.

---

(١) «الصحاح» (نوأ) (١/ ٧٩).

(٢) «أساس البلاغة» (لقط) (٢/ ١٦٤).

(٣) [illegible]

ولا يصحّ أن ينتصب عن ﴿أُخِذُوا﴾؛ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وقيل في ﴿قَلِيلًا﴾: هو منصوبٌ على الحال أيضاً، ومعناه: لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين. فإن قلت: ما موقع ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾؟ قلت: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطفٌ على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾؛ لأنه يجوز أن يُجاب به القسم؛ ألا ترى إلى صحة قولك: لئن لم ينتهوا لا يجاورونك؟ فإن قلت: أما كان من حقّ ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ أن يعطف بالفاء، وأن يقال: لنغرينك بهم فلا يجاورونك؟ قلت: لو جُعل الثاني مسبَّباً عن الأول لكان الأمرُ كما قلت، ولكنه جُعل جواباً آخر للقسم معطوفاً على الأول، وإنما عطف بـ«ثم»؛ لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أُصيبوا به، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ في موضع مصدر مؤكّد، أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثُقفوا. وعن مقاتل: يعني كما قُتل أهل بدر وأُسروا.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [٦٣]

كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهُزء، واليهودُ يسألونه امتحاناً؛ لأن الله تعالى عمّى وقتها في التوراة وفي كلّ كتاب، فأمر رسولَ الله ﷺ بأن يجيبهم بأنه علمٌ قد استأثر الله به، لم يُطلع عليه ملكاً ولا نبيّاً، ثم بيّن لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاتاً للممتحنين.

قوله: (أما كان من حقّ ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ أن يعطف بالفاء)؛ لأن جلاءهم عن الأوطان كان مسبّباً عن التحريش بهم وما تسلّط [illegible] وخلاصة الجواب: أن ما عليه التلاوة أبلغ [illegible]؛ لأنه قيل: لئن لم ينته المنافقون [illegible] أعظم عليهم من الأول [illegible] على خلاف.

﴿قَرِيبًا﴾: شيئاً قريباً، أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [٦٤-٦٥]

السعير: النار المسعورة الشديدة الإيقاد.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [٦٦]

وقرئ: ﴿تُقَلَّبُ﴾ على البناء للمفعول، و(تَقَلَّبُ) بمعنى: تتقلب، و(نُقَلِّبُ) أي: نقلب نحن، و(تُقَلِّبُ) على أن الفعل للسعير.

قوله: (﴿قَرِيبًا﴾: شيئاً قريباً، أو لأن الساعة في معنى اليوم) يعني: من حق الظاهر أن يقال: قريبة؛ لأنها خبر "كان" واسمه مؤنث، فقيل: ﴿قَرِيبًا﴾ على تأويل أنه صفة موصوف محذوف، أو الساعة بمعنى اليوم أو الزمان. وفي "الزجاج" عن أبي عبيدة: إن "القريب" يجوز للمؤنث والمثنى والجمع بلفظ واحد، ولا يلحقون الهاء؛ لأنه ليس بصفة ولكن ظرف، وأنشد:

فإن تمس ابنة السهمي منا ... بعيداً لا نكلمها كلاما[1]

قوله: (أو) [illegible] صفة في معنى مقاربة، قالوا: عن قريب.

قوله: (وقرئ: ﴿تُقَلَّبُ﴾ على البناء للمفعول) هي المشهورة.

قوله: (و"نُقَلِّبُ"، أي: نقلب نحن، و"تُقَلِّبُ" على أن الفعل للسعير) قال ابن جني: "تُقَلِّبُ وجوهَهم" بالنصب، فاعله ضمير السعير، فنسب الفعل إليها وإن كان المقلب هو الله تعالى؛ بدلالة قراءة أبي حيوة: "نُقَلِّبُ"، وإنما هو للملابسة التي بينهما، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما، وعليه قول الشاعر:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم[2]

---

(١) البيت [illegible]

(٢) البيت لجرير في ديوانه [illegible]

ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات، كما ترى البَضْعة تدور في القِدر إذا غلت، فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة، أو تغييرها عن أحوالها، وتحويلها عن هيئاتها، أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين. وخصّت الوجوه بالذكر؛ لأن الوجه أكرم موضع

[illegible] الكناية(1)

[illegible] [illegible] والقلب في جوفه [illegible] من [illegible](2)

[illegible] [illegible] في بعض النسخ [illegible] [illegible](3)

قوله: (ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات) قال الراغب: قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه، وقلب الإنسان: أي صرفه عن طريقته، والانقلاب: الانصراف، قال الله تعالى: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران: 144]، وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة تقلبه، ويعبّر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك، وقوله: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب: 10] أي: الأرواح، وقوله: ﴿لمن كان له قلب﴾ [ق: 37] أي: علم وفهم، وقوله: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ [الأنفال: 11] أي: تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وعلى عكسه: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ [الأحزاب: 26]، وتقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال، نحو: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ [الأحزاب: 66]، وتقليب الأمور: تدبيرها والنظر فيها، قال الله تعالى: ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ [التوبة: 48]، وتقليب الله القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي، وتقليب اليد: عبارة عن الندم ذكرًا لما يوجد عليه النادم، قال تعالى: ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ [الكهف: 42] أي: يصفق ندامة، [illegible] المقلوب من الإنسان(4).

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

على الإنسان من جسده، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة، وناصب الظرف ﴿يَقُولُونَ﴾ أو محذوف وهو «اذكر»، وإذا نُصب بالمحذوف كان ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً.

[﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ٦٧-٦٨]

وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾، وساداتنا، وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم. يقال: ضلّ السبيل وأضلّه إياه، وزيادة الألف لإطلاق الصوت، جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف. وقرئ: (كثيراً) تكثيراً لأعداد اللعائن، و﴿كَبِيرًا﴾ ليدل على أشد اللعن وأعظمه. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفاً لضلاله، وضعفاً لإضلاله. يعترفون ويستغيثون ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك.

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ٦٩]

قوله: (وإذا نُصب بالمحذوف كان ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً)، قال أبو البقاء: ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من الوجوه؛ لأن المراد أصحابها، ويضعف أن يكون حالاً من الضمير المجرور؛ لأنه مضاف إليه(١).

قوله: (وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾ وساداتنا)، ابن عامر: بالجمع وبكسر التاء، والباقون: ﴿سَادَتَنَا﴾ بفتح التاء.

قوله: (وقرئ: (كثيراً))، عاصم وحده: ﴿كَبِيرًا﴾ بالباء، والباقون: بالثاء المثلثة(٢).

قوله: (يعترفون ويستغيثون ويتمنون)، إشارة إلى نظم الآيات، فالتمني قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا﴾، والاستغاثة: ﴿رَبَّنَا﴾، والاعتراف: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب، وما سمع فيه من قالة بعض الناس. وقيل في أذى موسى عليه السلام: هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها. وقيل: اتهامهم إياه بقتل هارون، وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك، فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتًا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول. وقيل: أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام. وقيل: قرفوه بعيب في جسده من برص أو أُدْرة، فأطلعهم الله على أنه بريء منه. ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة عنده، فلذلك كان يميط عنه التهم، ويدفع الأذى، ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصمٌ ولا يوصف بنقيصة، كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة. وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة: (وكان عبدًا لله وجيهًا). قال ابن خالويه: صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها. وقراءة العامة أوجه؛ لأنها مفصحة عن

قوله: (وقيل في أذى موسى عليه السلام): الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وهو مشهور، وقد أوردناه فيما سبق[1].

قوله: (قرفوه بعيب): اتهموه. الأُدْرة: انتفاخ الخصية.

قوله: (صليت خلف ابن شنبوذ)[2] في شهر رمضان فسمعته يقرؤها، [illegible][3]. قال صاحب "الروضة"[4] وغيره[5]: [illegible] القراءة الشاذة ما لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه[6]، [illegible] المصنف، ونحوه عن ابن جني[7].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شيخ الإقراء بالعراق أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ البغدادي، [illegible] أحد العلماء مع [illegible] والصلاح، [illegible] ... (ت٣٢٨هـ). [illegible]

(٣) ينظر كلام ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٢٠.

(٤) [illegible]

(٥) "روضة الطالبين" (١/ ٢٤٢).

(٦) في "المحتسب" (٢/ ١٨٥).

والحث على أن يسددوا قولهم في كل باب؛ لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم؛ فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وقيل: إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية. وهذه الآية مقررة للتي قبلها، بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله ﷺ، وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان؛ ليترادف عليهم النهي والأمر، مع إتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد البليغ، فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه. ولما قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وعلّق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة الطاعة؛ تعظيمًا لأمرها وتفخيمًا لشأنها. وفيه وجهان: أحدهما: أن هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها، وهو ما يتأتى من الجمادات، وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها؛ حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادًا وتكوينًا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه -وهو حيوان عاقل صالح للتكليف- مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، والمراد بالأمانة الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء، وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز، وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل للأمانة

على الخير ومكثر [illegible] قوله: (مع إتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد) والأول على سبيل التشبيه لتضمن التهديد من قوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ من أن الملك لا يأمر أن يتعرض لمن له عنده منزلة ووجاهة فينتقم من قبله، والثاني على سبيل الاستغراق والتعليق فيقتضي [illegible] الفوز [illegible] هذا أحسن من قوله: (فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى [illegible]) [illegible]

وتحصيل هذا [illegible] أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن يده [illegible]
لأن الأمانة [illegible] للسؤال [illegible] اتصافها بالأمانة [illegible]
[illegible] فإذا [illegible] ولا هو [illegible] لا يملك
[illegible] له [illegible]
[illegible] قول الشاعر:

الحول الذي لا يملك [illegible] ... [illegible] عند المتكلمات [illegible]

أي: لا يُمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده [illegible] للذي
يستحقه [illegible] أحسنه [illegible]
[illegible] ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾،
أي: إلا أن يؤديها، وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها، ثم وصفه
بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإخطائه ما يُسعده مع تمكنه منه، وهو
أداؤها. والثاني: أن ما كلّفه الإنسان [illegible]

قوله: القول الثاني: وهو الظاهر [illegible]
[illegible]
[illegible]

قوله: الحول هو الذي إن أصابك من أحدهما [illegible] لا
[illegible] ولا يُمسك الرقة والعطف [illegible]

قوله: والثاني أن ما كلّفه الإنسان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]

قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، فعلى هذا التأويل معنى ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أي: أدين ما عليهن وأطاعت وأدت ما التزمتها من الأمانة وخرجت عن عهدتها سوى الإنسان فإنه ما وفى بذلك وخان فيه ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾.

وعلى الثاني بعكس الأول: فإنه شبه حالة الإنسان وهي ما كلفه من الطاعة بحالة مفروضة لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين حملها وأشفقن منها لعظمه وثقل محمله، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه ظلوم على نفسه جاهل بأحوالها حيث قبل ما لم تطق حمله هذه الأجرام العظام.

وعلى هذا قوله: ﴿عرضنا﴾ مجاز عن حقيقته، والمراد بالأمانة التكليف ومن جملته الطاعة؛ لأن المكلف ما يريد من تكليفه على المكلف إلا إظهار طاعته، فلذلك صرح في الأول بقوله: والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود بعد ما فرع الوجهين عليها حيث قال: «ونحن نريد بالأمانة الطاعة»، وفيه وجهان، والوجه الأول قول الزجاج قال: وحقيقة هذه الآية: أئتمن الله تعالى ابن آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السماوات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السماوات والأرض والجبال فقالت: أطعناه بقوله: ﴿أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] ولم تحتمل الأمانة، أي: أدتها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم، والأمانة طاعة الله فيما أمر به[1].

قال الحسن: الكافر والمنافق حملا الأمانة، أي: خانا ولم يطيعا[2]. قال الزجاج: ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال: كان ظلوما جهولا، وتصديق ذلك ما تلوه من قوله: ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ الآية[3].

---

(١) من قوله «الطاعة لأنها لازمة ...» إلى هنا [illegible].

(٢) معاني القرآن (الزجاج) [illegible].

(٣) انظر «تفسير الحسن البصري» [illegible].

(٤) معاني القرآن (الزجاج) [illegible].

يبلغ من عظمه وثقل محمله أنه لو عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يحتمله ويستقل به، فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خاس بضمانه فيها، ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم، من ذلك قولهم: لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوّي العوج، وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات، وتصوُّر

وفي صاحب «المطيع» عن الأعرج؟ قال: ما علمت أحدًا قال هذه الآية بتفسيره لم يستحق [illegible] رحمه الله.

هذا والذي عليه الأكثرون أن الله عز وجل قادر بقدرته على أن يخلق في كل شيء من [illegible] الجمادات العقل والحياة والنطق والتخاطب.

وفي تفسير ابن عطية رحمه الله: عرض الله الأمانة على أهل السموات والأرض والجبال، وعليه جماعة من التابعين وأكثر المفسرين فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لا يا رب، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا خشية وتعظيمًا لدين الله، وكان العرض عليهن تخييرًا لا إلزامًا، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله ساجدة له، كقوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحج: 18] الآية. قال بعضهم: ركّب الله فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن[1]. والله أعلم.

قوله: (ثم خاس بضمانه) أي: أخلف، خاس بعهده: نقضه [illegible] أخلف، ومن ذلك [illegible] قال ابن الأحنف:

فبينما [illegible] إن [illegible] كان [illegible] ... من [illegible] بما [illegible][2]

(1) تفسير البغوي [illegible].

(2) [illegible]

فقول الشحم محال، ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبحه، كما أن العجف مما يقبح حسنه، فصوّر أثر السمن فيه تصويرًا هو أوقع في نفس السامع، وهي به آنس، وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها. فإن قلت: قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد: أراك تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى؛ لأنه مُثِّلت حاله في تميُّله وترجُّحه بين الرأيين وتركه المضيّ على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضيّ في وجهه، وكل واحد من المُمثَّل والمُمثَّل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة، وليس كذلك ما في هذه الآية؛ فإنَّ عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محالٌ في نفسه، غير مستقيم، فكيف صح بناء التمثيل على المحال؟ وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئًا والمشبه به غير معقول. قلت: المُمثَّل به في الآية وفي قولهم: لو قيل للشحم: أين تذهب؟ ولو تطارح: مفروض، والمفروضات تُتخيَّل في الذهن كما المحققات، مُثِّلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عُرِضت على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها. واللام في ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل على طريق المجاز.

قوله: (وترجُّحه بين الرأيين) الأساس: ترجَّح في القول: تميَّل فيه، وترجَّحت الأرجوحة، ورجح أحد قوليه على الآخر.

قوله: (واللام في ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل على طريق المجاز) يعني: [illegible] ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ من حيث إنه نتيجة الحمل، وإليه مال [illegible] قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ولما كان [illegible] العذر [illegible] التوبة على المؤمنين [illegible] ﴿وَيَتُوبَ﴾ على ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ ليجمع [illegible] وإليه الإشارة بقوله: [illegible] عذاب العاجل».

هذا التكليف(١) إنما لزمه لأنه قَبِل الإنسان بالتكاليف، وجعل التعليل المحتمل بدليل قوله «ليعذب الله» حامل الأمانة ويترتب على عدم أو تحملها حيث أوقع حامل الأمانة موقع المنافقين والمنافقات، وأوقع الذي تحمل وأدى تحملها موقع فاعل المؤمنين، ولو تحمّل الجبال حمل الأمانة كما روي عن السلف عن ابن قتيبة عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات(٢). وحمل الإنسان على الحشر لما قلنا من الرجوع أن الله المتصل اسم وأولاده على ما حد منه عليهم من طاعته إلى آخره إليه من وجه من ذلك، وعرضت المخلوقات الأربع التي اللام والعقل والإنسان والتوبة التي لم يعرفها وبعلة امتن الله تعالى بإرادة العذاب.

أو نقول وربطه التوحيدي: إن الله تعالى خلق الخلق ليكون مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا فحامل معنى الكبرياء والعظمة السماوات والأرض والجبال من حيث أنها عاجزة عن حمل سائر الأمانات لعدم استعدادها وبنيتها، ولذلك أبين أن يحملنها وأشفقن منها ولتعظيمها في أنفسهن، وحملها الإنسان لقوة استعداده واقتداره لكونه ظلومًا جهولًا، واختص بذلك من بين سائر المخلوقات بقول الحق القهارية والتوابية والغفارية وشتا لها تقرير لحمل الرحمة ودرء التعسف الأمر منها لعدم استعداده وقدرته.

قال السخاوي: إن الله في الأسماء والأصبهاني مرائي ومدالع من خصائص الإنسانية لحصول الشهود بها عند تحلي التي في صورة الرحمة، ويعضده ما رويناه في المسند للإمام أحمد بن حنبل عن أبي هريرة: قلنا: يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: «لو أنكم تكونون على حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم»

(١) في الأصل: التكاليف .....

(٢) أنوار التنزيل (٤/ ....).

لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في القراءة الشاذة نتيجة الظلم. وقرأ الأعمش: (ويتوبُ الله) ليجعل العلة قاصراً على فعل الحامل ويبتدئ ﴿ويتوبُ الله﴾. ومعنى قراءة العامة: ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها؛ لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر. والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلّمها أهله وما ملكت يمينه أُعطي الأمان من عذاب القبر».

[illegible] [1]. ورواه الفضل الأحمر عن أبي أيوب الأنصاري[2].

وقال الإمام: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي: كان من شأنه الظلم والجهل، فلما أودع الأمانة فمنهم من زال عنهم الظلم والجهل وفاءً بما التزمه، وبقي بعضهم على ما كان عليه مجبولاً عليه[3]. والله تعالى أعلم.

* * *

(1) أخرجه [illegible]

(2) [illegible]

(3) انظر: التفسير الكبير [illegible]

سورة سبأ

مكية أربعٌ وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

[﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [١ - ٢]]

ما في السماوات والأرض كلُّه نعمةٌ من الله

سورة سبأ

مكية، وهي أربع وخمسون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (ما في السماوات والأرض كلُّه نعمةٌ من الله تعالى) وذلك لأنه مسارح النظر للمتفكرين، ومواطن أنوار رب العالمين، ومنها مقامات عروج العارفين، فحقٌّ للمالك أن يُحمد ويُثنى عليه.

وحين ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وصف ذاته بأنه مالك عليه النعمة الحسية والباطنة، مقتضيًا له الحمد على نعم الدنيا وما قرن به ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾

---

(1) في (ط): «خمس وخمسون آية»، وهو موافق لعد الشاميين، أما الأول فموافق لعد من عدا الشام، انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص [illegible]).

وهو مخصوص بأن ... الحمد لأن ... [illegible] ... النعمة ... فقيد بالنعمة ... الأولى ... [illegible] ... النعمة الدنيوية والمحمود على النعمة الأخروية.

قال القاضي: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقا ونعمة، فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته دون الحمد في الآخرة لأن ما في الآخرة أيضا كذلك، وليس هذا من عطف المقيد على المطلق، فإن الوصف بما يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها، وتقديم الصلة[1] للاختصاص، فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة[2].

وقد يقال إنه ... الحمد الثاني لأنه ... قوله ﴿في الآخرة﴾، والأول مطلق ... [illegible] ... في الدنيا لكن ... بحسب ... والعطف على نحو قول الشاعر:

... [illegible] ... ... [illegible] ...[3]

أي ... [illegible] ... في الدنيا لأن قوله ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ يدل على ذلك ... وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، وهذا ... كلام القاضي ... المصنف.

ويمكن أن يقال إن كلا من الحمدين مقيد ومطلق بحسب ... فالأول مقيد ... [illegible] ... والثاني مطلق منه ... ﴿في الآخرة﴾ والأول مطلق منه.

وأما ... الأول ... الدنيا ... [illegible] ... الثاني ... لا يدخل تحت الوصف من الإنعام والإكرام ... [illegible]

---

(١) ... [illegible]

(٢) أنوار التنزيل ... [illegible]

(٣) ... [illegible]

وهو الحقيقُ بأن يُحمد ويُثنى عليه من أجله، ولمّا قال: ﴿الحمد لله﴾ ثمّ وصف ذاته بالإنعام بجميع النِّعم الدنيوية؛ كان معناه: أنه المحمودُ على نعم الدنيا، كما تقول: أحمدُ أخاك الذي كساك وحملك، تريد: احمده على كسوته وحملانه، ولمّا قال: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ عُلِم أنه المحمودُ على نعم الآخرة وهو الثواب. فإن قلت: ما الفرق بين الحمدين؟ قلت: أمّا الحمدُ في الدنيا فواجب؛ لأنه على نعمه متفضَّل بها، وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب، وأمّا الحمدُ في الآخرة فليس بواجب؛ لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقِّها.

قوله: (بجميع النِّعم الدنيوية)؛ لأنه فسّر قوله: ﴿ما في السماوات وما في الأرض﴾ بأنه عبارة عن العالَم، كما قال المصنّف في قوله تعالى: ﴿لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران: ٥]: «لا يخفى عليه شيءٌ في العالم فعبّر عنه بالسماء والأرض»(١).

قوله: (وأمّا الحمدُ في الآخرة فليس بواجب؛ لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقِّها) مذهبُ المعتزلة، ويردُّه ما رويناه عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة وجابر قالا: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلّا أن يتغمَّدني الله برحمة»(٢)، وفي رواية أخرى لأبي هريرة: «لن يُدخِل أحداً منكم عملُه الجنة»(٣).

«الانتصاف»: الحقُّ في الفرق بين الحمدين أنّ الأوّل عبادةٌ مكلَّفٌ بها، والثاني لا تكليف فيه؛ فهو في الآخرة كالأمور الجِبِلّية في الدنيا، كما جاء: «يُلهَمون التسبيح كما يُلهَمون النفَس»(٤)، وإلّا فكلا الحمدين حقٌّ(٥).

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» [illegible].
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) [illegible] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (٢٨١٧).
(٣) وهي رواية عند مسلم (٢٨١٦) [illegible] عن أبي هريرة.
(٤) هو جزء من حديث أخرجه أحمد في «المسند» [illegible]، والدارمي [illegible]، ومسلم [illegible] من حديث جابر رضي الله عنه.
(٥) انظر: «الانتصاف» حاشية «الكشاف» [illegible].

[illegible] نعمة [illegible] المؤمنين؛ [illegible] [illegible]
[illegible] ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل ما كان ويكون.

ثم ذكر مما يحيط به علمه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من الغيث [illegible] كقوله: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] ومن الكنوز والدفائن والأموات، وجميع ما هي له كفات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات [illegible] وغير ذلك، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق

وقيل: إن قوله: «لأنه نعمة واجبة الإيصال» ليس على إطلاقه [illegible] يعطي الله العباد في الآخرة ليس مقصورًا على الجزاء [illegible]

قوله: (ابتهاجًا وسرورًا) أي: يحمدونه سرورًا به لا تعبدًا فهو محض السرور؛ لأن من حصل في نعيم بعد مقاساة الشدة والتعب لا يخلو حاله من [illegible] وإن أخطر بباله وتأمل ما هو فيه من الكرامة والنعيم زاد سروره وابتهاجه، فقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] إشارة إلى هذا المقام [illegible] النعيم وتلك الكرامة دائمة على وجه التعظيم وليس كنعيم الدنيا فإنه في وشك الزوال [illegible] مشوب بالاستدراج [illegible] تلك السرور والابتهاج، وقوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] ناظر إلى هذا المعنى.

قوله: [illegible] الجوهري: [illegible]

قوله: (ما هي له كفات) الجوهري: كفت الشيء أكفته كفتًا؛ إذا ضممته إلى نفسك، والكفات: الموضع الذي يكفت فيه شيء أي يضم.

---

(١) [illegible]

والملائكة، وأنواع البركات، والمقادير، كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد. ﴿وَهُوَ﴾ مع كثرة نعمه وسبوغ فضله ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ للمفرّطين في أداء مواجب شكرها. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «نُنَزِّلُ»، بالنون والتشديد.

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا

قوله: (﴿وَهُوَ﴾ مع كثرة نعمه) يعني: قوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ تتميمٌ لمعنى ما يستدعيه قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخره من الإفضال بموجب الحمد من فضائله المتكاثرة، ومن التفريط فيما أوجب عليهم من الشكر على تلك النعمة الجسيمة، أي: نبّه بهذا الإعلام على تقصير المفرّطين، ثم عقّبه بذكر الوصفين تتميمًا للمقصود، يعني: أن الله مع هذا لا يقطع تلك النعم، ويُمهل عنهم ذلك التقصير، ويزيد في تلك النعم، ويغفر لهم ذلك التفريط.

قوله: قُلت: أليس من الظاهر أن تُختم الآية الأولى بقوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لما اشتملت على إفضال الحمد على نعمة الله التي لا تحصى ويُعفَى عنهم ما لا يحصى أن يرجعوا فيه، والآية الثانية بقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ لمناسبة العلم والحكمة والخبرة بها؟

قلت: بلى، والسكر موافق لنظائر الحمد، وحظُّ التخصيص والتكميل: فإنّ مفهوم الأولى خاصيتها الدالة على نوع من القسم على معنى التكميل، وأن الله تعالى له الحمد في الدارين، ذا الحكمة أمورهما على وجه قويّ أحسن، ويعلم ما يصدر من العباد من تقاصير المفرطين في الحرمة على وجه الحكمة والنظام، وانضمام الثانية رفع اقتضائها أن يختص الذي أثبته، ولم يَجْرِ على الظاهر، لفات لطائف تلك الفوائد. والله أعلم بأسرار كلامه.

---

(١) سقطت لفظة «له» من النسخة (ط).

(٢) من قوله: «يعني: أن الله» إلى [illegible]

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۞ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [٣ - ٤]

قولهم: ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ نفيٌ للبعث وإنكارٌ لمجيء الساعة، أو استبطاءٌ لما قد وُعِدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية، كقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [يونس: ٤٨]. أوجب ما بعد النفي بـ﴿بَلَىٰ﴾ على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدًا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عزّ وجلّ، ثم أمدّ التوكيد القسمي إمدادًا بما أُتبع المقسم به من الوصف بما وُصف به، إلى قوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾؛ لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه، وبشدة ثباته واستقامته؛ لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعبًا وأبين فضلًا وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ. فإن قلت: هل للوصف الذي وُصف به المقسم به وجهُ اختصاصٍ بهذا المعنى؟ قلت: نعم، وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب، وأدخلها في الخفية، وأولها مسارعة إلى

قوله: (ثم أعيد إيجابه مؤكدًا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين): قال صاحب «الفرائد»: اقتضى المقام اليمين؛ لأن من أنكر ما قيل له، فالذي ينبغي أن يقال بعد ذلك: إنه أريد إعادة القول أن يكون مقترنًا باليمين، وإلا كان خطأً بالنظر إلى علم المعاني، وإن كان صحيحًا بالنظر إلى العربية والنحو. وما ذكر من أن عظمة المقسم به تؤذن بعظمة الحال المقسم عليه مستقيم، فلو وصف بغير هذا الوصف لما فاتت العظمة المذكورة، وأما الوصف المذكور فلأن إنكارهم البعث باعتبار أن الأجزاء المتفرقة المتشتتة يمتنع اجتماعها كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾ [ق: ٤] فالوصف بهذه الأوصاف رد لزعمهم واستبعادهم، وهو الأصل الذي عليه بناء الحادثة التي يعني ذلك منه، تم كلامه. وقد أحسن وأجاد رحمه الله.

قوله: (نعم، وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب): إلى آخره. قال صاحب «الفرائد»: لا شك أنه لزم منه أن يكون عالمًا بوقت قيام الساعة لأن من لا يعزب عن

الغيب إلا هو: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة، وأنه الكائن لا محالة، ثم وصف ما يرجع إلى عِلْم الغيب، وأنه لا يعزب عنه شيءٌ من المغيبات، والمراد منه إحاطته بوقت قيام الساعة، فجاء ما تطابقه من وجه الاختصاص محيطًا والمعنى: قول قائل: الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه، فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان، وأقسم عليهم جَهْد القسم، فمثل من هو في معتقدهم مُفترٍ على الله كذبًا، كيف تكون مُصحِّحة لما أنكروه؟ قلت: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يُتبعها الحُجّة القاطعة

جنسه شيءٌ لا يعزب عن علمه وقتُ قيام الساعة. وأما الاختصاص الذي دلّ عليه فمن ذلك السوق.

وهذا دلّ على الاختصاص قولُهم: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ فإنه إنكارٌ لما هو المعتقد في الإتيان بها من العلم بالكليات والجزئيات والقدرة على المقدورات، فلما أجيب بـ﴿بَلَىٰ﴾ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ إثبات ما نفوه، فخص بإحدى الصفتين لاختصاصهما بالتهديد والوعيد للمكذبين، وتم ما يحصل منه ما أريد إثباته إلى التوحيد، والله أعلم.

قوله: (هذا لو اقتصر على اليمين ولم يُتبعها الحجة القاطعة)، قال صاحب «الفرائد»: كلامه مُشعرٌ بأن اليمين إذا كان مُصحِّحة (مع وجودها) عدمها سواء في التصحيح، والتصحيح إنما يكون بالحجة القاطعة بعدها، فيلزم أن لا فائدة في اليمين هاهنا، وهذا مما لا سبيل إليه، والقدر أن إعادة ما قبل الإنكار لا بد من أن يكون مقرونًا بالقسم،(1) ثالث، فحظًا بحسب علم المعاني، فلما أوجب المخاطبة الإعادة وجب اقترانها بالقسم، فكان القسم مُصحِّحًا لما أنكروه غير مصحِّح.

وقلت: والعجب من هذين الفاضلين كيف أغفلا عن حقوق هذه اليمين وجليل فائدتها في هذا المقام، فإنهم جرّبوه ﷺ ولم يسمعوا منه إلا الحق، ولم يشهدوا منه غير الصدق، وهذه شنشنة ... الأمين ... الكلام إلا من عدم ... وتكذيبه ... على ...

(1) في النسخة «ف» ...: «... خطأ».

عن أبيه في (الأنعام) عند قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] عن أبي جهل: والله إنّ محمدًا لصادق وما كذب قط [illegible] أمرًا [illegible](١). وفي (فصلت) عند قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] عن عتبة بن ربيعة: وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب قط(٢)، إلى غير ذلك. فأتى أولًا بالنصّ القاطع المؤيَّد بالقسم المقترن بالوصف المناسب، وعقّبه بالبرهان الساطع [illegible] بعد تقرير. وإذا [illegible] النظر وحققت محلّ الإقسام الشرعي الذي [illegible] من الحجّة [illegible] الحجّة هاهنا كالمتمّم للنصّ والمفرّع عليه لا الأصل، وإذا اقتضى هذا التوكيد [illegible] ﴿بَلَىٰ﴾ وإعادة قوله ﴿[illegible]﴾ [illegible] عليه، ثم إتباعه بالوصف المناسب ثم القضاء بالبرهان مع ذلك، [illegible] أنه تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بذكر [illegible] وأوجب التخصيص [illegible] ما في السماوات وما في الأرض، و[illegible] في الآخرة [illegible] اعلم أنّ [illegible] في خلق السماوات والأرض ليس إلا المعرفة والعبادة ثم جزاء المحسن [illegible] وعقاب المسيء [illegible]، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ولهذا [illegible] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [illegible] كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] [illegible] أن يؤكد الكلام [illegible] ﴿بَلَىٰ﴾ [illegible] ثم [illegible] بالبرهان [illegible] القاطع [illegible]

وهو أن [illegible] في قوله: ﴿[illegible] لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [illegible]

---

(١) ينظر: الكشاف [illegible]
(٢) ينظر: الكشاف [illegible]

(الرفع) على المدح. و﴿لايعزب﴾ بالضم والكسر في الزاي، من العزوب، وهو البعد

قال: (وقّش غريب بعيد من الناس). ﴿مثقال ذرة﴾ مقدار أصغر نملة ﴿ربك﴾

المنسوبة إلى ﴿مثقال ذرة﴾. وقرئ: ﴿ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ﴾ بالرفع

على أصل الابتداء، وبالفتح على نفي الجنس كقولك: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله

بالرفع والنصب، وهو كلام مقطوع عما قبله. فإن قلت: هل يصح عطف المرفوع على

﴿مثقال ذرة﴾ كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغرُ وأكبرُ، وتكون زيادة لا لتأكيد

النفي، وعطف المفتوح على ﴿ذرة﴾ بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف، لأنه

قوله: (﴿لايعزب﴾ بالضم والكسر): الكسائي هنا وفي سبأ[1]، والكسر والباقون بالضم[2].

قوله: (وقرئ ﴿ولا أصغرَ من ذلك﴾): وهي مشهورة، والفتح شاذة[3].

قوله: (وبالفتح على نفي الجنس): وفيه إشكال؛ لأن قوله تعالى: ﴿ولا أصغرَ من ذلك﴾ مضارع للمضاف، نحو: لا خيراً منه، فلو كان ذلك لنفي الجنس لوجب فيه النصب كما نص عليه في «المفصل»[4]: لا خيراً منه قائمٌ هنا، (والصحيح) أنه منصوب على ... لما وضع النصب موضع الفتح في قوله: «لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله» بالرفع والنصب.

قوله: (وهو كلام مقطوع عما قبله): قال القاضي: هو جملة مؤكدة لنفي العزوب، و... الابتداء، ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس[5].

قوله: (هل يصح عطف المرفوع على ﴿مثقال ذرة﴾) إلى قوله: (وعطف المفتوح على

---

(1) يعني قوله تعالى: ﴿...﴾ [سبأ: 3].

(2) ...

(3) ...

(4) «المفصل» للزمخشري (ص...).

(5) «أنوار التنزيل» (3/...).

قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب. وعلى هذا حرف الاستثناء (إلا) إذا جعلت الضمير في ﴿عنه﴾ للغيب وجعلت ﴿أصغر﴾ اسماً [illegible] قبل أن تكتب في اللوح؛ لأن إثباته في اللوح نوع من البروز عن [illegible] على معنى: أنه لا ينفصل عن الغيب شيء، ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [٥].

وقرئ (معجزين)، و﴿أليم﴾ بالرفع والجر [illegible]

﴿رجز﴾[1] [illegible]

قوله: (وعلى ذلك حرف الاستثناء) لأن الاستثناء [illegible] لا يعزب عن عالم الغيب مثقال ذرة ولا أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه [illegible] في الكتاب [illegible] عنه، وإذا جعلت الضمير للغيب [illegible] أي: لا ينفصل عن الغيب [illegible] مثقال ذرة ولا أصغر منه ولا أكبر [illegible] في الكتاب [illegible] لأن ما في اللوح خارج من الغيب [illegible] للملائكة [illegible]

والمعنى على هذا [illegible] من علومه التي بعدها[2] [illegible] بالنسبة إلى ما [illegible] بالنسبة إلى [illegible]

قوله: (وقرئ (معجّزين)) بالتشديد: ابن كثير وأبو عمرو، والباقون: ﴿معاجزين﴾ بالألف، و﴿أليمٌ﴾ بالرفع: ابن كثير وحفص، والباقون بالجر[3].

قال الزجاج: ﴿معاجزين﴾ بمعنى: مسابقين، و(معجّزين) [illegible] من أمن بها [illegible] بمعنى [illegible][4].

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

[٦] ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [٦].

﴿وَيَرَى﴾ في موضع الرفع، أي: ويعلم أولو العلم، يعني أصحاب رسول الله ﷺ ومن يطأ أعقابهم من أمته، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ﴿الْحَقَّ﴾ هما مفعولان لـ(يرى)، و﴿هُوَ﴾ فصل. ومن قرأ (الحق) بالرفع جعل (هو) مبتدأ، و(الحق) خبراً، والجملة في موضع المفعول الثاني. وقيل: (ويرى) في موضع النصب معطوف على ﴿لِيَجْزِيَ﴾، أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لا يزاد عليه في الإيقان، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا. ويجوز أن يريد: وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغماً.

قوله: (﴿وَيَرَى﴾ في موضع الرفع) أي: ابتداء الكلام.

قوله: (ومن يطأ أعقابهم)، النهاية: في حديث عمر: أن رجلاً وشى به إلى عمر رضي الله عنه فقال: اللهم إن كان كذب فاجعله موطأ العقب[1]، أي: كثير الأتباع، دعا عليه أن يكون سلطاناً أو ذا مال فيتبعه الناس ويمشون وراءه، فيقع في الفتنة.

قوله: (ويجوز أن يريد: وليعلم من لم يؤمن)، عطف على قوله: "وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة"، هذان الوجهان مبنيان على أن ﴿وَيَرَى﴾ في موضع النصب، والماضي على القول الأول الوجهان، ويجوز أن يكون ﴿الْحَقَّ﴾ مفعولاً ثانياً على قراءة النصب، والضمير الفصل، وعلى قراءة الرفع الجملة سادة مسد المفعول الثاني. قال أبو البقاء: فاعل ﴿يَهْدِي﴾ ضمير، ويجوز أن يكون ضمير اسم الله، ويجوز أن يعطف على موضع الحق فيكون ﴿الَّذِي﴾ ... فيكون مفعولاً ثانياً، ويجوز أن يكون في موضع نصب الحال، أي: وهو يهدي[2].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٠١).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٦٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [٧-٨].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: قريش، قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا ﷺ، يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تبعثون وتنشؤون خلقًا جديدًا، بعد أن تكونوا رفاتًا وترابًا، ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق ﴿وَمُزِّقْتُمْ﴾: أي: يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد، أهو مفترٍ على الله كذبًا فيما ينسب إليه من ذلك؟ أم به جنون؟

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، على منوال قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وكقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤]، وقد وضع ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ موضع مقابل الذين آمنوا؛ لأن المعنى: ليثيبكم جزاء المؤمنين، وليعاقبكم أيها الساعون في إبطال آيات الله تعالى، وفيه إشعار بأن من [illegible] أخص، مكافئة له بأوصاف الكمال، ولذلك ورد: «[illegible]»[١]، وأنه مستحق بأن يُنكَّل بما لا مزيد عليه من العذاب والرجز الأليم، أعاذنا الله من ذلك.

قوله: (يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب): [illegible] عن هذا النبي بتسمية صلوات الله عليه [illegible] ونكّروه [illegible] من قبل [illegible] وأمر [illegible] منزلة من لا يعرف. قال صاحب «المفتاح»: [illegible] وهو أشهر [illegible] من الشمس، وهو من باب التجاهل[٢].

قوله: (أهو مفترٍ) إلى قوله: (أم به جنون): «أم» هذه تحتمل أن تكون متصلة وأن تكون منقطعة، وعلى الأول ظاهر كلام الجاحظ على ما روي أنه احتج بهذه الآية على أن [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) «المفتاح» [illegible]

بل ليس بصادق ولا كاذب (١) لأنهم حصروا دعوى النبي الرسالة في الافتراء وفي الإخبار حال الجنة (٢) [illegible] فثبت أن من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب.

وأجيب بأن الافتراء هو الكذب عن عمد، فهو نوع من الكذب، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون نوعًا منه، وهو الكذب لا عن عمد، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقًا (١).

وقلت: هذا جواب حسن لطيف لكن الأصل مدخول فيه من وجهين: أحدهما: أن [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

ألم تعلم مُسرَّحي القوافي ... فلا عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابا(١)

فهل يجوز أن يكون مكانًا؟ قلت: نعم، ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع، وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب، وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح. فإن قلت: ما العامل في «إذا»؟

قوله: (ألم تعلم مُسرَّحي) البيت(٢): المسرَّح: مصدر من سرح القوم الإبل إذا أرسلوها في المرعى.

مُسرَّحي أي: تسريحي فلا أعيا بهن إعياء(٣) ولا أجتلبهن اجتلابًا أي: انتحالًا.

قوله: (ما العامل في «إذا»)؟ قال الزجاج: في هذه الآية نظر لطيف، زعم أن «إذا» في موضع نصب بـ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ ولا يعمل فيها ﴿جَدِيدٍ﴾ لأن ما بعد «إنّ» لا يعمل فيما قبلها، المعنى: هل ندلكم على رجل يقول لكم: إنكم إذا مزقتم تبعثون، ويجوز أن يكون العامل مضمرًا يدل عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، المعنى: هل ندلكم على رجل يقول لكم: إذا مزقتم بعثتم إنكم لفي خلق جديد(٤) كقوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦](٥).

وقال أبو البقاء: لا يجوز أن يعمل فيها ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ لأن «إذا» مضافة إليه(٦).

وقال ابن الحاجب: «إذا» حينئذ بمنزلة «إذا» الشرطية يعمل فيها [illegible] الشرط.

إذا [illegible] كان وصلها ... خطايا إلى [illegible](٧)

---

(١) لجرير في ديوانه [illegible]

ألم [illegible] مسرحي القوافي

(٢) سقطت لفظة «البيت» [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

قلتُ: ما دلّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وهذا من تمام كلامه. فإن قلتَ: الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول؟ قلتُ: هو عند البصريين بمعنى فاعل، يقال: جَدَّ فهو جديد، كحَدَّ فهو حديد، وقلَّ فهو قليل. وعند الكوفيين بمعنى مفعول، من جدّه إذا قطعه، وقالوا: هو الذي جدّه الناسج الساعة في الثوب، ثم شاع، ويقولون: ولهذا قالوا: ملحفةٌ جديد، وهي عند البصريين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦] ونحو ذلك. فإن قلتَ: لم أُسقطت الهمزة في قوله: ﴿أَفْتَرَى﴾ دون قوله: ﴿السِّحْرُ﴾ وكلتاهما همزة وصل؟ قلتُ: القياس الطرح، ولكن أمرٌ اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو: ﴿السِّحْرُ﴾ وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر، لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام. فإن قلت: ما معنى وصف الضلال بالبعد؟ قلتُ: هو من الإسناد المجازي؛ لأن البعد صفة الضالّ إذا بَعُد عن الجادّة، وكلما ازداد عنها بُعدًا كان أضلّ. فإن قلتَ: كان رسول الله ﷺ مشهورًا علمًا في قريش،

قوله: (في الثوب) متعلّق بـ(قالوا)؛ أي: قالوا في الثوب: جديد؛ لأنه هو الذي جدّه أي قطعه الناسج الساعة، ثم شاع هذا اللفظ في كل شيء، ويقولون: ثوبٌ جديد وبيتٌ جديد وعلمٌ جديد.

قوله: (وهي) أي: الملحفة جديدٌ عند البصريين؛ أي: الأصل أن يقال: جديدة؛ لأنه حديث، لكن على التشبيه بفعيل الذي بمعنى مفعول نحو: قتيل وأسير؛ أي: كما لا يقال: قتيلة وأسيرة، ويقولون: فعيلًا بمعنى فاعل لا يلحق التاء، كريم وكرماء، وبصير وبصراء.

قوله: (دون قوله: ﴿السِّحْرُ﴾) أي: في قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ [يونس: ٨١] على الاستفهام في سورة يونس عليه السلام[1].

(١) وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء، وهي استفهام على جهة التوبيخ لأنهم قد علموا أنه سحر، ويجوز أن يكون استفهامًا على ... فيها، أجعت من قراءة ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾ ثم ابتدأ ﴿السِّحْرُ﴾ على ... بدل، أي: ... جئتم به السحر هو؟
انظر: الحجة للقراء السبعة ص ٣٣٨.

وكان إنباؤه بالبعث شائعًا عندهم، فما معنى قوله: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ فنكّروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه، كما يُدَلُّ على مجهول في أمر مجهول؟ قلت: كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية، فأخرجوه مخرج التحلّي ببعض الأحاجي التي يُتحاجى بها للضحك والتلهي، متجاهلين به وبأمره.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [٩]

أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض، وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم، لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل، ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفًا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول ﷺ وبما جاء به، كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله ﴿لَآيَةً﴾

قوله: (ببعض الأحاجي) الجوهري: حاجيته فحجوته: إذا فاتحته فغلبته، والاسم الأحجية[1]، وهي لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم[2].

قوله: (أعموا فلم ينظروا) يريد أن همزة الإنكار الداخلة على قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من حيث التقدير داخلة على معنى [illegible] (أمامهم وخلفهم) حال، والعطف بينهما عطف بيان له أو بدل.

قوله: (من ملكوت الله) أي: السماوات والأرض؛ لأن الفرار منهما إنما هو إلى الله [illegible]

قوله: (وما يدلان) عطف على الضمير المجرور، أي: والفكر فيما يدلان عليه، أو على السماء والأرض، وهو الأصح.

(١) في الصحاح (حجا): [illegible]
(٢) [illegible] الجوهري [illegible] في «الصحاح».
(٣) [illegible]

ودلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، مطيع له؛ لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به. وقرأ (يشأ) و(يخسف) و(يسقط) بالياء لقوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ: ٨] وبعده بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ و﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونه. وقرأ الكسائي (نخسف بهم) بالإدغام وليست بقوية.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا

قوله: (على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به) متعلق بقوله (ودلالة)، وهذا بيان لقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ تذييل لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ وتعريض بقلة النظر في منكري البعث والنظر في آيات الله، وإليه الإشارة بقوله: (لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله)، وفيه الإشارة إلى بيان نظم هذه الآية بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ وبقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ لأنه كالمتخلص منه إليه؛ لأنه من المنيبين المتفكرين في آيات الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

قال القاضي: قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى، وما يحتمل فيه إزاحة استحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا، وتهديدا عليهم[1].

قوله: (يشأ ويخسف ويسقط بالياء) حمزة والكسائي الأفعال الثلاثة بالياء، وأدغم الكسائي الفاء في الباء، والباقون بالنون فيهن، وقرأ حفص ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين، والباقون بسكونها[2].

قوله: (نخسف بهم بالإدغام وليست بقوية) المطلع: لزيادة صوت الفاء على صوت الباء؛ لأنه لا يجوز إدغام الزائد في الناقص.

---

(1) أنوار التنزيل (٤/ ٢٤٤).

(2) ينظر: [illegible]

[illegible] ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ: ١٠-١٣]

﴿ يا جبال ﴾ إما أن يكون بدلًا من ﴿ فضلًا ﴾، وإما من ﴿ آتينا ﴾ بتقدير قولنا يا جبال، أو قلنا يا جبال. وقرئ ﴿ أُوبي ﴾ و﴿ أَوِّبي ﴾ من التأويب والأوب

قوله: (بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال) [illegible] الأول [illegible] أن يكون بدلًا من ﴿ فضلًا ﴾ [illegible] ﴿ يا جبال ﴾، والثاني [illegible] بدلًا من ﴿ آتينا ﴾ [illegible] يا جبال أوبي معه [illegible].

قوله: (وقرئ ﴿ أُوبي ﴾ و﴿ أَوِّبي ﴾) [illegible] المشهورة [illegible].

[illegible] الأوب [illegible] لأن الأوب [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

قوله: (من التأويب والأوب) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أي: رجّعي معه التسبيح. أو: ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه؛ لأنه إذا رجّعه فقد رجع فيه. ومعنى تسبيح الجبال: أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحًا كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع منها ما يسمع من المسبِّح؛ معجزة لداود. وقيل: كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين، وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها. وقرئ: ﴿والطيرُ﴾ رفعًا ونصبًا عطفًا على لفظ الجبال ومحلّها، وجوّزوا أن ينتصب مفعولاً معه.

أمه. ويعضده ما روينا عن البخاري ومسلم وأبي داود عن عبد الله بن مغفل قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح، فرجّع فيها. قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل فقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجّعت كما رجّع ابن مغفل يحكي النبي ﷺ. فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: ءاءاء ثلاث مرات[1].

النهاية: الترجيع ترديد القراءة، وقيل: هو تقارب ضروب الحركات في الصوت، وقد حكى ابن مغفل ترجيعه بمد الصوت في القراءة، وهذا إنما حصل منه -والله أعلم- يوم الفتح؛ لأنه كان راكبًا فجعلت الناقة تحركه.

قال [illegible]: ﴿يا جبال أوبي معه﴾ سبّحي معه إذا سبّح، فقيل: هو تفعيل من الإياب وهو الرجوع، أي: رجّعي معه. قال القتيبي: أصله من التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله بالتسبيح معه[2].

قوله: ﴿والطير﴾ رفعًا ونصبًا، والنصب هي المشهورة، والرفع شاذ[3].

قوله: وجوّزوا أن ينتصب مفعولاً معه. قال الزجاج: ويجوز أن يكون ﴿والطير﴾ منصوبًا على معنى: مع، كما تقول: قمت وزيدًا، أي: قمت مع زيد، فالمعنى: أوّبي معه ومع الطير[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٧)، ومسلم (٧٩٤)، وأبو داود (١٤٦٧).

(٢) انظر: [illegible] (ص٣٥٢).

(٣) الرفع قراءة الأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو. انظر: [illegible] (٢/١٨٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٤٥).

وأن يعطف على ﴿فضلا﴾ بمعنى: وسخرنا له الطير. فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: ﴿وآتينا داود منا فضلا﴾ تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما! ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية، حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا؛ إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته، غير ممتنع على إرادته. ﴿وألنا له الحديد﴾ وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة. وقيل: لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة. وقرئ: (صابغات)، وهي الدروع الواسعة.

قوله: (وأن يعطف على ﴿فضلا﴾)، قال الزجاج: حكاها أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء، وهو كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا

وإليه الإشارة بقوله: (وسخرنا له الطير)، وعن بعضهم: يجوز أن يكون منادى، إلا أنه على: أعني الجبال والطير[1].

قوله: (الفخامة)، أي: من حيث المعنى، ونحوه قوله تعالى: ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ [البقرة: ٢٤٣]، أي: أماتهم الله، وقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥]، أي: فمسخهم قردة، وهو أمر على سبيل التسخير، وفخامته ظاهرة للناظر.

قوله: (وناطق وصامت): عطف تفسير لقوله: (حيوان وجماد).

الراغب: النطق في التعارف: الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان، ولا يكاد يقال إلا للإنسان، ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع، نحو: الناطق والصامت، فيراد بالناطق: ما له صوت، وبالصامت: ما لا صوت له[2].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٥).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨١٠).

الصافنة، وهو أول من اتخذها، وكانت قبل صفائح. وقيل: كان يبيع الدرع بأربعة آلاف، فينفق منها على نفسه وعياله، ويتصدق على الفقراء. وقيل: كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرًا، فيسأل الناس عن نفسه، ويقول لهم: ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه، فبعث الله له ملكًا في صورة آدمي فسأله على عادته، فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه، فريع داود فسأله، فقال: لولا أنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع. ﴿وقدر﴾: لا تجعل المسامير دقاقًا فتقلق، ولا غلاظًا فتفصم الحلق. والسَّرْدُ: نسج الدروع. ﴿واعملوا صالحًا﴾ لداود وأهله. ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح﴾ فمن نصب، ولسليمان الريح مسخرة فمن رفع، وكذلك فمن قرأ الأرياح بالرفع ﴿غدوها شهر﴾

قوله: (الصافنة)، الجوهري: [illegible]

قال الزجاج: معنى السابغ: الذي يغطي كل ما تحته حتى يفضل عنه[1].

من عطفهما قوله تعالى: ﴿أن اعمل سابغات﴾ (أن) مفسرة؛ لأنه في "وألنا له الحديد" [illegible] معنى قلنا له: اعمل سابغات، أو تكون في معنى: لأن يعمل سابغات، ويجوز (أن) بمعنى (أي) [illegible]: أرسل إليه أن قم؛ أي: قال له: قم، أو يكون بمعنى: أرسل إليه بأن يقوم إلى فلان.

قوله: (والسرد: نسج الدروع)، قال الزجاج: السرد في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا، ومنه: فلان يسرد الحديث[3].

قوله: ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح﴾ فمن نصب، أي: [illegible] الريح بالرفع [illegible][4]. قال الزجاج: ومعنى الرفع: ثبت لسليمان الريح، [illegible]

---

(1) معاني القرآن وإعرابه (4/ 244).

(2) [illegible]

(3) معاني القرآن وإعرابه (4/ 245).

(4) [illegible]

غدوُّها بالغداة مسيرة شهر، ورواحها بالعشيّ كذلك. وقُرئ: (الغدوة) و(الرَّوحة).
وعن الحسن رضي الله عنه: كان يغدو فيقيل بإصطخر، ثم يروح فيكون رواحه بكابل.
ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبًا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان:
نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيًّا وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه
فبائتون بالشام إن شاء الله. (القطر): النحاس المذاب من القطران. فإن قلت: ما
أراد بـ﴿عَيْنَ الْقِطْرِ﴾؟ قلت: أراد بها معدن النحاس، ولكنه أساله كما ألان الحديد

معنى [illegible] إذا قلت: لله الحمد، [illegible] وهو راجع إلى معنى: أحمد الله الحمد)[1].

قوله: (غدوها بالغداة مسيرة شهر، ورواحها بالعشي كذلك)، قال مكي: مسيرة غدوها مسيرة شهر، وكذلك ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾، وإنما احتيج إلى حذف لأن الغدو والرواح ليسا بالشهر، وإنما يكونان فيه[2].

وقال ابن الحاجب في «الأمالي»: الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغدو وزمن الرواح، والألفاظ التي تأتي مبيّنة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار، ألا ترى أنك تقول: [illegible] فلا يحسن الإضمار [illegible] في التمييز، وأيضًا فإنه لو أضمر فالفصيح أن يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته، فإذا لم يقصد وجب العدول عن المضمر إلى الظاهر، ألا ترى [illegible] [illegible] إلى أن [illegible] من جعل الظاهر موضع المضمر[3].

قوله: (النحاس المذاب من القطران)، [illegible] وهو [illegible] [illegible] منه.

---

(١) انظر: [illegible] (٢/ ٢٠٢).
(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن [illegible].
(٣) انظر: الأمالي [illegible] (٢/ ٢٢٢).

لداود، فنبع كما ينبع الماء من العين؛ فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه، كما قال: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]. وقيل: كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ [illegible] ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾: ومن يعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان. وقرئ: (يُزِغ) من أزاغه. و﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: عذاب الآخرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن السدي: كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني. المحاريب: المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال، سميت محاريب؛ لأنه يحامى عليها ويذب عنها. وقيل: هي المساجد. والتماثيل: صور الملائكة والنبيين والصالحين، كانت تعمل في المساجد من نحاس

الراغب: القطر: الجانب، وقطرته: ألقيته على قُطره، وتقطّر: وقع على قُطره، وتقاطر القوم: جاؤوا أرسالًا كالقطر، ومنه قطار الإبل، والقطر: [illegible] ما يقطر من أقطاره[1].

قوله: (باسم ما آل إليه) يعني: أصله السيلان[2]، لما [illegible] القطر [illegible] مثل الماء ينبع كما ينبع، ولما كان المآل إلى هذا قبل إسالته: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه.

قوله: (وقيل: كان يسيل في الشهر) روى محيي السنة عن المفسرين: أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء[3].

قوله: (سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها) روي عن الأصمعي أنه قال: يقال: رجل حَرِبٌ وحَرِبْت [illegible] [illegible] من قول [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible][4]

---

(١) المفردات ص(٦٧٧).

(٢) في (نسخة) [illegible].

(٣) معالم التنزيل [illegible].

(٤) [illegible]

وصُقُور وزُجاج وزُجاجات تراها الناس فيعجبوا نحو ما نراهم. فإن قلت: كيف استجاز سليمانُ عليه السلام عمل التصاوير؟ قلتُ: هذا مما يجوزُ أن تختلفَ فيه الشرائع؛ لأنه ليس من مقبّحات العقل كالظلم والكذب. وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصُّور إذ ذاك محرّمًا. ويجوز أن تكون غير صُور الحيوان كصور الأشجار وغيرها؛ لأن التمثال كلُّ ما صُوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان. أو تُصوّر محذوفة الرؤوس. ويروى: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيّه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما. والجوابي: الحياض الكبار. قال:

تَرُوحُ عَلَى آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

لأن الماء يجبى فيها، أي: يُجمع. جعل الفعل لها مجازًا، وهي من الصفات الغالبة

[illegible]

قوله: (تروح على آل المحلق) البيت، يعني [illegible] المحلق، وهو [illegible] قول الأعشى [illegible]

[illegible]

تفهق: تمتلئ حتى تطفح، يقال: فهق الإناء بالماء يفهق فهقًا إذا امتلأ حتى يتصبب، وإنما خص الشيخ العراقي لأنه لا [illegible] (١) [illegible]. وقيل: أراد بالشيخ العراقي كسرى. وفي ديوان الأعشى: «السيح» بالسين والحاء المهملتين، أي: الماء الجاري على وجه الأرض. وقيل: أراد به الفرات (٢).

وأما قول المصنف: «جعل الفعل لها» أي: «تروح» أسند إلى الجفنة. والظاهر أن الجابية [illegible] الأصل [illegible] فيها [illegible] كما قيل في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]، وقرئ [illegible] وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: 6]. ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ﴾ حكايةُ ما قيل لآل داود، وانتصاب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه مفعولٌ له، أي: اعملوا له واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه، وفيه دليلٌ على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر، أو على الحال، أي: شاكرين، أو على تقدير اشكروا شكراً؛ لأن ﴿اعْمَلُوا﴾ فيه معنى اشكروا من حيثُ إنَّ العمل للمنعم شكرٌ له، ويجوز أن ينتصب بـ﴿اعْمَلُوا﴾ مفعولاً به، ومعناه: إنا سخرنا لكم الجنَّ يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً، على طريق المشاكلة. و﴿الشَّكُورُ﴾: المتوفرُ على

قوله: (وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة): كلُّهم إلا ابن كثير وأبا عمرو و[illegible][1]. قال الزجاج: كان الأصلُ الوقفَ بالياء إلا أن الكسرة تنوب عنها [illegible] والوقفُ عليها بغير ياء [illegible][2] [illegible] فأحذف الألف [illegible] على ما كانت عليه قبل [illegible][3].

قوله: (ويجوز أن ينتصب بـ﴿اعْمَلُوا﴾ مفعولاً به) إلى قوله: (طريق المشاكلة) يعني: [illegible] الكلام: الشكر [illegible] ﴿اعْمَلُوا﴾ [illegible] قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ﴾.

قال ابن الحاجب: يجوز أن يكون مفعولاً به؛ لأن الفعل له تعلُّقٌ بالشكر، كما تقول: [illegible] ويجوز أن ينتصب على المصدر؛ لأنه نوعٌ من العمل، نحو: قعدتُ القرفصاء، وإما لأنه إذا عملوا فقد تضمن ذلك شكراً[4] [illegible] العمل [illegible] ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ [النساء: 24][5]، هذا الذي [illegible] المصنفُ بقوله

---

(1) انظر: [illegible]

(2) [illegible]

(3) «معاني القرآن» للزجاج [illegible]

(4) زيادة من [illegible]

(5) «أمالي ابن الحاجب» [illegible]

أنواع الشكر [illegible]، قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً واستعمالاً، وأكثر أوقاته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من يشكر على [illegible]، وعن الشاذلي: من يشكر على الشكر. وقيل: من يرى عجزه عن الشكر. وعن داود [illegible]

إلى العبد الشكور شكراً له»

قوله: (قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه) لف، وقوله: (اعتقاداً واعترافاً واستعمالاً) نشر، وهو ينظر إلى قوله في الفاتحة: «وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح».

الراغب: الشكر تصور النعمة وإظهارها، وقيل: هو مقلوب الكشر، أي: الكشف، ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها، ودابة شكور: مظهر بسمنه إسداء صاحبه، وقيل: أصله من عين شكرى، أي: ممتلئة، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم، والشكر ثلاثة أضرب: شكر بالقلب، وهو تصور النعمة، وشكر باللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر بسائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ [سبأ: ١٣] قيل: انتصابه على التمييز، أي: اعملوا ما تعملونه شكراً لله، وقيل: مفعول له، وذكر ﴿اعملوا﴾ ولم يقل: ﴿اشكروا﴾ لينبه على التزام الأنواع الثلاثة[1].

قوله: (من يشكر على الشكر) وعليه قال:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة	عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله	وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها	وإن مس بالضراء أعقبها الأجر[2]

(*) ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم﴾ [النساء: ٢٤] [illegible] البخاري في [illegible] (١١٩٣) [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

(1) المفردات [illegible]

(2) الأبيات لمحمود الوراق [illegible]

[illegible] ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل، فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

[﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ١٤]

قرئ: "فلما قُضي عليه الموتُ". "دابة الأرض": الأرضة، وهي الدويبة التي يقال لها: السُّرفة، والأرض فعلها، فأضيفت إليه. يقال: أَرَضَت الخشبةُ أرضاً: إذا أكلتها الأرضة. وقرئ بفتح الراء، من أَرِضَت الخشبةُ أَرَضاً، وهو من باب فعلته ففعل، كقولك: أكلت القوادحُ الأسنانَ أكلاً، فأكِلت أكَلاً. و"المنسأة": العصا؛ لأنه

وهو أيضاً معنى قوله: "وقليل من يؤدي حقه من الشكر".

قوله: (السُّرفة)، النهاية: دويبة صغيرة تثقب الشجرة وتبني فيها بيتاً، يضرب بها المثل، فيقال: أصنع من سُرفة[1].

الراغب: [illegible]

قوله: (والأرض فعلها)، أي: أكلها الخشب، [illegible] الأرضة مصدر.

قوله: (بفتح الراء)، أي: في "دابة الأرض"، أي: من الباب الذي يكون مضمومه العين متعدياً ومكسور العين لازماً، ولذلك قال: من أَرِضت الخشبةُ بالكسر.

قوله: (أكلت القوادحُ الأسنانَ)، الجوهري: القادح: الدود في الأسنان والشجر، [illegible]

---

(١) "النهاية" ([illegible]).

منسأته أي بعصاه، وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبًا وحذفًا، وكلاهما ليس بقياس، ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي. (ومنسأته) على مفعلة كما يقال في (ميضأة) ميضاءة. (ومن سأته) أي من طرف عصاه، مشتقة من سأة القوس على الاستعارة، وفيها لغتان كقحة.

قوله: (وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبًا وحذفًا)، وفي «التيسير»: نافع وأبو عمرو: (منساته) بألف ساكنة بدلًا من الهمزة، والبدل مسموع، وابن ذكوان: بهمزة ساكنة، ومثله قد يجيء في الشعر لإقامة الوزن، وأنشد الأخفش الدمشقي:

صريع خمر قام من وكأته ... كقومة الشيخ إلى منسأته

والباقون: بهمزة مفتوحة، وحمزة إذا وقف جعلها بين بين على أصله[1].

قال ابن جني: المشهور: ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ و(منساته) بالهمز، وبالبدل من الهمزة، وهي العصا مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته. قال الفراء: هي من سية القوس[2]، وهي مهموزة، وهي عند الفراء سِئة [illegible] والمشهور سِيَة كالضعة والقحة والقِحة والضِّعة، والقصر [illegible] على العصا لا سية القوس، [illegible] أو إن كانت الشية [illegible] من [illegible] فهي فلة، وفاؤه محذوفة نحو العدة والزنة والضعة والقحة، وأما لامه فأوله لا [illegible] وإنما ما حذفت [illegible] وهي [illegible] وسية القوس [illegible] واللام محذوفة.

قال أبو عمرو: ومن ترك همزة (المنساة) قال: وجدناها في كتاب الله تعالى أمثالًا: ﴿[illegible] ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الحديد: ١١] و﴿لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]، وقال أبو عمرو: [illegible] [illegible] تركت [illegible] والمروة أصله [illegible][3].

قوله: (على الاستعارة) أي: اللفظية لا المعنوية، [illegible] في قوله: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، [illegible] [illegible] [illegible].

---

(١) «التيسير في القراءات السبع» (ص ١٨١).

(٢) [illegible] [illegible].

(٣) «المحتسب» (٢/ ١٨٧).

قحة وقحة. وقرئ: (أكلت منسأته). ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء: إذا ظهر وتجلى. و﴿أَن﴾ مع صلتها بدل من ﴿الْجِنُّ﴾ بدل الاشتمال، كقولك: تبين زيد جهله، والظهور له في المعنى، أي: ظهر أن الجن ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ﴾، أو علم الجن كلهم علمًا بيّنًا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم، وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب، أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب، وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد

قوله: (قحة وقحة) الجوهري: وقُح الرجل إذا صار قليل الحياء، فهو وقِح ووقاح بيّن القحة، بفتح القاف وكسرها، والهاء عوض من الواو، وكذلك سية القوس، وهي ما عطف من طرفيها، والجمع سيات، والهاء عوض من الواو.

قوله: (﴿أَن﴾ مع صلتها بدل من ﴿الْجِنُّ﴾)، وقيل: بدل من الفعل، وهو أمر، أي: تبين أمر الجن، وعلى التقدير الأول محله رفع.

قوله: (والظهور له) أي: للجهل في المعنى، يعني: أصله: تبيّن جهل زيد، بمعنى ظهر، وفي المعنى الظهور للجهل لا لزيد، فجيء بزيد توطئة، وعليه قوله: «ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون» أي: ظهر جهل الجن للناس.

قوله: (أو علم الجن) عطف على: «﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء»، يعني: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ يجوز أن يكون لازمًا وأن يكون متعديًا.

الجوهري: تبيّن الشيء، أي: ظهر، وتبينته أنا، يتعدى ولا يتعدى. فعلى معنى اللازم أشار بقوله: «ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب»، وعلى أن يكون متعديًا إذا جعل التعريف في «الجن» للجنس كان المعنى كما قال: «أو علم الجن كلهم علمًا بينًا» إلى آخره، وإذا جعل للعهد والمراد الجن المدعون فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر فيفيد بحسب المقام معنى التهكم، وأن يقال: لو علم المدعون علم الغيب عجزهم، كما تقول لمن يدعي معرفة الشيء وهو جاهل: [illegible] قد علمت أنك لا تقدر على شيء من هذه المسائل، واعترف أنه ليس له علم.

قوله: (عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب) قيل: [illegible] على قوله: «أو علم الجن كلهم»

لتهكّمٌ بهم كما تتهكّمُ بمدّعي الباطل إذا دحضت حجّته، وظهر إبطاله بقولك: هل تبيّنت أنك مبطل، وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبيّناً. وقُرئ: (تُبُيِّنت الجنّ) على البناء للمفعول، على أنّ المتبيَّن في المعنى هو ﴿أن﴾ مع ما في صلتها، لأنه بدل. وفي قراءة أُبيّ: (تبيّنت الإنس)، وعن الضحاك: (تباينت الإنس) بمعنى: تعارفت وتعالمت. والضمير في ﴿كانوا﴾ للجنّ في قوله: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ [سبأ: ١٢]، أي: علمت الإنس أن لو كان الجنّ يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا. وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب). وروي أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال، فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله، فيسألها: لأيّ شيء أنتِ؟ فتقول: لكذا، حتى أصبح ذات يوم فرأى الخرّوبة فسألها، فقالت: نبتُّ لخراب هذا المسجد، فقال: ما كان الله ليخربه

وقوله: «وعلم المتقدمون» أنّه تعدّى هو مفعولٌ الثاني وحُذف مفعولُ الأول لدلالة ما قبله، ووجهٌ الوجهة الأخير قوله: «وإن كانوا يعلمون قبل ذلك بحاله» إلى آخره.

قوله: (على أن المتبيّن في المعنى) يعني: «تُبيّنت» في ﴿تبيّنت الجنّ أن لو كانوا﴾ مسندة على أنّ المتبيّنة «أنْ» مع ما في صلتها، و«الجنّ» كالتوطئة، ومرجعه إلى الوجه الأول.

قوله: (تبيّنت الإنس) قال ابن جني: هي قراءة ابن عباس والضحاك وعليّ بن الحسين، أي: تبيّنت الإنسُ أنّ الجنّ لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، ويدلُّ عليه ما رواه بعضٌ عن ابن عباس قال: في مصحف عبد الله: «تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون ما لبثوا»[1].

قوله: (الخرّوبة) النهاية: في حديث سليمان عليه السلام: «كان ينبت كلّ يوم في مُصلّاه شجرة فيسألها: ما أنتِ؟ فتقول: أنا شجرة كذا أنبت في أرض كذا، دواءٌ من داء كذا

(1) انظر: المحتسب لابن جني (2/190).
(2) النهاية (2/...).

فمات قبل أن تتمه، فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة سأل أن يُعمّي عليهم موته حتى يفرغوا منه، ليبطل دعواهم علم الغيب. رُوي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها، فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه. وكان عمر سليمان ثلاثًا وخمسين سنة، ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فبقي في مُلكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من مُلكه.

[﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [١٥ - ١٧]

قرئ: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصرف ومنعه، وقلب الهمزة ألفًا.

قصة فيها: رُوي أن هارون مات في التيه، ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر(١).

ويروى في حديث [illegible] رواه عن البخاري ومسلم والنسائي عن النبي ﷺ: «فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر» قال رسول الله ﷺ: «فلو كنتُ ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»(٢).

قوله: (قرئ: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصرف ومنعه) البزي وأبو عمرو: بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل: بإسكانها على نية الوقف، والباقون: بالخفض مع التنوين(٣). قال الزجاج: مَن لم يصرف جعله اسمًا للقبيلة، ومن صرفه جعله اسمًا للحي أو الجد(٤).

---

(١) تفسير الكشاف (٥/ ١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: السبعة لابن [illegible] (ص ٥٢٨)، [illegible] (٤٤٤، ٢٤٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤٦).

﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بفتح الكاف وكسرها، وهو موضع سكناهم، وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها، أو مسكن كل واحد منهم، وقرئ: «مساكنهم». و﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان. وفي الرفع معنى المدح، تدل عليه قراءة من قرأ: «جنتين» بالنصب على المدح. فإن قلت: ما معنى كونهما آية؟ قلت: لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما، وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم. ويجوز أن تجعلهما آية،

قوله: (﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بفتح الكاف وكسرها)، حفص وحمزة بإسكان السين وفتح الكاف، والكسائي كذلك غير أنه يكسر الكاف، والباقون بفتح السين وكسر الكاف «مساكنهم»(1).

قال مكي: من قرأ بالتوحيد وفتح الكاف جعله مصدرًا ولم يجمعه، وأتى به على القياس، لأن «فعَل يفعُل» قياس مصدره بالفتح نحو المقعد والمدخل، وقيل: هو اسم للمكان [illegible] عن الجمع، ومن كسر الكاف جعله اسمًا للمكان كالمسجد، وقيل: هو مصدر خرج عن الأصل كالمطلع(2).

قوله: (ويجوز أن تجعلهما آية)، أي: علامة دالة على الله وعلى قدرته، فعلى الأول المضاف محذوف، وعلى الثاني هو مثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91]، قال: جعلهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل(3).

اعلم أن في مثل هذه الآية نحوين: أن يتنعم بها المكلف من حيث الامتنان [illegible] من النعم [illegible] ما أنعم عليهم، أو من حيث القدرة الكاملة والإحسان إليهم [illegible] ليشكر الله عليه، وهذا معنى [illegible] الشكر [illegible]

---

(1) انظر: [illegible]

(2) انظر: الكشف لمكي [illegible]

(3) انظر: الكشاف [illegible]

آية: علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره. فإن قلت: كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية، ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت؟ قلت: لم يرد بستانين اثنين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين: جماعة عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة، كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ [الكهف: ٣٢]. ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما قال لهم لسان الحال، أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك. ولما قال: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ أتبعه قوله: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ يعني: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره، ومن

[illegible] نعمة أو [illegible] نعمة[1]، وإلى الأول الإشارة بقوله: «[illegible] إلى ما كانوا عليه من الكفر»، وإلى الثاني بقوله: «وإحسانه ووجوب شكره».

قوله: (لم يرد بستانين اثنين فحسب) أي: ﴿جنتان﴾ إما بدل من ﴿آية﴾ أو خبر مبتدأ محذوف، والجملة بيان، [illegible] ﴿آية﴾ [illegible] محمول على ﴿آية﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾، وينبغي أن تحمل ﴿جنتان﴾ على الكل إما باعتبار الجنس [illegible] وإليه الإشارة بقوله: «وإنما أراد جماعتين من البساتين» أو باعتبار أفراد الجنس وهو المراد من قوله: «أو أراد بستاني كل رجل منهم» [illegible] لسان حال [illegible] إلى أن أهل تلك البلاد [illegible].

قوله: ([illegible]) [illegible] وصف البلدة بالطيبة [illegible] تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ [الأعراف: ٥٨] [illegible] بقوله: «هذه البلدة

---

(1) [illegible] (١/ ٢٢٩) [illegible]
[illegible]
(١/ ١٨٨)

ابن عباس رضي الله عنهما: كانت أخصب البلاد وأطيبها؛ تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر ﴿طَيِّبَةٌ﴾ لم تكن سبخة. وقيل: لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية. وقرئ: (بلدةً طيبةً وربًّا غفورًا) بالنصب على المدح. وعن ثعلب: معناه: اسكنوا واعبدوا. ﴿الْعَرِمِ﴾ الجرذ الذي نقب عليهم السكر؛ ضربت لهم بلقيس الملكة سدًّا ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقًا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فلما طغوا قيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًّا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله نعمة، فسلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم. وقيل: العرم جمع

التي فيها: آيتكم بلدة طيبة، إلى قوله: غفور لمن شكره، وإيذانًا بأن شكرهم لم يكن وافيًا بتلك النعمة، وأنه تعالى يرضى عنهم بقليل الشكر من تلك النعمة[1].

قوله: (اسكنوا واعبدوا) أي: اسكنوا هذه طيبة، واعبدوا ربًّا غفورًا.

قوله: (الجرذ) الجوهري: الجرذ: ضرب من الفأر، والجمع جرذان. والخلد: ضربٌ من الجرذ، قيل: إنه أعمى، لا يرى شيئًا إلا حاسة عند حضور أجله.

الراغب: قيل: العرم: الجرذ الذكر، ونسب إليه السيل لأنه هو الذي نقب المسناة. وقيل: العرامة: شراسة وصعوبة في الخلق، وتظهر بالفعل، يقال: عرم فهو عارم وعرم، ومنه: عُرام الجيش، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]، وقيل: العرم: المسناة[2].

قوله: (والقار) الجوهري: القار: القير، والقارة: الأكمة، وجمعها قار.

قوله: (فحقنت) الأساس: حقن الدم في الشفاه، حقنه: أبقاه، ومنه: الحقن، أي: [illegible].

---

(١) هذه الفقرة ساقطة من (ح) و(ط).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص [illegible]).

عرمة وهي الحجارة المركومة، ويقال للكُدْس من الطعام: عرمة، والمراد المُسَنّاة التي عقدوها سِكْرًا. وقيل: العرم اسم الوادي، وقيل: العرم الجُرَذ، وقيل: المطر الشديد، وقرئ: (العَرْم) بسكون الراء. وعن الضحاك: كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وقرئ: (أُكْلِ) بالضم والسكون، وبالتنوين والإضافة، والأُكُل: الثمر، والخَمْط: شجر الأراك، وعن أبي عبيدة: كل شجر ذي شوك، وقال الزجاج: كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله، والأثل: شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودًا. ووجه من نوّن أن أصله: ذواتي أكلٍ أكلِ خمطٍ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

قوله: (للكُدْس)، الأساس: كُدْس من الطعام والدراهم، ومن المجاز: عرمت بالكداس من الطعام، وتكدّست الخيل: اجتمعت وركب بعضها بعضًا في سيرها.

قوله: (المُسَنّاة) وهي: ما يبنى للسيل ليرد الماء.

قوله: (عقدوها سِكْرًا)، الجوهري: السَّكْر: مصدر سكرت النهر أسكره سكرًا: إذا سددته، والسِّكْر بالكسر: العرم.

والشكل في الكتاب عطف مغايرة نحو قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

قوله: (وقرئ: أُكْلِ بالضم والسكون والتنوين والإضافة)[١]، أبو عمرو: بضم الكاف مع الإضافة، ونافع وابن كثير: بالسكون منونًا، والباقون: بالضم من غير إضافة، وعن بعضهم: التقدير: أكلٍ ذي خمط، وقيل: هو بدل منه، وخص خمطًا أكله لمجاورته إياه وإلزامه له[٢].

قوله: (ووجه من نوّن) يعني: التنوين في ﴿أُكُلٍ﴾ مُشكل، إذ لا يجعل ﴿خَمْطٍ﴾ بدلًا منه على حذف مضاف أو صفة على تأويل الخمط الذي هو اسم الشجر بمعنى

(١) [illegible]

(٢) انظر: «حجة القراءات» [illegible]

أو وصف الأكل بالخمط، كأنه قيل: ذواتي أكلٍ بشعٍ. ومن أضاف، وهو أبو عمرو وحده، فلأنّ أكل الخمط في معنى البرير، كأنه قيل: ذواتي برير. والأثل والسدر معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾، لا على ﴿خَمْطٍ﴾؛ لأنّ الأثل لا أكل له. وقرئ: (وأثلًا وشيئًا) بالنصب عطفًا على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾. وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة، وفيه ضربٌ من التهكم. وعن الحسن رحمه الله: قلّل السدر؛ لأنه أكرم ما بدّلوا. وقرئ: (وهل يجازى)، ﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾ بالنون، (وهل يجازي) والفاعل الله وحده، (وهل نجزي). والمعنى: أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر.

يُشبه لبشاعة الوصف به. قال الزجاج: كل شجرٍ ذي شوكٍ فيه مرارة حتى لا يمكن أكلُه فهو خمط[1].

قوله: (في معنى البرير)، النهاية: البرير: ثمر الأراك إذا اسودَّ وبلغ، وقيل: هو اسمٌ له في كل حال.

البرير: بالباء الموحدة والراء، والياء المنقطة من تحت نقطتين والراء.

قوله: (كأنه قيل: ذواتي برير)، والإضافة للبيان بمعنى: باب ساج، والمضاف إليه بمعنى برير، ومن ثَمّ قال: "والأثل والسدر" معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾؛ إذ لو عطف على ﴿خَمْطٍ﴾ لزم أن يكون لها ثمر، ولا ثمر لها. قال صاحب "الفرائد": الأكل الثمر، والخمط الأراك، والبرير ثمر الأراك، فقوله: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ يساوي: ذواتي برير، فلا فائدة في هذا التقدير، أي: تقدير تفسير الخمط بالأراك دون كل شجرٍ ذي شوك، ليعطي الفائدة مرتبة بلا ذلك، وأقول: إنها بيان مشاكلة، والمقام يقتضيه.

قوله: (﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾): حفص وحمزة والكسائي: بالنون وكسر الزاي، ﴿إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بالنصب، والباقون: بالياء وفتح الزاي، و"الكفور" بالرفع[2].

قوله: (والمعنى: أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر)، ومعنى المثل مستفادٌ من

---

(1) "معاني القرآن وإعرابه" (٤: ٢٤٩).

(2) انظر: "الحجة للقراء السبعة" ص٥٨٥.

بالياء قراءة ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ تنويعاً لقوله ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾، وذلك في مثل هذه المواضع لمعنى [illegible] وهو الجملة، وذلك أنه [illegible] أو عقاب أخرويّ على مرتكبيه [illegible] بأن [illegible] فيه مستحقٌّ [illegible] بعده أي ذلك الجزاء لأهل العصيان [illegible] [illegible].

قال صاحب «الانتصاف»: قوله: أي مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر، صحيح، ولكن قوله: وهو العقاب العاجل، مطعون فيه؛ لأن المؤمن يبتلى بالعقاب العاجل أيضاً، فقد جاء في الحديث: «جعل عذاب هذه الأمة في الدنيا»[1]، وقال تعالى: ﴿[illegible] مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] وقوله: [illegible] في الآية منطقٌ به يعرف بالتأمل، والوجه أن يقال: وهل يجازي بمثل هذا الجزاء وهو الاستئصال الشامل إلا الذي بالغ في الامتناع من الشكر وكان في غاية كفره ﴿ٱلْكَفُورَ﴾ دون «الكافر» لأنه يشعر من كثرة [illegible] ولا يعاقب بمثل هذا إلا الذي بلغ هذا الحد من الكفر، ويلزم أن يكون الكفور كافراً؛ لأن المؤمن لا يكون ممتنعاً من الشكر بهذه المثابة.

وقلت: ويمكن أن يستنبط هذا المعنى من قوله: وليس المؤمن تكفّر سيئاته بحسناته [illegible] يعني: مثل هذا الجزاء أي: العقاب الذي يكون محيطاً بجميع ما عمله من سوء لا يستحقه المؤمن؛ لأن المؤمن تكفّر سيئاته بحسناته، والكافر هو الذي يستحقه لأن حسناته محبطة فيجازى بجميع ما عمله من السوء، فإذا [illegible] في قوله: العقاب العاجل المعهود، وهذا من قول الإحباط [illegible] إن الله [illegible] في الكفور وعن الكفور، وجوابه: أن المؤمن يكفّر عنه سيئاته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] والكافر محبط عمله فيجازى بكل سوء يعمله لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

(١) أخرجه [illegible] في [illegible] [illegible] من حديث [illegible] أبي موسى الأشعري.

(٢) [illegible]

وهو العقاب العاجل. وقيل: المؤمن تُكَفَّر سيئاته بحسناته، والكافر يُحبَط عمله فيُجازى بجميع ما يفعله من السوء. ووجه آخر: وهو أنّ الجزاء عامٌّ لكلّ مكافأة، يُستعمل تارة في معنى المعاقبة، وأخرى في معنى الإثابة، فلمّا استُعمل في معنى المعاقبة في قوله: ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بمعنى: عاقبناهم بكفرهم، قيل: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بمعنى: وهل نعاقب؟ وهو الوجه الصحيح. وليس لقائل أن يقول: لم

قوله: (أنّ الجزاء عامٌّ لكلّ مكافأة)، أي: مشترك في معنيَين متضادَّين، فاحتيج إلى تعيين المراد بالقرينة المخصِّصة، ثم قرر هاهنا بقوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ تعيَّن المراد، ثم قيل: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ تأكيداً له تذييلاً، فيكون معناه معناه، وهو المراد من قوله بعد هذا: المراد الجزاء العام، إنما أراد الخاص، ومن قوله: فلا يجوز أن يراد العموم، وليس من موضعه؛ ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا المعاقَب، والمؤمن لا يعاقَب؟ فمعنى هذا قوله: وليس لقائل أن يقول: لا افتقار إليه، ولعل مراد صاحب «الفرائد» من قوله: ولقائل أن يقول: [illegible] فيه هذا. ويمكن أن يكون أصل الكلام: فهل نجازي إلا المعاقَب [illegible] ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾.

قوله: (وهو الوجه الصحيح)، مشعر بأن في الآية وجوهاً، لكن الصحيح هذا، ووجهه أن الوجه الأول ليس بقوي لاختصاص الجزاء والمجازاة فيه بالشر دون الخير، انتهى.

قال ابن جني: أخبرنا أبو علي أنه قال أبو إسحاق: يقال: جزيت الرجل في الخير، وجازيته في الشر، واستدل عليه بقراءة العامة: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾، وقرأت على أبي علي عن أبي زيد:

[illegible] ... [illegible]
جزى الله [illegible] ... فقال مازن [illegible]

ويمكن أن يكون أبو إسحاق يقول: يريد «جزيت» إذا استُقبل، وإذا تعدى إلى المفعول الثاني [illegible] إلى قوله.

(١) في [illegible]: «لكل مكافأة» في [illegible].

قيل: وهل نُجازي إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء، والجزاء عامٌّ للكافر والمؤمن؟ لأنه لم يُرد الجزاء العام، وإنما أراد الخاص، وهو العقاب، بل لا يجوز أن يُراد العموم وليس بموضعه. ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا، وهل نجازي إلا

جزتني الأعداء [illegible] ... وكنت [illegible] [1]

وأما قراءة ابن [illegible]: «وهل يُجزى إلا الكفورُ»[2] فوجهها: إذا كان الجزاء عن الحسنة عشرة فذلك تفضُّل وليس جزاء، وإنما الجزاء في تعادل العمل والحساب والثواب فيه، [illegible] حيث يقول:

[illegible] ... [illegible] [3]

ويروى [illegible] على [illegible] المجازاة أي [illegible]، ويقال في المغفرة: [illegible] إلى التوبة [illegible][4]. وقال الفراء: المؤمن يُجزى ولا يُجازى، أي: يُجزى الثواب بعمله ولا يُكافأ بسيئاته[5].

ويروى الإمام عن بعضهم: أنَّ المجازاة في النقمة، والجزاء في النعمة. ثم قال: قوله ﴿نُجازيهم﴾ يدلُّ على أن المجازاة تستعمل في النعمة أيضًا، [illegible] إلى أن المجازاة مفاعلة، وهي في أكثر الأمر تستعمل بين اثنين يأخذ كلُّ واحد جزاءَ حقِّه من الآخر، ولا يكون ذلك في النعمة [illegible] من الله تعالى؛ لأن الله تعالى مبتدئ بالنعم[6].

وليست المجازاة [illegible] قال [illegible]

---

(1) البيت [illegible] [illegible]، انظر: إصلاح المنطق ص [illegible]، [illegible].
(2) انظر: [illegible].
(3) البيت [illegible] في ديوانه ص [illegible]، وانظر: [illegible].
(4) [illegible].
(5) [illegible].
(6) [illegible].

الكافر والمؤمن، لم يصحّ ولم يتّسق الكلام، فتبيّن أن ما تخيّل من السؤال مضمحل، وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

[﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ١٨ - ١٩]

﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: هي قرى الشام. ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متواصلة يُرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرة لأعين الناظرين، أو راكبة متن الطريق، ظاهرة للسابلة، لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ قيل: كان الغادي منهم يقيل في قرية، والرائح يبيت في قرية، إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدوّاً، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء. ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾: وقلنا لهم: سيروا، ولا قول ثَمّ، ولكنهم لمّا مُكّنوا من السير، وسُوّيت لهم أسبابه، كأنهم أُمروا بذلك وأُذن لهم فيه. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾؟ قلت: معناه: سيروا فيها

قوله: (ظاهرةٌ لأعين الناظرين)، النهاية: كتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما: فاظهر بمن معك من المسلمين إليها، يعني: إلى الأرض، يعني: اخرج بهم إلى ظاهر الأرض.

عن بعضهم: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية عطفٌ على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾.

قوله: (ما معنى قوله: ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾)؟ أي: السير لا يكون إلا في هذين الزمانين، فما فائدة تخصيصهما بالذكر؟

وأجاب بوجوه ثلاثة:

أحدها: المراد بتخصيص الوقتين عدم تفاوت الأمن باختلاف الأوقات، لأن الليل والنهار مظنّة الاختلاف، وعلى هذا الظاهر أن يكون الواو بمعنى «أو»، قال في قوله تعالى

إن شئتم بالليل، وإن شئتم بالنهار، فإنّ الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات. أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدّة سفركم فيها وامتدّت أيامًا وليالي. أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدّة أعماركم، فإنكم في كلّ حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن. قرئ: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ و(بعّد) وإنما [illegible] على الدعاء، بطروا النعمة وسئموا من طيب العيش، وملّوا العافية، فطلبوا الكدّ والتعب، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى، وقالوا: لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه، وتمنّوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها، ويتزوّدوا الأزواد، فعجّل الله لهم الإجابة. وقرئ: (ربّنا بعُد بينُ أسفارنا)

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٦] الواو للتخيير، والإباحة نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، ومن ثمّ أتى بالجملة الشرطية في التفسير.

وثانيها: أن يختص بذكر ما من طول الزمان وامتداد المدة من غير اعتبار شيء آخر.

وثالثها: أن يراد امتداد الزمان لكن مقيدًا بأيام المخاطبين [illegible] نهارًا وضلّ ليلًا، لم [illegible] إلا أيامه ولياليه ما [illegible] وفيه المبالغة.

قوله: (قرئ: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾): ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «بعِّد»، والباقون: ﴿بَٰعِدۡ﴾[1].

قوله: (بطروا النعمة): يقال: بطرت عيشك، كما يقال: سفهت أمرك [illegible] الجوهري: [illegible] من كثرة شرب اللبن.

قوله: (لو كان جنى جناننا أبعد): [illegible] المجتنى من الثمر [illegible].

قوله: (ربّنا بعُد بينُ أسفارنا): قال ابن جني: قرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية [illegible] [illegible] بين أسفارنا [illegible] على الخبر [illegible] [illegible] [illegible]

---

(1) [illegible]

و«بُعِّدَ بينُ أسفارِنا» على النداء وإسناد الفعل إلى «بين» ورفعه به، كما تقول: سِيرَ فرسخان، و«بُوعِدَ بينُ أسفارنا». وقرئ: «ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا» و«بين سفرنا» و«بَعَّدَ» برفع «ربُّنا» على الابتداء، والمعنى خلاف الأول، وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم، كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه. ﴿أَحَادِيثَ﴾ يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم، وفرقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً، يقولون: ذهبوا أيدي سبا، وتفرقوا أيادي سبا، قال كثير:

[illegible]، وقرأ «ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا» ابن عباس والحسن رضي الله عنهما. أما «بَعِّدْ» و«باعِدْ» فـ«بين» منصوب على المفعول به، لا على الظرف [illegible] [illegible] [illegible]

وكان شيخنا أبو علي يذهب إلى أن أصل «بين» مصدر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1]

قوله: (يتشاجون على ربهم) الأساس: [illegible] [illegible]

قوله: (يقولون: ذهبوا أيدي سبا) [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible]

أيادي سبا يا عزّ ما كنتُ بعدكم ... فلم يحلَ للعينين بعدك منظر

لتعرّفهم [illegible] بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان. ﴿مُمَزَّقٍ﴾ من [illegible] ﴿شَكُورٍ﴾ النِّعم.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢٠ - ٢١].

قُرئ: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد والتخفيف، ورفع إبليس ونصب الظن، فمن شدّد

عند المثل(١). والأيادي: عبارة عن التفرقة، أي: تفرّقوا في البلاد [illegible] أي: [illegible] طريقه.

وقيل: [illegible] لأن الأولاد [illegible] في [illegible] مشرق.

قوله: (أيادي سبا يا عزّ) البيت(٢): [illegible] يا عزّة كنت بعدكم [illegible] [illegible]، ويقال: [illegible] في [illegible].

قوله: (قرئ: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد): عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالتخفيف(٣).

قال الزجاج: صدّقه في ظنّه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ظنّ(٤).

[illegible] ما قال [illegible] [illegible] تعالى [illegible]

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ [illegible]).

(٢) [illegible]

(٣) انظر: [illegible] (١/ [illegible]).

(٤) [illegible]

فعلى معنى: حقق ظنّه، أو وجده صادقًا، ومن خفّف فعلى: صدق في ظنّه، أو صدق يظنّ ظنًّا، نحو: فعلته جَهْدك، وبنصب «إبليس» ورفع «الظنّ»، فمن شدّد فعلى: وجد ظنّه صادقًا، ومن خفّف فعلى: قال له ظنّه الصدق حين خيّله إغواءهم، يقول: صدقك ظنّك. وبالتخفيف ورفعهما على: صدق عليهم ظنّ إبليس، ولو قُرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق، كقوله:

صدّقتْ فيهم ظنوني

ولا أشبهه وإن لم يكن مستعملًا وقت علمه (القافة) إن قاله ظنًّا، فلما أغواهم وأطاعوه صدّق عليهم ما ظنّه فيهم[1].

قال ابن جني: أما «صدَّق» مخففة ... كقولك: صدقتُ ظنك في ... ولا تصدق ظنك[2].

قوله: (ونصب «إبليس» ورفع «الظنّ») قال ابن جني: المخففة قرأها الزهري[3]، والمعنى: أن إبليس كان سوّل له ظنّه شيئًا فيهم فصدّقه ظنّه فيما كان عقد عليه معهم من ذلك الشيء.

قوله: (ورفعهما) قال أبو البقاء: ويقرأ برفعهما بجعل الثاني بدل اشتمال[4].

قال الزجاج: هو كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، والمعنى: ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه، وقد قرئ بها على معنى: صدق ظنّ إبليس إياهم[5].

قوله: (صدّقتْ فيهم ظنوني)[6] تمامه

---

(١) ... (٢/ ٣٩٩).

(٢) المحتسب (٢/ ١٩٠).

(٣) المحتسب (٢/ ١٩٠).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٦٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٤).

(٦) ... [illegible]

ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال: إن ذريته أضعف عزمًا منه، فظن بهم اتباعه، وقال: ﴿لَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩]، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٣٩]. وقيل: ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل ﴿فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿اتَّبَعُوهُ﴾ إما لأهل سبأ أو لبني آدم. وقلل المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾؛ لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار، كما قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم﴾ من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها. وعلق التسليط بالعلم، والمراد ما تعلق به العلم. وقرئ: (ليُعلَم) على البناء للمفعول. ﴿حَفِيظٌ﴾ محافظ عليه، وفعيل ومفاعل متآخيان.

فدت نفسي وما ملكت يميني … فوارس صدقت فيهم ظنوني

"فدت": خبر في معنى الدعاء، وتخفيف الظن في "صدقت" للتكثير، و"فوارس": جمع فارس شذوذًا؛ لأن فواعل إنما يكون جمع فاعلة في صفات ما يعقل دون فاعل.

قوله: (والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿اتَّبَعُوهُ﴾ إما لأهل سبأ أو لبني آدم)، فإن كان الأول فـ"فريقًا" بعض الأول إما حالًا أو بعضًا، وإن كان الثاني فهو للتبعيض لا للبيان.

قوله: (وقلل المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾؛ لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار)، في "المطلع": هذا إذا جعلت "من" للتبيين، وإن جعلتها للتبعيض فالمراد بالفريق المخلص من المؤمنين الذي لم يتبعه فيما دعاهم إليه من المعاصي.

قوله: (وعلق التسليط بالعلم، والمراد ما تعلق به العلم) المطلق، وهو الإيمان والكفر، والمعنى: إلا لنعلم إيمان المؤمن بالآخرة حاصلًا موجودًا، وكذلك شك الشاك الذي هو في شك منها؛ لأنه تعالى يعلمه بما هو موجود عما يتعلق به الجزاء.

وقال القاضي: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقًا يترتب عليه الجزاء، أو ليتميز

[٢٢] ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [٢٢]

﴿قُلِ﴾ لمشركي قومك: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [illegible] ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعمكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم، ثم أجاب عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر، أو نفع أو ضر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك، كقوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه، يريد: إنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن

[illegible] من الشك [illegible] المؤمن من قدر إيمانه [illegible] من [illegible] حصول [illegible] [illegible] نكتة لا تخفى.

قلت: لعل النكتة إيقاع الشك في الصلة الثانية في مقابل الإيمان [illegible] في الصلة الأولى [illegible] من هو مؤمن بالآخرة ممن هو [illegible] بها أو من هو [illegible] الآخرة [illegible] في [illegible] [illegible] الآخرة [illegible] [illegible] [illegible] في الشك لا يتجاوزونه [illegible].

قوله: [illegible] [illegible] هذا الأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

قوله: (ثم أجاب) [illegible] عن قوله: [illegible] [illegible] الله تعالى نبيه ﷺ عن [illegible] ثم أجاب.

قوله: (في هذين الجنسين) أي: السماوات والأرض [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما تدعى، ويرجى كما يرجى؟ فإن قلت: أين مفعولا زعم؟ قلت: أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول. وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون ﴿من دون الله﴾ أو ﴿لا يملكون﴾ أو محذوفًا، فلا يصح الأول؛ لأن قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلامًا، ولا الثاني؛ لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم، وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيدًا؟ فبقي أن يكون محذوفًا تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله، فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ [الفرقان: ٤١] استخفافًا لطول الموصول بصلته، وحذف آلهة؛ لأنه موصوف صفته ﴿من دون الله﴾، والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهومًا، فإذن مفعولا زعم محذوفان جميعًا بسببين مختلفين.

[﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ ٢٣]

تقول: الشفاعة لزيد، على معنى أنه الشافع، كما تقول: الكرم لزيد، وعلى معنى أنه المشفوع له، كما تقول: القيام لزيد، فاحتمل قوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين، أي: لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن

قوله: (بسببين مختلفين) أي: بسبب الاستحقاق، وبسبب إقامة الصفة مقام الموصوف.

قوله: (على أحد هذين الوجهين) أي: اللام في ﴿أذن له﴾ صلة للفعل، فيجوز أن يكون مثل اللام في قولك: الشفاعة لزيد، على أنه الشفيع لقوله: «من الشافعين» بيانًا لقوله ﴿من أذن له﴾، وأن يكون مثل اللام في قولك: القيام لزيد، على أنه المشفوع له، وقوله: «أي: شفيعه» تفسير لقوله: «له» في قوله ﴿من أذن له﴾، أي: لا تنفع الشفاعة إلا لشخص أذن لشفيعه أن يشفع له.

له من الشافعين ومطلقة له، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له، أي: لشفيعه، أو هي اللام الثانية في قولك: أذن لزيد لعمرو، أي: لأجله، كأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا وجه لطيف وهو الوجه، وهذا تكذيب لقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، ولأي شيء وقعت ﴿حَتَّى﴾ غاية؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارًا للإذن وتوقعًا وتمهلًا وفزعًا من الراجين للشفاعة والشفعاء: هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد مليٍّ من الزمان، وطول من التربص، ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٧-٣٨]، كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون مليًّا فزعين

ويجوز أن تكون هذه اللام(١) بمعنى لأجل، واللام الصلة مع متعلقه محذوفان، نحو قولك: أذنت لزيد لعمرو، وإليه الإشارة بقوله: "وقع الإذن للشفيع لأجله"، هذا هو الذي يقتضيه النظم؛ لأن الذي هو منزل الكلام أن شركاءهم لا ينفعهم في الدنيا ولا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر فيهما، ولا هم يتصرفون فيهما، فعبر بقوله: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ عن العالم، أي: في الدنيا الراسخين في الكفر أنهم لا ينفعونهم في الآخرة؛ لأنه إن قُدِّر لهم نفع فلا يتصور إلا في الشفاعة، فجيء بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ لعرفنا أن أصنامهم لا يشفعون؛ لأنهم ليسوا في صدد الإذن لهم، هذا هو المراد من قوله: "وهو الوجه"؛ لأن فيه التعلق بالشفيع والمشفوع له كليهما، و"هذا تكذيب لقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾". قال أبو البقاء والعكبري: ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ يجوز أن يتعلق بالشفاعة؛ لأنك تقول: شفعت له، وأن يتعلق بـ﴿تَنفَعُ﴾(٢).

قوله: (هل يؤذن؟) متعلق من حيث المعنى بقوله: (راجين).

قوله: (ويتوقفون مليًّا)، وذلك أن الشفاعة مقام هيبة وإجلال لا سيما للمشفوع له خائف

---

(١) قوله: "هذه اللام" سقط من (ح) و(ف).

(٢) "التبيان في إعراب القرآن" (٢/ ١٠٦٦).

وعيدين: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، أي: كُشِفَ الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن، تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ قال: ﴿الْحَقَّ﴾، أي: القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزَّعته الشفاعة». وقرئ: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾، أي: أذن له الله، و«أُذِنَ له» على البناء للمفعول. وقرأ الحسن: «فُزِعَ» مخففًا، بمعنى: فُزِّع. وقرئ: «فَزَّعَ» على البناء للفاعل،

والفاعل راجع على [illegible] له في الشفاعة أم [illegible]، [illegible] المعطلة لغير الشارع والغاية. وقوله: ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [illegible] الإمهال وطول الانتظار، وكل شاهد من [illegible] والملائكة [illegible] قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبأ: ٣٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

قوله: (وعيدين)، الجوهري: [illegible] الفزع، [illegible] بالتحريك: الفزع، وقد [illegible] [illegible].

قوله: (فزَّعته الشفاعة)، بتعريف: أزاله الفزع؛ فالتضعيف والتعدية، أي: أزال الفزع والكشف عنه الفزع.

الراغب: الفزع: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، أي: أزيل عنها الفزع، ويقال: فزع إليه: إذا استغاث به عند الفزع، وفزع له: أغاثه[1].

قوله: («فَزَّعَ» على البناء للفاعل)، أي: [illegible] على بناء المفعول[2]، ومعنى ﴿فُزِّعَ﴾: كُشف الفزع عن قلوبهم، و«فَزَّعَ»: كشف الله الفزع، وقرئ: «فُرِّغَ» بالراء والغين

---

(1) المفردات للراغب ص [illegible].

(2) [illegible].

الضمير يرجع إلى هذا المعنى لأنها فُزِّعت من الفزع. قال الزجاج: وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام لما نزل إلى النبي ﷺ بالوحي ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة ففزعت لذلك، فلما انكشف عنها الفزع قالوا: ماذا قال ربكم؟ سألت: لأي شيء نزل جبريل؟ قالوا الحق. انتهى كلامه(1). وعليه كلام أكثر المفسرين.

ويعضده ما رويناه عن البخاري والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير»(2).

وعن أبي داود عن ابن مسعود قال: إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيُصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق(3).

فإن قلت: قد ظهر من هذه الروايات أن المرتفع عن هذه الصفات هم الملائكة، والذي ذهب إليه المصنف هم الشفعاء مطلقًا، وأن هذه الحالة واقعة يوم القيامة لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، فلأي ما عدل عن الحقيقة إلى الاحتمال، وما وجه المطابقة مع الأحاديث الصحيحة؟

قلت: والله أعلم: المستخرج معنى الغاية من المفهوم، وذلك أن المشركين لما ادعوا شفاعة الآلهة والملائكة وأجيبوا بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ رجعنا إلى ما قال المصنف: قل للمشركين: ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله

(1) معاني القرآن وإعرابه [illegible].

(2) أخرجه البخاري [illegible] والترمذي [illegible] وابن ماجه [illegible].

(3) أخرجه أبو داود [illegible].

قال: ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جِنّة؟[1] افرنقعوا عني. والكلمة مركَّبة من حروف المفارقة مع زيادة العين، كما رُكِّبت «اقمطرّ» من حروف القمط مع زيادة الراء. وقرئ: (الحقُّ) بالرفع؛ أي: مقولُه الحقُّ. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذو العلوّ والكبرياء، ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢٤]

أمره بأن يقررهم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾، ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله، وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به؛ لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته، ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون من يرزقكم، وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق؟ ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ حتى

الجوهري: التكأكؤ: التجمّع، وقال في «باب العين»: وقال أبو عمرو: افرنقعوا عني؛ أي: تنحّوا عني. و«اقمطرّ» يومنا؛ أي: اشتد.

أي: يقال: المقمطرّ: المجتمع، ... والقرط ... وكذلك ما أنشد به ... في الهند والزنجي إحدى الطبائع ... رواها الجوهري عن عيسى بن عمر، ورواه ابن جني في «المحتسب» أيضًا عن أبي علقمة النحوي، كما رواه المصنف ... بعض الحاضرين ... شيطانه يتكلم بالهندية[1].

قوله: (ولأنهم إن تفوهوا): عطف على قوله: «لأن الذي تمكن في صدورهم».

---

(١) الصحاح (١٢٩٤/٤).

قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، فكأنهم كانوا يُقرّون بألسنتهم مرّة، ومرّة كانوا يتلعثمون عنادًا وضرارًا وحذارًا من إلزام الحجة، ونحوه قوله عز وعلا: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]. وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ

قوله: (فماذا بعد الحق إلا الضلال) يعني: أنهم لم [illegible] فهم ما كانوا [illegible] في تلك الآية التي [illegible] ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

قوله: (يتلعثمون عنادًا) أي: يتمكثون ويحتبسون عن الجواب.

قوله: (وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام)، قال صاحب «الانتصاف»: يعني: ألزمهم الحجة من قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ﴾ إلى آخر الآية، وهذا الإلزام إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا من الكلام الذي كل من سامعه من موالٍ أو مخالف أن يقول: قد أنصفك صاحبك، وهذا أوصل إلى الغرض وأقطع للشغب [illegible] فلا يخفى على الفقهاء قولهم في المناظرات: أحد الأمرين لازم [illegible] فهو قول بعيد من [illegible].

وقلت: إنه تعالى لما أمر حبيبه ﷺ أولًا بأن يكافحهم ويُبكّتهم بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، ثم يسائلهم بقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتولى الإجابة والإقرار عنهم بنفسه في قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ [illegible] أمره أن يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [illegible] في الضلال [illegible] عليهم [illegible]

[illegible]

﴿لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، ومعناه: وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السماوات والأرض بالعبادة، ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة، لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال. وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك. وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى، ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم، وفل شوكته بالهوينا. ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب. ومنه بيت حسان:

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فإن قلت: كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام

[illegible]

قوله: [illegible]

قوله: (بالهوينا) [illegible]

قوله: (أتهجوه) [illegible]

---

(١) [illegible]

فإن الشاك فيه لا يتعدى [illegible]. وفي قراءة أبي: (وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين).

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٥-٢٦]

هذا أدخل في الإنصاف، وأبلغ فيه من الأول، حيث أسند الإجرام إلى المتكلمين، والعمل إلى المخاطبين، وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن،

قوله: (مرتبك) الجوهري: ارتبك الرجل في الأمر؛ أي: نشب فيه ولم يكد يتخلص منه.

قوله: (وفي قراءة أبي: (وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين)) قال [illegible]: ﴿أو إياكم﴾ معطوف على اسم (إن)، والخبر [illegible] قائم. واختلفوا في [illegible]، فمذهب سيبويه: المذكور للثاني، والأول محذوف، وهو أولى من عكسه، فعلى هذا يكون ﴿لعلى هدى﴾ خبر الأول، و﴿أو في ضلال﴾ معطوفًا عليه، وخبر المعطوف محذوف لدلالة المذكور عليه[1]. والكلام في المعنى على الإعراب؛ لأن المعنى: إنا على هدى [illegible] [2].

قوله: (هذا أدخل في الإنصاف، وأبلغ فيه) [illegible] ذكر الإجرام المضاف إلى النفس بصيغة الماضي التي تعطي معنى التحقيق، وذكر العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطي ذلك.

قوله: (وإن أراد بالإجرام) هذا شرط لا يذكر جوابه [illegible]؛ أي: هذا أبلغ من الأول، وإن أريد في الحقيقة بالإجرام الصغائر، وبالعمل الكفر؛ لأن في الظاهر أسند [illegible] الإجرام إلى المتكلم، ومطلق العمل إلى المخاطب.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

والعمل الكفر والمعاصي العظام، وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله: أن يُدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [٢٧]

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ وكان يراهم ويعرفهم؟ قلت: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به، و﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره بإبطال المقايسة، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿أُفٍّ

قوله: (أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله تعالى) هذا كما يقول القائل لغيره إذا أفسد شيئاً: أرني هذا الذي أفسدته لأريك فساده.

قوله: (وأن يُقايس على أعينهم)، فإن قلت: عدّى «يقايس» بـ«على» فيما نحن بصدده، وعدّاه في قوله: «القياس إليه» بـ«إلى» وهو يتعدى بـ«على».

قلت: هما حالان والمتعلق محذوف، أما الأول فمعناه أن يقايس الأصنام بالله تعالى واقفاً على أعينهم مكشوفة لها، كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١] أي: معايناً مشاهداً على الأعين استعلاء الراكب على المركوب، ومعنى الثاني: ليطلعهم على إحالة القياس منتهياً إليه، أي: يحقق أن ينتهي قياس غيره إلى الله تعالى وإلى صفاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: (و﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره) قال القاضي: ﴿أَرُونِيَ﴾ استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تخطئتهم[1].

وقلت: هذه قاعدة شريفة وإرشاد حسن في آداب المجادلة، وقمع شبهة الخصم لا بد الأولى فإنه ينبغي أن يُري حقيقة الكلام معه أولاً، ويحاور معه على سبيل ... والنظر في أمره ... ثم يلزم ... الحجة ... وعليه قول إبراهيم

---

(١) أنوار التنزيل (٢/ ٢٦٠).

[illegible] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٧١] بعدما [illegible] على ضعفهم وأنهم لم يقدروا الله حق قدره [illegible] ﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [illegible] نفس المقسم به شركاء من هذه الصفات، وهو راجع إلى الله وحده [illegible] ضمير الشأن في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٨]

﴿إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم؛ لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالاً من الكاف، وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة.

عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩] بعد قوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨].

قوله: (وهو راجع إلى الله) أي: الضمير مبهم راجع إلى الله في المعنى، وجاز لأن ما بعده يفسره، كما قال في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] في «الكشاف»: هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه، وأصله: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع هي موضع الحياة؛ لأن الخبر يدل عليها ويبينها، ومنه: هي العرب تقول ما شاءت. والفرق بين هذا الضمير وضمير الشأن أن الجملة بعد ضمير الشأن مثبتة له وخبر، وهذا الضمير وحده مفسر له، ولذلك قال: فهو راجع إلى الله وحده، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] في وجه، وقولك: رُبَّه رجلاً، ونحو هذا الضمير اسم الإشارة في قولك: هذا أخوك، قال المصنف: لا يكون «هذا» إشارة إلى غير الأخ[1].

قوله: (وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالاً)[2]

---

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٣٣).

(٢) [illegible]

ومن جعله حالًا من المجرور متقدِّمًا عليه فقد أخطأ؛ لأنَّ تقدُّم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدُّم المجرور على الجار.

حالًا من الكاف[1]. وأما حكايةُ كلامه فإنه قال: معنى ﴿كَافَّةً﴾: الإحاطةُ في اللغة، والمعنى: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والإبلاغ، وأُرسل ﷺ إلى العرب والعجم.

وقال أبو البقاء: كافة حالٌ من الكاف، والهاءُ زائدةٌ للمبالغة، و﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلِّقٌ به، أي: وما أرسلناك إلا كافةً للناس عن الكفر والمعاصي[2].

وقال الحلبي في «شرح التسهيل»: قول الزجاج باطلٌ؛ لأنه جعل ﴿كَافَّةً﴾ حالًا من مفعول، ولا تعرف ذلك في غير محلِّ النزاع، وجعله من هذا مع كونه مؤنثًا، ولا يأتي ذلك إلا بجعل تائه للمبالغة، وإنه مقصورٌ على السماع، ولا يأتي حالًا ما هي فيه إلا على أحد أمثلة المبالغة: كسابة وفروقة وعلامة، وكافة بخلافها، فلذلك تعيَّن أن يكون منها لكونها على فاعلة، وإن حملت على رواية حملت على شاذِّ الشاذ؛ لأن إلحاق تاء المبالغة لأحد الأمثلة شاذ، وإلحاقه بما لا مبالغة فيه أشذ.

وأما الزمخشري فقد جعل ﴿كَافَّةً﴾ صفة، ولم يستعمله العرب إلا حالًا، ولكنه أخرج «كافة» عن استعمال العرب فسلك به سبيل القياس، بل جعله لموصوف محذوف لم تستعمله العرب معه، ولا بعده، أعني: إرساله، وحق الموصوف المستغني بصفته أن يكون لازمًا مع صفته على الحذف، ولا تصلح لصفة لغيره.

قوله: «ومَن جعله حالًا من المجرور متقدِّمًا عليه فقد أخطأ؛ لأنَّ تقدُّم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدُّم المجرور على الجار». وقال ابن الحاجب: تقديمُ الحال على المجرور إذا كان صاحب الحال هو المجرور مختلفٌ فيه، فالأكثر المصريُّون على منعه، وكثيرٌ من المتقدمين على الجواز، ورجحه آخرون؛ لأنه حال من معمول الفعل لفظًا فجاز التصرف فيه بالتقديم والتأخير كسائر أحوال الأفعال.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٥٣).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٦٨).

ووجه المنع أنه لم يكثر الحال من المجرور في كلامهم ولم يسمع من الفصحاء تقديمها، ولأن حال المجرور صفة لصاحبها وهي معمولة في المعنى لحرف الجر، وإلا أنهم قصدوا لم يرد الفصل بين الصفة والحال، وثانيًا أن معمول الحال لا يتقدم عليه فكذا معمول الحال أنه لا يتقدم على الحال أيضًا.

وقيل: ويمكن أن يؤول قول المالكي مسألة الجواز في هذين الاستشهادين، أعني قوله: ومن أمثلة تقديم الحال على صاحبها إذا كان مجرورًا ما أنشده أبو علي في «التذكرة» [illegible] يكون حالًا عن الكاف المجرور. ومن الأمثلة قول الشاعر:

إذا المرءُ أعيته المروءةُ ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ(1)

أي: فمطلبها عليه كهلًا شديد. ومن ذلك قول الآخر:

تسلَّيتُ طُرًّا عنكمُ بعد بينكم ... بذكراكمُ حتى كأنكمُ عندي(2)

أي: تسليت عنكم طرًّا. وربما قدّم الحال على صاحبه المجرور وعلى ما يتعلق به كقول الشاعر:

غافلًا تعرض المنيّة للمرء ... فيُدعى ولاتَ حين إباءِ(3)

أي: تعرض المنية للمرء غافلًا.

وإذ قد ثبت ذلك [illegible] مسموعًا فلا أقل من [illegible] [illegible] إذا عدّي الفعل لصاحبه بواسطة أن يعدى إليه [illegible] الواسطة [illegible]

(1) البيت [illegible] في المخصص [illegible]
[illegible]
(2) البيت بلا نسبة في شرح الأشموني [illegible]
(3) البيت بلا نسبة في شرح [illegible]

[illegible] إذ حقّ الحال المشبّهة

بالظرف أن يستغني عن واسطة [illegible] الواسطة، والظرف [illegible]

[illegible] بحرف الجر [illegible] والتشبيه والنفي.

ومن الشُّبَه [illegible] إجراء الحال المجرور بالحرف مُجرى الحال المجرور بالإضافة، فيقال لصاحب هذه الشبهة: المجرور بالحرف كالأصل للمجرور بالإضافة، فلا يمتنع أن تتقدم حال المجرور بالحرف عليه لئلا يكون الفرع متبوعا والأصل تابعا. وأيضا فالمضاف بمنزلة موصول والمضاف إليه بمنزلة صلته، والحال منه بمنزلة جزء صلته، فوجب تأخيره كما يجب تأخير أجزاء الصلة، وحال المجرور بحرف لا يشبه جزء صلة، فلم يمتنع تقديمه؛ إذ لا محذور في ذلك.

ومن الشُّبَه شبهة باب مررت بهند جالسة، [illegible] في الدار متكئا، فيقال: إن المجرور في مررت بهند جالسة منصوب المحل [illegible] وهو فعل متصرف لا يقتصر في نصب الحال [illegible] كما لا يقتصر في نصب ظرف أو مفعول له [illegible] إلا الجر [illegible] بمنزلة المنصوب فيتقدم [illegible] كما يتقدم حال المنصوب. وأما متكئا في المسألة الثانية فمنصوب [illegible] معنى الاستقرار، وهي أيضا [illegible] على [illegible] وهو صاحب الحال [illegible] أن يقدم متكئا على [illegible] لأن العامل [illegible] وهو جارّ ضعيف متضمّن معنى الفعل دون حروفه [illegible] التقدم في نحو: زيد في الدار متكئا [illegible] في نحو: مررت بهند جالسة [illegible] الزجاج والزمخشري [illegible] القول بصحته [illegible] الأصح. وما [illegible] تقدم الحال على صاحبها مع كونه مجرورا، وهو مذهب أبي علي وابن كيسان وابن برهان(1) [illegible] ﴿كافّة﴾ حالا من المجرور باللام وهو ﴿للناس﴾ من حيث إن العامل في الحال هو

---

(1) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان [illegible] توفي سنة ٤٥٦ هـ.

على الجار، وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى؛ لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني، فلا بد له من ارتكاب الخطأين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٢٩-٣٠]

قرئ: ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾، و(ميعادٌ يومٌ)، و(ميعادٌ يوماً)، والميعاد: ظرف الوعد من مكان أو زمان، وهو هاهنا الزمان، والدليل عليه قراءة من قرأ: (ميعادٌ يومٌ) فأبدل منه اليوم. فإن قلت: فما تأويل من أضافه إلى (يوم)، أو نصب (يوماً)؟ قلت: أما الإضافة فإضافة تبيين، كما تقول: سَحْقُ ثوبٍ، وبعيرُ سانية. وأما نصبُ (اليوم) فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره: لكم ميعاد أعني يوماً، وأريدُ يوماً من صفته كيتَ وكيتَ. ويجوز أن يكون الرفع على هذا، أعني التعظيم. فإن قلت: كيف انطبق هذا جواباً على سؤالهم؟

[illegible] ولا يتقدم المعمول [illegible] في عمله في الحال إلى الحال، وإنما يفتقر إليه في عمله في [illegible]، فإذا تعذر أن يعمل في الحال ما لا يعمل في صاحب الحال كان أولى بالجواز.

وقول الفاضل اليمني: لا يتقدم الحال [illegible] لو كان الحال عاملاً في [illegible] في الدار [illegible] لا يجوز أن يكون [illegible] في الحال، وقد [illegible] بأن العامل هو [illegible] فلذلك جاز.

واعلم أن المالكي يجوِّز تقدم العامل في الحال [illegible] في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] [illegible].

قوله: (وبعير سانية)، الجوهري: السانية: الناضحة، وهي الناقة التي يُستقى عليها.

قوله: (كيف انطبق هذا جواباً على سؤالهم؟) يعني: أنهم سألوا عن وقت إرساء الساعة [illegible] عن أحوالهم فيها [illegible] الجواب [illegible] لا [illegible] عن أحوال [illegible].

قلت: ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتاً لا استرشاداً، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقاً لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت، وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم، فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدماً عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [٣١]

الذي بين يديه: ما نزل قبل القرآن من كتب الله. يروى: أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في كتبهم، فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر، فكفروا بها جميعاً. وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة. والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، أو أن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة، ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه السلام أو للمخاطب: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ في الآخرة موقفهم

تكون ... هم ... متحاورين فيها من ... ما يتحاورون، هذا الذي ... من ... هذا المعنى ... يعلم ظاهر ... من ... المصنف رحمه الله.

قوله: (ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتاً لا استرشاداً) قوله: «إلا تعنتاً» استثناء مفرغ، والمستثنى منه أعم الأحوال، وهذا التركيب مثل قولك: ما زيد إلا قائم لا قاعد، وقد أنكره صاحب «المفتاح»[1] بغير رسالة غير مرة.

قوله: (أو أن يكون لما دل عليه)، نحو: أن تكون «كان» ناقصة، واسمه ضمير الشأن، و«حقيقة» مرفوع مبتدأ، والخبر: «لما دل عليه»، والجملة مبينة ضمير الشأن وخبر له، وأن تكون تامة، وفاعلها «حقيقة»، و«لما دل» متعلق بـ«حقيقة».

---

(١) «المفتاح» (ص ٢٩٢).

وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم، لرأيت العجب، فحذف الجواب. والمستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرؤوس والمقدّمون.

[﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣١-٣٣]

أولي الاسم ـ أعني «نحن» ـ حرف الإنكار؛ لأنّ الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادّين لهم عن الإيمان، وإثبات أنهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه، وأنهم أتوا من قبل اختيارهم، كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكّنين مختارين ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ بعد أن صمّمتم على الدخول في الإيمان، وصحّت نيّاتكم في اختياره؟ بل أنتم منعتم أنفسكم حظّها، وآثرتم الضلال على الهدى، وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى، فكنتم مجرمين كافرين؛ لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا. فإن قلت: «إذ» و«إذا» من الظروف اللازمة للظرفية، فلم وقعت ﴿إِذْ﴾ مضافاً إليها؟ قلت: قد اتُّسع في الزمان ما لم يُتّسع في غيره، فأضيف إليها الزمان.

قوله: (وهم يتجاذبون أطراف المحاورة) نظر إلى قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كلَّ حاجة ... ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيّ الأباطح(١)

أراد بأطراف الأحاديث ما يتعاطاه المحبّون ويتداولونه من التعريض والتلويح دون البيان والتصريح.

قوله: (قد اتُّسع في الزمان ما لم يُتّسع في غيره، فأضيف إليها الزمان) قال صاحب

---

(١) [illegible]

... في قولهم ... بعد إذ جاءه ... وكان

... أمره، وحين ... لما أنكر المستكبرون بقولهم: ﴿أنحن صددناكم﴾ أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين، وأثبتوا بقولهم: ﴿بل كنتم مجرمين﴾ أنّ ذلك بكسبهم واختيارهم، كرّ عليهم المستضعفون بقولهم: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد. ومعنى مكر الليل والنهار: مكركم في الليل والنهار، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه، أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي. وقرئ: «بل مكرٌ الليلَ والنهارَ» بالتنوين ونصب الظرفين، و«بل مكرُّ الليل والنهار» بالرفع والنصب، أي: تكرّون الإغواء مكرّاً دائباً لا تفترون عنه. فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب؟ قلت: هو مبتدأ أو خبر، على معنى: بل سبب ذلك مكركم أو مكرّكم، أو مكركم أو مكرّكم سبب ذلك. والنصب على: بل

قوله: (ما وجه الرفع والنصب؟) أي: في القراءتين، يعني قراءة من قرأ «مكر» من المكر، ومن قرأ «مكرّ» من التكرير. والجواب: إنه يجوز أن يكون [illegible] مكركم أو مكرّكم، أو مبتدأ خبره محذوف، أي: مكركم أو مكرّكم سبب ذلك. قال ابن جني: «بل مكرّ الليل والنهار» قراءة [illegible]، و«بل مكرّ الليل والنهار» قراءة قتادة، وقرأ راشد: «بل مكرّ» بالنصب. وأما المكرّ والكرور، أي: اختلاف الأوقات، فهو [illegible] إما على فعل مضمر دلّ عليه قوله: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى﴾ [illegible]، أي: بل صددنا مكرّ الليل والنهار، أي: كرورهما، وإما على حذف الخبر، أي: مكر الليل والنهار [illegible] ... الأحوال[1].

[illegible]

تكرّر الإغراء مكرَ الليل والنهار. فإن قلت: لم قيل: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ بغير عاطف، وقيل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾؟ قلت: لأن الذين استضعفوا مرّ أول كلامهم، فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف، ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين، فعطف على كلامهم الأول. فإن قلت: من صاحب الضمير في ﴿وَأَسَرُّوا﴾؟ قلت: الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين، وهم الظالمون في قوله: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١]، يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم، والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين. ﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أعناقهم، فجاء بالصريح للتنويه بذمهم، وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال. وعن قتادة: أسروا الكلام بذلك بينهم. وقيل: أسروا الندامة: أظهروها، وهو من الأضداد.

قوله: (فعطف على كلامهم الأول) أي: على قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾، وفيه أن المستضعفين تكلموا بكلامين، والجواب للمستكبرين عن أحدهما دون الآخر [illegible] بقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [illegible] الندامة حين [illegible].

قوله: (يندم المستكبرون على ضلالهم) يعني: الضمير في «أسروا» راجع إلى قوله: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [illegible] و﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ وهو ماضٍ [illegible] وهو مضارع [illegible] قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [illegible] لأنه حكاية للحال الآتية [illegible] بعضهم إلى بعض.

قوله: (أسروا الندامة: أظهروها، وهو من الأضداد) عطف على قوله: (يندم المستكبرون) [illegible] ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [illegible]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥].

هذه تسلية لرسول الله ﷺ لما مُنِي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد، والمفاخرة بزخارفها، والثقة بذلك على المؤمنين، والاستهانة بهم من أجله، وقولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهل

شكوتُ إلى الأيام سوءَ صنيعها ... ومن عجبٍ باكٍ تشكّى إلى المبكي

فما زادني الأيام إلا شكاية ... وما زالت الأيام تُشكي ولا تُشكي

الراغب: الندم والندامة: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]، وأصله من منادمة الحزن له، والنديم والندمان والنادم متقارب.

وقال بعضهم: المنادمة والمداومة متقاربان، وقال بعضهم: الشرّاب سُمّيت ندامى لما يتعقب أحوالها من الندامة على فعلها(١).

قوله: (لما مُني به من قومه): يقال: مُنيتُ بكذا، أي: ابتليت.

قوله: (والاستهانة بهم من أجله) أي: من أجل الفخر، قال القاضي: واستهانوا بمن لم يحظ منها، ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ ... ﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، ثم طابقه قوله: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾(٢).

قوله: (وأنه لم يرسل): عطف على قوله: (تسلية) على تقدير اللام.

---

(١) المفردات للراغب (ص٧٩٧).

(٢) أنوار التنزيل (٤/...).

مكاثرة وفاخروا بنحو ما كاثروا به، وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا، واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم، فعلى قياسهم ذلك قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٦]

وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأنّ الرزق فضلٌ من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح، فربما وسّع على العاصي وضيّق على المطيع، وربما عكس، وربما وسّع عليهما وضيّق عليهما، فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق. وقَدْرُ الرزق: تضييقه، قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]، وقرئ: «ويقدّر» بالتشديد والتخفيف.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ - ٣٨]

أراد: وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾، وذلك أن الجمع المكسّر عقلاؤه وغير عقلائه سواءٌ في حكم التأنيث. ويجوز أن يكون «التي» هي التقوى، وهي المقرّبة عند الله زلفى وحدها، أي: ليست أموالكم بتلك الموضوعة

قوله: («ويقدّر» بالتشديد والتخفيف): التخفيف: مشهورة، والتشديد: شاذة.

قوله: (ويجوز أن يكون «التي» هي التقوى) يعني: عدل عن الظاهر، وهو أن ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ الآية، لأنه قيل: وما أموالكم ولا أولادكم بالتقوى، لأن التقوى هي المقرّبة عند الله زلفى وحدها، يدل عليه قوله: «ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب» أو أن يضع الشارع لفظة التقوى بإزاء معنى التقريب كما أن صاحب اللغة وضع الألفاظ

التقريب. وقرأ الحسن: (باللاتي تقربكم) لأنها جماعات. وقُرئ: (بالذي يقربكم)، أي: بالشيء الذي يُقرِّبكم. والزلفى والزلفة: كالقربى والقربة، ومحلها النصب، أي: تقربكم قربة، كقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]. ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثناء من الكم في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾، والمعنى: أنَّ الأموال لا تقرِّبُ أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي يُنفقها في سبيل الله، والأولاد لا تُقرِّبُ أحدًا إلا من علّمهم الخير، وفقّههم في الدين، ورشّحهم للصلاح والطاعة. ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أصله: فأولئك لهم أن يُجازَوا الضِّعف، ثم جزاءً الضعفَ، ثم ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾. ومعنى ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾: أن تضاعف لهم حسناتهم، الواحدة عشرًا

للمضاعفة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال القاضي: أو أنها صفة موصوف محذوف، أي: ما أموالكم ولا أولادكم بالتقوى التي تقربكم عندنا زلفى[١].

قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثناء من الكم، قال الزجاج: موضع ﴿مَنۡ﴾ نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم، أي: لا تُقرِّب الأموال إلا مَنْ آمن وعمل بها في طاعة الله تعالى[٢].

وقال القاضي: ويجوز أن يكون منصوبًا من ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُم﴾ على حذف المضاف، أي: إلا أموال من آمن وأولاد من آمن[٣]. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء، أي: ﴿مَنۡ﴾ منا، وما بعده خبر[٤].

قوله: (ورشّحهم): أي: ربّاهم وهيّأهم.

---

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٢٦٧).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٤).
(٣) «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٨).
(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٦٠).

وقرئ: «جزاءُ الضعفِ» على: فأولئك لهم الضعف جزاءً، و«جزاءٌ الضعفُ» على أن «جزاءً» الضعف، و«جزاءٌ الضعفُ» مرفوعان، «الضعفُ» بدلٌ من «جزاءٌ». وقُرئ ﴿في الغُرُفات﴾ بضمّ الراء وفتحها وسكونها، و«في الغرفة».

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [٣٩]

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فهو يعوّضه، لا معوّض سواه؛ إمّا عاجلاً بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإمّا آجلاً بالثواب الذي كلّ خلف دونه. وعن مجاهد: من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد، فإن الرزق مقسوم، ولعلّ ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسّع عليه، فينفق جميع ما في يده، ثم يبقى طول عمره في فقر، ولا يتأوّلنّ ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

قوله: (و«جزاءٌ الضعفُ» مرفوعان) قال الزجاج: ويجوز رفع «الضعف» من جهتين: على معنى: فأولئك لهم الضِّعف، على أن يكون «الضعف» بدلاً من «جزاء»، ويكون مرفوعاً على إضمار «هو»، كأنه لما قيل: ﴿لَهُمْ جَزَاءُ﴾ قيل: ما هو؟ فقال: هو الضعف، ويجوز النصب في «الضعف» على مفعول ما لم يسم فاعله، على معنى: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف، والقراءة المشهورة: خفض «الضعف» ورفع «جزاء»[1].

قوله: (وقرئ ﴿فِي الْغُرُفَاتِ﴾) حمزة: «في الغرفة» بسكون الراء[2].

قوله: (ولا يتأوّلنّ) وروي: «ولا يتأوّل» ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: لا يصرفنّه عن ظاهره ويقول: وما أنفقتم من شيء فإن الله يعوّضه في الدنيا؛ لأن «ما» شرطية، وقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ جزاؤه، ولأنه وارد على سبيل الوعد على الإنفاق، والإسراف لا يصح أن يحمل على الإنفاق.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٥).
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص ٥٢٩).

روى الحاكم: عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقة، وكلُّ ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه كتب له به صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنًا إلا ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية»[1].

قال الكوراني: أما شرط بحسب قوله: ﴿أعطى﴾ و﴿من بخل﴾ [illegible] الشرط [illegible] أو بمعنى [illegible] ﴿فهو يخلفه﴾ أي: [illegible] بالقناعة التي هي كنز لا يفنى [illegible] وفي الحديث: «اللهم أعط منفقًا خلفًا»[2]، وفيه [illegible][3].

قلت: هذا هو الوجه، وعليه الوجه الأول، ولذلك أردفه بقوله: ﴿[illegible]﴾ تتميمًا للكلام، أي: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

ويؤيده ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[4].

وعن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي أمامة قال: قال أبو ذر: يا نبي الله أرأيت الصدقة ماذا هي؟ قال: «أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد»[5].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك [illegible] والبيهقي في السنن الكبرى [illegible].

(2) أخرجه البخاري في [illegible] من حديث [illegible] رضي الله عنه.

(3) أخرجه البخاري [illegible] ومسلم [illegible] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري [illegible] ومسلم [illegible].

(5) أخرجه الإمام أحمد [illegible].

فإن عوضه في الآخرة. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأفضلهم رزقًا لعباده؛ لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده، أو سيد يرزق عبده، أو رجل يرزق عياله؛ فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء، وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق. وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي، فكم من مشتهٍ لا يجد، وواجدٍ لا يشتهي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [٤٠-٤١]

هذا الكلام خطابٌ للملائكة، وتقريعٌ للكفار، واردٌ على المثل السائر:

إياكِ أعني واسمعي يا جارة

والمثل أيضًا يساعد عليه؛ لأن الآية حث على الصدقة والإنفاق في سبيل الله، ولأن هذه الآية تعريضٌ بمعنى قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ كما يقال: الأموال والأولاد لا تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله. ومعنى الآية: أن الله هو الباسط القابض، فلا تخافوا النفقة في سبيله؛ فإن الله ضامن الرزق، ولا يضيع أجر المحسنين.

قوله: (الحمد لله الذي أوجدني) الجوهري: أوجده، أي: أغناه، وقال: الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر، وأجدني بعد ضعف، أي: قوّاني.

قوله: (إياكِ أعني واسمعي يا جارة) قال الميداني: أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري، وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحياء طيئ، فسأل عن سيد الحي فقيل: حارثة بن لأم، فأمّ رحله فلم يصبه، فقالت له أخته: انزل في الرحب والسعة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبائها فرآها أجمل أهل دهرها وأكملهم، وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها، فوقع في نفسه، فجعل لا يدري كيف يعلمها، فجلس بفناء الخباء يومًا وهي تسمع:

يا أخت خير البدو والحضارة ... كيف ترين في فتى فزارة

أن تعبدنا من العلواء، وهي البُعْد. والوليّ: يقع على الموالي والمُوالي جميعًا. والمعنى: أنت الذي نواليه من دونهم؛ إذ لا موالاة بيننا وبينهم، فنفَوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم؛ لأنّ من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يريدون الشياطين، حيث أطاعوهم في عبادة غير الله. وقيل: صوّرت لهم الشياطين صُوَرَ قومٍ من الجنّ وقالوا: هذه صُوَرُ الملائكة فاعبدوها. وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عُبِدت فيُعبَدون بعبادتها. وقرئ: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ و﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء.

[﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ٤٢]

الأمرُ في ذلك اليوم لله وحده، لا يملكُ فيه أحدٌ منفعةً ولا مضرةً لأحد؛ لأنّ الدار دارُ ثوابٍ وعقابٍ، والمثيبُ والمعاقِبُ هو الله، فكانت حالُها خلافَ حال الدنيا التي هي دار تكليف، والناسُ فيها مخلًّى بينهم، يتضارّون وينتفعون. والمراد أنه لا

[illegible] ابن أبي طالب، أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة"(١).

قوله: (المطلع) [illegible] الوليّ فعيل من الولاية، بمعنى الفاعل والمفعول جميعًا [illegible] يعطي بكسر العين في الماضي [illegible] معًا من [illegible]

قوله: (من العلواء) [illegible]

[illegible] عن عدواء الدار [illegible](٢)

قوله: (وقرئ: ﴿نحشرهم﴾ و﴿نقول﴾ بالنون والياء) [illegible](٣)

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

ضارًّا ولا نافع يومئذ إلا هو وحده، ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معطوفًا على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

[﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [٤٣]]

الإشارة الأولى إلى رسول الله ﷺ، والثانية إلى القرآن، والثالثة إلى الحق، والحق: أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو. وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي أن لم يقل: وقالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في «لما» من المبادهة بالكفر: دليلٌ على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد، وتعجيب من أمرهم بليغ، كأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النيّر قبل أن يذوقوه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فبتّوا القضاء على أنه سحر، ثم بتّوه على أنه بيّن ظاهر، كلُّ عاقل تأمله سماه سحرًا.

قوله: (وما في اللامين من الإشارة) عطف تفسيري على [illegible] الرفع، على قوله: (وفي قوله: وقال الذين كفروا) إلى آخره، يعني أن اللامين في «الذين كفروا» وفي «الحق» للعهد، ومدخولها أتي مقام المضمرين، لما أولًا مرّ قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ من حيث الإضمار، وأنه يقال: قالوا، وإنما المتأتي من قوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ﴾ وقوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ فيقتضي أن يقال: فيها، وقد تقرر أن سلوك هذه الطريقة لا يكون إلا للإيذان بأن الأمر عظيم والخطب جليل، وإليه الإشارة بقوله: «أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل هذا الحق النيّر، قالوا: إن هذا إلا سحر مبين». أما قوله: «قبل أن يذوقوه» فإشارة إلى دلالة «لما» على المبادهة، وقوله: «فبتّوا القضاء» إشارة إلى الحصر بما يعطيه «إن» و«إلا» من معنى القصر، وقوله: «ثم بتّوه على أنه بيّن ظاهر» إشارة إلى تنكير ﴿سِحْرٌ﴾ ولفظة ﴿مُّبِينٌ﴾.

[﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [٤٤-٤٥]

وما أعطيناهم كتباً يدرسونها فيها برهانٌ على صحة الشرك، ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا، كما قال عزّ وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]، أو وصفهم بأنهم قومٌ أميون أهل جاهلية لا ملة لهم، وليس لهم عهدٌ بإنزال كتاب ولا بعثة رسول، كما قال: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١] فليس لتكذيبهم وجه متشبث، ولا شبهة متعلق، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله، ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ﴾ تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا، وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال، فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون، فما

قوله: (أو وصفهم بأنهم قوم أميون) عطف على قوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها برهان، من حيث المعنى.

يعني: أن وصف الكتب بقوله: ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ يمكن أن يكون من قولك: ما عندي كتاب يقرأ، فهو نفي القراءة وحدها، وأن عنده كتاباً إلا أنه لا يقرأ، أو نفيهما معاً وأن لا كتاب عنده ولا قراءة منه، وهذان الوجهان اللذان ذكرهما من القبيل الثاني.

قوله: (جاءهم إنكاري بالتدمير) يعني: قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقتضي هذا التقدير، صرّح القاضي به حيث قال: فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم، فليحذر هؤلاء من مثله[1]، فتكون الفاء في ﴿فَكَيْفَ﴾ فصيحة؛ لأنها تقتضي هذا التقدير، والعطف والإنكار وتعيين [illegible]

---

(١) أنوار التنزيل (٤/٤١٠).

عنه، ونظيره أن يقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ. ويجوز أن يعطف على قوله: ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾ كقولك: ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: للمكذبين الأولين، فليحذروا من مثله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦)

﴿بِوَاحِدَةٍ﴾: بخصلة واحدة، وقد فسرها بقوله: ﴿أَن تَقُومُوا﴾ على أنه عطف بيان لها، وأراد بقيامهم: إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ، وتفرقهم عن مجتمعهم عنده، وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين، ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة. والمعنى: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصًا، متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به. أما الاثنان: فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى، ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه. وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن

قوله: (على أنه عطف بيان لها): قال أبو البقاء: ﴿أَن تَقُومُوا﴾ في موضع جر بدلًا من ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾، أو رفع على تقدير: هي أن تقوموا، أو نصب على تقدير: أعني[1].

قلت: هذا التقدير أوفق لاختيار المصنف، وأما [illegible] لأن [illegible] في كلام المصنف وأرخى للعنان.

قوله: (وتفرقهم عن مجتمعهم عنده): قيل: «عنده» حال من «مجتمعهم»، ولا يجوز أن يتعلق به؛ لأنه اسم المكان لا يعمل.

---

(1) «التبيان في إعراب القرآن» ([illegible]).

يتفكر فيه ويعرض فكره على نظره وذهنه، وما استمر عليه من عادات العقلاء وتجارب أمورهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى: أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الروية، ويخلّط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب. وأراد بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً، لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان: إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز، بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب، وإما عاقل راجح العقل، مرشح للنبوة، مختار من أهل الدنيا، لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه، وإلا فما تجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه، وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جنة، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأرزنهم حلماً، وأثقبهم ذهناً، وآصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزههم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به، فكان مظنة لأن تظنوا به الخير، وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب، وإذا علمتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية، فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين. فإن قلت: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله عز وجل

قوله: (رقبة العواقب) أي: خوفها. الأساس: رقبه وراقبه: حاذره؛ لأن الخائف يرقب العقاب ويتوقعه.

قوله: (بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأرزنهم حلماً، وأثقبهم ذهناً، وآصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزههم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به): هذه المعاني كلها نوع من الأسلوب الإنصافي والكلام المنصف، والتخصيص بصاحبكم وتأكيد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾، فلله دره ما أحسن بيانه وما أعذب لفظه وما ألذ مساقه، اللهم احشرنا مع جماعة من هذا القبيل، وأعذنا من غبار التعصب.

قوله: (وآصلهم رأياً): هو من قولهم: هو أصيل الرأي، وقد أصل أصالة.

قوله: (كلاماً مستأنفاً) أي: يكون ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ مبتدأ والظرف ﴿بِصَاحِبِكُم﴾ خبره.

على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ، ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ ثم ابتدأ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، وقد جوّز بعضهم أن تكون (ما) استفهامية. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه السلام: «بعثت في نسم الساعة».

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٤٧]

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جزاء الشرط الذي هو قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾، تقديره: أي شيء سألتكم من أجر فهو لكم، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، وفيه معنيان: أحدهما: نفي مسألة الأجر رأسًا، كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني

لمزية الاستغراقية لنفي ما يقال له جنة، كأنهم لما سمعوا ذلك الكلام الذي يخطر منه بعض الأوصاف والانتصاف بحيث يخطر لهم أن يسألوا: أي شيء هذه الإنابة وهذا الخلوص، وهذا النظر الدقيق واستعمال الفكر؟ فقيل عند ذلك: لاستعلام حال صاحبكم واستكشاف أمره؛ لأنه يتصدى للأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة. وفي إطلاق ﴿بِصَاحِبِكُمْ﴾ مبالغة ليست في تقييده.

قوله: («بعثت في نسم الساعة»): رواه ... عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه» لأصبعيه السبابة والوسطى[1].

النهاية: قيل: هو جمع نسمة، أي: بعثت في ذوي أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة، كأنه قال: في آخر النشء من بني آدم.

المغرب: في نسيم الريح: أولها حين يقبل بلين قبل أن يشتد، ومنه الحديث: «بعثت في نسم الساعة» أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها.

قوله: (نفي مسألة الأجر رأسًا) قيل: (رأسًا) حال، أي: في حال كون الأمر متعلقًا ...

---

(1) أخرجه الترمذي (٢٢١٣) ... [illegible]

والقَذْفُ والرمي: تزجيةُ السَّهمِ ونحوه بدفعٍ واعتماد، ويُستعاران من حقيقتهما بمعنى الإلقاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ [طه: ٣٩]. ومعنى ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله إلى أنبيائه، أو يَرمي به الباطلَ فيدمغه ويُزهقه. ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: رفعٌ محمولٌ على محلِّ إنَّ واسمها، أو على

قوله: (تزجيةُ السَّهمِ ونحوه): قال: التزجية: دفعُ الشيء برفق، وهي هنا مناسبة للمقام؛ لأنَّ فيه دفعَ الشيء بضعف. وفي «أساس البلاغة»: التزجية: دفعُ الشيء كما تُزجي البقرة ولدها وتسوقه، والريح تُزجي السحاب تسوقه سوقًا رفيقًا[1]، وكذا في «الصحاح» و«الأساس». ولعلَّ المصنِّف خصَّ التزجية هاهنا لما فيه من التدريج.

قوله: (ويُستعاران من حقيقتهما بمعنى الإلقاء): ونحوه في المجاز استعمال العرض، وهو موضوعٌ للأعلى فيه، يُستعمل في إبطال الأثر.

قوله: (أو يرمي به الباطلَ فيدمغه ويُزهقه): فعلى هذا هو من الاستعارة المصرَّحة التحقيقية التي قال صاحب «الصحاح»[2]: أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحقِّ على الباطل، والدمغ لإذهاب الباطل، فالمستعار منه حسيٌّ والمستعار له عقلي، وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [illegible] الآية الثانية مقررة للأولى، وعلى الأول تكميل؛ لأنه الأولى يثبت الحق [illegible] الباطل، ويجوز أن يكون من باب الطرد والعكس.

قوله: (محمولٌ على محلِّ إنَّ واسمها): قال مكي: من رفع جعله نعتًا على الموضع، أو على البدل منه، أو على البدل من المضمر في ﴿يَقْذِفُ﴾، ونصبه عيسى بن عمر جعله نعتًا على اللفظ أو على البدل، ويجوز الرفع على أنه خبرٌ بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف[3].

---

(١) «أساس البلاغة» (١/ ٤١٩).
(٢) «الصحاح» (مادة: قذف).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٩٤).

المستكن في ﴿يَقذِفُ﴾، أو هو خبر مبتدأ محذوف، وقرئ بالنصب صفة لـ﴿رَبِّي﴾ أو على المدح. وقرئ ﴿الغُيُوبِ﴾ بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور، وهو الأمر الذي غاب وخفي جدًّا.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [٤٩]

والحي إما أن يبدئ فعلًا أو يعيده، فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم «لا يبدئ ولا يعيد» مثلًا في الهلاك، ومنه

وقال بعضهم: لا يجوز البدلية لأنه يفسد التركيب [illegible] عنه، [illegible] لا يستلزم جواز حذف [illegible] مطلقًا كما ذكر في «المفصل».

قوله: (وقرئ ﴿الغُيُوبِ﴾ بالحركات الثلاث) [illegible] وشعبة [illegible] والباقون بضمها[1]. قال الزجاج: الأجود الضم[2].

قوله: (فالغيوب) بالكسر والضم جمع غيب كالبيوت جمع بيت، وبالفتح مفرد كالصبور للمبالغة.

قوله: (كالقشيري) [illegible] الجوهري [illegible] وكلاهما صيغة [illegible].

قوله: («لا يبدئ ولا يعيد» مثلًا في الهلاك) قال بعضهم: [illegible] لا [illegible] أي مات.

وقال الواحدي: ما يبدئ الباطل وما يعيد أي ذهب الباطل [illegible] فلم يبق منه إقبال ولا إدبار ولا إعادة[3]، يريد أن هذا الكلام [illegible] عن معنى الهلاك كناية [illegible] الإشارة [illegible] الوجه[4] [illegible].

---

(1) انظر: النشر لابن الجزري [illegible].

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج [illegible].

(3) الوسيط للواحدي [illegible].

(4) [illegible]

قولُ عبيد:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ ... فَالْيَوْمَ لا يُبْدِي وَلا يُعِيدُ

والمعنى: جاء الحقُّ وهلك الباطل، كقوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ [الإسراء: ٨١]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: دخل النبيُّ ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾». والحق: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: السيف. وقيل: الباطل: إبليس، أي: ما ينشئ خلقًا ولا يعيده، المنشئ والباعث هو الله تعالى. وعن الحسن: لا يبدئ لأهله خيرًا ولا

قوله: (قول عبيد)، وهو عبيد بن الأبرص. أقفر، أي: خلا من أهله وهلكوا. وذلك أن المنذر بن ماء السماء كان خليلًا، وكان له يوم في السنة يذبح فيه أول من يلقى، فلقي عبيدًا في ذلك اليوم فأمر بقتله، فقال له: أنشدنا، فقال: حال الجريض دون القريض، فقال الملك: أنشدنا قولك:

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيات فالذنوب

فقال:

أقفر من أهله عبيد ... فاليوم لا يبدي ولا يعيد[1]

الجريض: الغصّة من الجرض، وهو الريق يغصّ به على همٍّ وحزن، والقريض: الشعر، وملحوب: موضع، وكذلك القطبيات والذنوب.

قوله: (وعن ابن مسعود) الحديث: رواه البخاري ومسلم والترمذي[2]، وليس في آخره الآية.

قوله: (أي ما ينشئ خلقًا ولا يعيده): الفاعل إبليس، وهذه [illegible] الكلام الأول عن

---

(١) انظر: [illegible] (٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١)، والترمذي [illegible].

بعيد﴾ أي: لا نصدقهم في الدنيا والآخرة. وقال الزجاج: أي: أنهم يرجمون بالظن ويبعدون بعيدة للاستفهام. وقيل: للشيطان الباطل؛ لأنه صاحب الباطل، أو لأنه هالك، كما قيل له: الشيطان، من شاط إذا هلك.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [٥٠]

قرئ: ﴿ضَلَلْتُ﴾ ﴿أَضِلُّ﴾ بفتح العين مع كسرها، و«ضَلِلْتُ» «أَضَلُّ» بكسرها مع فتحها، وهما لغتان نحو: ظَلَلْتُ أظلُّ، وظَلِلْتُ أظَلُّ. وقرئ: «إِضِلُّ» بكسر الهمزة مع فتح العين. فإن قلت: أين التقابل بين قوله: ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾؟ وإنما كان يستقيم أن يقال: فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما

التصريح لا الكناية كما في الوجه السابق. وقال الزجاج: «ما» في موضع نصب على معنى: أيَّ شيء يبدئ الباطل وأيَّ شيء يعيد، و«ما» الأخرى أن تكون نفيًا على معنى: ما يبدئ الباطل وما يعيد، والباطل إبليس، أي: لا يبدئ الخلق ولا يخلق، والله هو الخالق الباعث[1].

وقيل: الوجه هذا هو الأول لأنه تعلق بما قبله ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: شأنه [illegible] أن يرمي بالحق الباطل فيدمغه [illegible] أمرًا، قال: [illegible] الحق الإسلام أو القرآن، وعن الباطل والشيطان.

قوله: (وقرئ[2] ﴿ضَلَلْتُ﴾ ﴿أَضِلُّ﴾ بفتح العين مع كسرها) وهي المشهورة، و«ضَلِلْتُ» و«أَضَلُّ» شاذتان. في «المطلع»: «ضَلَلْتُ» بفتح اللام «أَضِلُّ» بكسر الضاد، و«ضَلِلْتُ» بكسر اللام «أَضَلُّ» بفتح الضاد، من باب [illegible]، وهو نحو: ظَلَلْتُ أظَلُّ، وظَلِلْتُ أظَلُّ. و«إِضِلُّ» بكسر الهمزة مع فتح الضاد على لغة من يقول: إِعلم.

---

(1) «معاني القرآن» للزجاج ([illegible]).

(2) [illegible]

اهتدى فلها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر: ٤١]. أو يقال: فإنما أضلُّ بنفسي؟ قلتُ: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأن النفس كلُّ ما عليها فهو بها، أعني: أن كلَّ ما هو وبالٌ عليها وضارٌّ لها فهو بها وبسببها؛ لأنها الأمّارة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه، وهذا حكمٌ عامٌّ لكلِّ مكلَّف، وإنما أمر رسوله ﷺ

قوله: (أو يقال: فإنما أضل بنفسي)، يريد: أن التقابل الحقيقي هو أن يقابل «على» باللام كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أو يقابل بين الباءين، فيكون المعنى: إن ضللتُ فإنما أضل بسبب نفسي، وإن اهتديتُ فإنما أهتدي بتسديد الله بسبب وحي ربي إليّ.

وتلخيص الجواب: أن المقصود أن يكون الكلام جامعاً بين المعنيين مع سلوك طريق الاختصار، والمعنى: أن ما على النفس من الوبال هو بسببها، وأن ما لها من النفع هو بسبب الله، فدل لفظ «على» في القرينة الأولى على معنى اللام في الثانية، والباء في القرينة الثانية على معنى السببية في الأولى، فصار التقدير: قل إن ضللت فإنما أضل بسبب نفسي، وإن اهتديت فإنما أهتدي لنفسي بعون الله وتوفيقه، فقوله: «لأن النفس كل ما عليها فهو بها» تعليل لصحة تقدير الباء في القرينة الأولى، وقوله: «وما لها مما ينفعها فبهداية ربها» تعليل لاستقامة تقدير «لها» في الثانية، انظر إلى هذا النظم الدقيق.

قوله: (وهذا حكم عام لكل مكلف، وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه؛ لأنه إذا دخل تحته كان غيره أولى)، وقال الإمام: فيه إشارة إلى أن ضلال نفسي كضلالكم؛ لأنه صادرٌ من نفسي، ووباله على نفسي، وأما اهتدائي فليس كاهتدائكم بالنظر والاستدلال، وإنما هو بالوحي المبين[2].

وقلتُ: هذا البيان دلَّ على أن الأول أصل الحق والخطأ من أصل العقل، وكان الحق

---

(١) في (...): [illegible]

(٢) مفاتيح الغيب [illegible]

أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محلّه وسداد طريقته كان غيره أولى به. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يدرك قول كل ضالٍّ ومهتدٍ وفعله، لا يخفى عليه منهما شيء.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [٥١]

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمرًا عظيمًا وحالًا هائلة. و«لو» و«إذ» والأفعال التي هي ﴿فَزِعُوا۟﴾ و﴿وَأُخِذُوا۟﴾ و«حِيل بينهم» كلها للمضيّ، والمراد بها الاستقبال؛ لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووُجد لتحقُّقه. ووقت الفزع: وقت البعث وقيام الساعة، وقيل: وقت الموت، وقيل: يوم بدر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في خسف البيداء، وذلك أن ثمانين ألفًا يغزون الكعبة ليخرّبوها، فإذا دخلوا البيداء خُسِف بهم. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا يفوتون الله ولا يسبقونه.

نسبة إلى الضلال؛ لأن قريشًا كانوا يقولون: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: إثم ضلالي على نفسي، وإن اهتديت فإنما أهتدي بما يوحي إليّ ربي من القرآن والحكمة[1].

قوله: (نزلت في خسف البيداء) روينا في «مسند أحمد بن حنبل» عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إلى جيشٍ من قِبَل المشرق يريدون رجلًا من مكة حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِف بهم»، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان منهم مستكرهًا؟ قال: «يخسف بهم كلهم، ذلك لم يبعث الله عز وجل كل امرئ على نيته»[2].

قيل: كان ذلك في أيام ابن الزبير، والبيداء: بيداء أهل المدينة، ونحوها ما رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وليس فيه ذكر أيام ابن الزبير[3].

---

(١) «تفسير البغوي» (٦/٤٠٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٤٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤) وغيرهما.

وقُرئ: (فلا فوتَ)، (والأخذ من مكانٍ قريبٍ): من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من صحراء بدرٍ إلى القليب، أو من تحت أقدامهم إذا خُسف بهم. فإن قلت: علامَ عطف قوله: ﴿وَأُخِذُوا﴾؟ قلتُ: فيه وجهان: العطف على ﴿فَزِعُوا﴾، أي: فزعوا وأُخذوا فلا فوت لهم، أو على (لا فوت)، على معنى: إذ فزعوا فلم يفوتوا وأُخذوا. وقُرئ: (وأَخْذٌ)، وهو معطوفٌ على محلِّ (لا فوتَ)، ومعناه: فلا فوتَ هناك، وهناك أَخْذٌ.

قوله: (والأخذ من مكان قريب)، قيل: هذا مبتدأ والخبر: (من الموقف)، أي: الأخذ من مكان قريب هو الأخذ من الموقف منتهيًا بهم إلى النار.

قوله: (العطف على ﴿فَزِعُوا﴾)، أي: فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم، أي: الفاء فيه معنى السببية، أي: حصل فزعهم وأخذهم إياهم فإذن فلا فوت لهم، لعل هذا إشارة إلى ما قال ابن جني: إنه على ما ينبغي أن يكون ﴿وَأُخِذُوا﴾ في قراءة العامة معطوفًا على ما دلَّ عليه قوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: أحيط بهم وأخذوا، ولا يصحُّ أن يكون معطوفًا على ﴿فَزِعُوا﴾ لأنه لا يراد ولو ترى وقت فزعهم وأخذهم، وإنما المراد: لو ترى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا، فعطف على ما فيه الفاء السببية فيكون حكمه حكمها[1].

قوله: (وقُرئ: (وأَخْذٌ) وهو معطوفٌ على محلِّ (لا فوت))، قال الزجاج: ويجوز: (وأخذٌ)، ولا أعلم أحدًا قرأ بها، فإذا لم تثبت بها رواية فلا تُقرأ بها[2].

قال ابن جني: (وأخْذٌ) قراءة طلحة بن مصرِّف، رفعه وشبهه: أجمعها أنه مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: وأحاط بهم أخذٌ من مكان قريب، ويدل على الذي هذا تأويله أنه منقول وجرى مجرى قوله، أي: هناك أخذٌ وإحاطة بهم[3].

---

(١) المحتسب (٢/ ١٩٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٨)، وانظر: [illegible]

(٣) المحتسب (٢/ ١٩٤).

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ: ٥٢ - ٥٤].

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، والتناوش والتناول أخوان، إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب، يقال: ناشه ينوشه، وتناوشه القوم، ويقال: تناوشوا في الحرب، ناش بعضهم بعضًا. وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا، مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة، كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولًا سهلًا لا تعب فيه.

قوله: (﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بمحمد صلوات الله عليه، لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾)، إشارة إلى باب النظم، وذلك أن كله من الآيات المتضافرة [illegible] من قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم﴾ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ﴾ فيه تكرير [illegible] قوله: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي﴾ [illegible] إلى معنى المشاركة وأن تلك النصيحة [illegible] قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ تعظيم الأمر وفظاعة [illegible] بمحمد ﷺ فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ [illegible].

قوله: (من غلوة)، وهي مقدار رمية.

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

وقرئ: (التناؤش) بالهمزة قلبت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدؤر، وعن أبي عمرو: (التناؤش) بالهمز: التناول من بعد، من قولهم: نأشت: إذا أبطأت وتأخرت، ومنه البيت:

تمنى نئيشا أن يكون أطاعني

﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ معطوف على ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ على حكاية الحال الماضية، يعني: وكانوا يتكلمون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ويأتون به ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، وهو قولهم في رسول الله ﷺ: شاعر، ساحر، كذاب، وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي؛ لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا، وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله؛ لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر، وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت: الكذب والزور. وقرئ: (ويقذفون بالغيب) على البناء للمفعول، أي: يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه. وإن شئت فعلقه بقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم: آمنا في

قوله: (وقرئ: «التناؤش») الحرميان وابن عامر وحفص: ﴿التَّنَاوُشُ﴾ بضم الواو، والباقون يهمزها(1).

قوله: (تمنى نئيشا أن يكون أطاعني) تمامه في «المطلع»:

وقد حدثت بعد الأمور أمور(2)

يقول: إن صاحبي تمنى آخر الأمر أن يكون أطاعني فيما نصحته من قبل، والحال أنه حدثت أمور بعد أمور دلت على رشادي وصدق رأيي.

قوله: (وإن شئت) عطف على قوله: «﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ معطوف على ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾»، أي: يكون حالا من ضمير «قالوا»، أي: قالوا: آمنا به، والحال أنهم يرمون من مكان بعيد

---

(1) «التيسير» للداني، وانظر: «معجم القراءات» (ص ٤١٩).

(2) البيت لنهشل بن حري، انظر: [illegible] (٤/ ٣٣٢).

الآخرة، ولقد مثّلت حالهم تمثيلَ من يقذف شيئاً من مكانٍ بعيد لا مجال للظنّ في لحوقه، حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه شاحطاً. والغيب: الشيء الغائب. ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وكانوا يقولون: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب، ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا، قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا، فهذا كان قذفهم بالغيب، وهو غيبٌ ومقذوفٌ به من جهة بعيدة؛ لأنّ دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف.

﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة، أو من الردّ إلى الدنيا كما حُكي عنهم: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم. ﴿مُرِيبٍ﴾ إمّا من أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة، أو من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها، وكلاهما مجاز، إلا أنّ بينهما فريقاً، وهو أنّ المريب من الأول منقولٌ ممن يصحّ أن يكون مريباً من الأعيان إلى المعنى، والمريب من الثاني منقولٌ من صاحب الشك إلى الشك، كما تقول: شعرٌ شاعر.

وبعض ... ما تحصوله ... الإشارة بقوله: «مثّلت» في حالهم إلى قوله: «من يقذف شيئاً من مكان بعيد» وهو استعارة تمثيلية.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) عطفٌ على قوله[1]: «أما محمد ﷺ» يعني الضمير في «به» يرجع إلى عذاب شديد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: من صاحبكم.

قوله: (المريب)، والحاصل أن المريب صفةٌ للشاك، لا يصحّ وصفُ الشكّ به، فوجهه أن يجعل الشك كالإنسان على الاستعارة المكنية، ثم يُنسب إليه ما هو من خواصّ الإنسان.

---

(1) في (ط): «المظهر في قذفهم» ...

[illegible] على رسول الله ﷺ أمرٌ قد [illegible] لم [illegible] رسولٌ ولا نبيٌّ إلا [illegible] يوم القيامة [illegible]

(١) [illegible] على سبيل الاستعارة التخييلية [illegible] الإشارة [illegible] من الأعلى [illegible] الإسناد [illegible] من الإسناد المجازي [illegible]

[illegible] سورة [illegible] الله [illegible]

* * *

سورة الملائكة

مكية، خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١]

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾: مبتدئهما ومبتدعهما. وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ حتى اختصم إليّ أعرابيان في

سورة الملائكة[1]

مكية، خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (عن ابن عباس: ما كنت أدري ما ﴿فاطر السماوات والأرض﴾) رواه ابن جرير أيضا. وقال الراغب: أصل الفطر: الشق طولا، يقال: فطر فلان كذا فطرا، وأفطر هو فطورا، وانفطر انفطارا، وقال تعالى: ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] أي: من اختلال ووهي فيه، وفطرت الشاة: حلبتها بالسبابة والإبهام، وفطرت العجين: إذا عجنته فخبزته من وقته، وفطر الله الخلق: وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال.

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

متن: فقال: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها. وقرئ: (الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة)، وقرئ: (جاعلُ الملائكة) بالرفع على المدح

قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] إشارة إلى ما ركز في النفوس من معرفته، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ويصحّ أن يكون الانفطار في قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] إشارة إلى قبولها ما أبدعها وأفاضه علينا منه. والفطر: ترك الصوم، يقال: فطرته وأفطرته وأفطر هو.

وقال أبو البقاء: الإضافة محضة؛ لأنه للماضي لا غير. وأما ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ﴾ فكذلك في أحد الوجهين، وأجاز بعضهم أن تكون غير محضة على حكاية الحال، و﴿رُسُلًا﴾ مفعول ثانٍ، و﴿أُولِي﴾ حال منه أو نعت له، ويجوز أن يكون ﴿جَاعِلِ﴾ بمعنى خالق، و﴿رُسُلًا﴾ حال مقدرة[1].

وقال غيره: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ صفة لله ومعرفة؛ إذ لم يجر على الفعل، بل أريد به الاستمرار والثبات والدوام، كما يقال: زيد مالك العبيد، أي: هو المالك من شأنه أن يملك العبيد.

قوله: (وقرئ: «الذي فطر»)[2]: قال ابن جني: هي قراءة الضحاك[3].

قوله: («جاعلُ الملائكة»)[4]: بالرفع على المدح، قال ابن جني: وهي قراءة الحسن، هذا على الثناء على الله، وإن لم يكن في الجملة ما فيها من الضمير العائد إلى الأول؛ لأن الثناء كان أحد نوعي الأخبار إلى قوله: عرفت.

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ [illegible]).
(٢) [illegible] (٣/ [illegible]).
(٣) انظر: المحتسب لابن جني (٢/ [illegible]).
(٤) المحتسب (٢/ ١٩٨).
(٥) انظر: [illegible] (٣/ [illegible]).

من ألفاظ الأعداد عن صيغة إلى صيغة أخرى كما تقول «مثنى» عن «اثنين»، و«ثلاث» عن «ثلاثة»، و«رباع» عن «أربعة»، وعن تكرير إلى غير تكرير، وأمّا الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين

ولكنّما أهلي بوادٍ أنيسه ... ذئابٌ تبغّى الناس مثنى وموحد[1]

ونقل الزمخشري [illegible] العدل فيها للعدل والصفة[2]. وقال: [illegible] من لفظه ثلاثة إلى [illegible] ومن معنى ثلاثة ثلاثة إلى [illegible] [illegible] مثنى به ثلاثة ثلاثة.

وقال صاحب «الكشاف»: معنى قوله: ﴿مثنى﴾ معدول عن اثنين اثنين، أنه إذا [illegible] «مثنى» [illegible] اثنين اثنين، والأصل أن تريد بالكلمة معناها دون معنى كلمة أخرى، فتحصل [illegible] الاسم [illegible] لأن [illegible] أن تلفظ كلمة وتريد كلمة أخرى، فلما كان كذلك كان العدل [illegible] اجتمع مع الصفة وجب أن يمنعه الصرف[3].

قوله: (والعدل في[4] «حذام») عن «حاذمة» [illegible] في أسماء الأعلام المؤنثة، ثم [illegible] إلى العلمية، ثم نقل عن حاذمة إلى حذام.

قوله: (وأمّا الوصفية فلا تفترق [illegible] فيها ... فلا يعرج عليها)، أي: لو كانت الوصفية عارضة في اسم [illegible] الصرف [illegible] أربع [illegible] أن الوصفية [illegible] لأن الواضع [illegible] [illegible] والأسد [illegible] والرجل [illegible]

قال صاحب «المفتاح»: [illegible] الحال فيها [illegible] مثنى [illegible] صفة [illegible] والثلاثة

(1) معاني القرآن وإعرابه [illegible] والبيت [illegible]
[illegible]
(2) الكشاف [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]

المعدولة والمعدول عنها، ألا تراك تقول: مررت بنسوة أربع، وبرجال ثلاثة، فلا يعرّج عليها. والمعنى أنّ من الملائكة خلقًا أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد منهم جناحان، وخلقًا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقًا أجنحتهم أربعة أربعة. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته، والأصل الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين، ثمّ الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شقّ نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة، أو لعلّه لغير الطيران، فقد مرّ بي في بعض الكتب أنّ صنفًا من الملائكة لهم ستة أجنحة: فجناحان يلفّون بهما أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مرخيان على وجوههم حياءً من الله. وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمئة جناح. وروي أنه سأل جبريل

وعدم وقوعها صفة بالتأويل بقول: رجال ثلاثة، أي: معدودة بثلاثة، وكذا عن صاحب التقريب، فإنه قال: لا يلزم من عدم اعتبار عدم الوصفية في المعدول عنه عدم صحة اعتبارها في المعدول مع أنه لم يقع إلا وصفًا. وبحثٌ لبعض الفاربة فإنها يصلح أن يكون جوابًا عنه وهو أنّ ثلاث ورباع لا يخلو من أن يكون موضوعًا للصفة من غير اعتبار العدالة أو لا يكون، فإن كان الأول لم يكن فيه العدل والنقل جميعًا، وإن كان الثاني كان الوصف عارضًا لثلاث كما كان عارضًا لثلاثة، فيمكن أن يقال: إنّ هذه الأعداد غير منصرفة للعدل الكلّي للتجميع والعلمي الثابت.

قوله: «فلا يعرّج عليها» مشتق من قوله: «فلا تعرّج في الدار فيها الهوان»، وفي الصحاح: «ما عرّج عليه»[1] أي: لم يقم ولم يحتبس، أي: لا يلتفت إليها ولا يعبأ.

قوله: «أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج» رواه البخاري ومسلم والترمذي

---

(١) [illegible]

صلوات الله عليه أن يتراءى له في صورته، فقال: إنك لن تطيق ذلك، قال: «إني أحب أن تفعل»، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده، وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال: «سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا»، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن له اثني عشر جناحاً، جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع، وهو العصفور الصغير. وروي عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق

عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قال: رأى جبريل عليه السلام وله ست مئة جناح(١).

وفي رواية مسلم(٢): قال مسروق: عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد(٣)، له ست مئة جناح قد سد الأفق.

قوله: (يتضاءل) النهاية(٤): في حديث إسرافيل: «إنه ليتضاءل من خشية الله» أي: يتصاغر تواضعاً له، وتضاءل الشيء: إذا انقبض وانضم بعضه إلى بعض.

الفصل الثالث إلى آخره

قوله: (حتى يعود مثل الوصع) النهاية: «إن العرش على منكب إسرافيل، وإنه ليتواضع لله تعالى حتى يصير مثل الوصع» بفتح الصاد المهملة وسكونها: طائر أصغر من العصفور، والجمع وصعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٨٠/١٧٤)، والترمذي (٣٢٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) أجياد: موضع بأعلى مكة معروف.

(٤) النهاية (٣/ ٩٦).

ما يشاء﴾: هو الوجهُ الحسن، والصوتُ الحسن، والشَّعر الحسن، وقيل: الخط الحسن، وعن قتادة: الملاحة في العينين، والآية مطلقة تتناول كلَّ زيادة في الخلق؛ من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجُرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأتٍّ في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيطُ به الوصف.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢]

استُعير الفتحُ للإطلاق والإرسال، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ مكان: لا فاتح له، يعني: أيَّ شيء يطلقُ اللهُ من رحمة، أي: من نعمة: رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يُحاط بعددها، وتنكيرُ الرحمة للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، فلا أحد يقدرُ على إمساكها وحبسها، وأيَّ شيء يُمسكُ اللهُ فلا أحد يقدر على إطلاقه. فإن قلت: لِمَ أنَّث الضمير أولاً ثم ذكَّر، وهو راجعٌ في الحالين إلى الاسم المتضمِّن معنى الشرط؟ قلت: هما لغتان: الحمل على المعنى وعلى اللفظ، والمتكلِّم على الخيرة فيهما، فأنَّث على معنى الرحمة، وذكَّر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه، ولأن الأول فُسِّر بالرحمة فحسُن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسَّر الثاني فترك على أصل التذكير. وقرئ: (فلا مرسل

قوله: (وحصافة في العقل) النهاية: الحصيف: المُحْكَم العقل، وإحصاف الأمر: إحكامه.

قوله: (وذلاقة في اللسان) النهاية: ذَلْق اللسان: حدَّته، يقال: لسانٌ ذَلْقٌ طَلْق، أي: فصيح بليغ.

قوله: (ولباقة في التكلم) الجوهري: اللَّبِق: اللبيب: الرجل الحاذق الرفيق بما يعمله، [illegible] المرأة [illegible] [illegible].

لها. فإن قلت: لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول، ولكنه تُرك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسّر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت: فما تقول فيمن فسّر الرحمة بالتوبة، وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما؟ قلت:

قوله: (فما تقول)، الفاء تدل على إنكار على الكلام السابق، يعني: أنك إذا فسّرت الرحمة بالنعمة من الرزق والصحة والأمن، وما فصّلت به فهو صحيح؛ لأن إمساكها وإرسالها مبني على مراعاة الأصلح، فما تقول فيمن فسّرها بالتوبة؟ لأنه يعود إلى خلق الأفعال، وأن الله تعالى إذا فتح التوبة على أحد فلا ممسك لها، وما يمسك منها فلا مرسل لها، وهذا غير صحيح؛ لما يلزم من ذلك التناقض [illegible] على الاختيار.

[illegible] ما يؤول إليه مذهبه من التأويل البعيد.

والذي يساعده النظم: العموم في كل رحمة مختصة بالإنسان، وذلك أنه لما بيّن كمال قدرته في خلق السماوات والأرض والملائكة وغيرها أتبعه أنه مولي جميع النعم على الناس ظاهرة وباطنة، دينية ودنيوية، وكما افتتحت تلك الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ليدل على عموم المقدور، وقفيت هذه بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ليدل على شمول المقسور والمقدور، على أن تخصيص الرحمة بعيد، والحكيم أشعر بما ذهب إليه، نحو الآية قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أي: لأنه لا يمتنع على من يمتنع عليه بالتوبة، ولا يمسك على من يمسك عليه بالتوبة، إلا من ليس له عزة أحد يمنعه من ذلك، وإلا عن علم الحكمة فيما يفعله وإن غضب على غيره، فالأول أدل على أنه الغالب الذي يفعل[1] ما يشاء في ملكه فما يمنعه أحد، والثاني على أنه تعالى عالم بما يجري على كل أحد فلا يعترض على أسرار حكمته أحد.

فإن قلت: فما تقول في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، لأنه لا يحمد على النعمة العاجلة دون الباقية؟

---

(١) سقط لفظ «يفعل» من (ط).

إن أراد سالب نعمة الهداية عنه والتوفيق فيها، وهو الذي [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] فمقصوده وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي [illegible] فإنه لم [illegible] فهو قوله: (لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها). ﴿من بعده﴾: من بعد إمساكه، كقوله تعالى: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿فبأي حديث بعد الله﴾ [الجاثية: ٦] أي: من بعد هدايته، وبعد آياته. ﴿وهو العزيز﴾ الغالب القادر على الإرسال والإمساك، ﴿الحكيم﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه.

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ [٣]

ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، [illegible] وبالقلب، وحفظها

[illegible] التعريف في الناس الثاني [illegible] في الأول، لأنه للجنس، والثاني للعهد، وأن المراد بالناس قوم بأعيانهم وهم قريش، كما قال ابن عباس: هم أهل مكة أنعم الله عليهم بالنعم الظاهرة [illegible] وسيلة إلى تحصيل [illegible] فكفروا بالنعم [illegible] تلك النعمة [illegible] يدل عليه الترتيب في قوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾ ثم تعقيبه بقوله: ﴿وإن يكذبوك﴾، والله أعلم.

قوله: (لأن الله يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها) مردود [illegible] الأمة [illegible] كلمة لا يجحدها أهل الإسلام، وهي: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: (وحفظها) عطف على مضمر [illegible] أي: [illegible] باللسان وبالقلب، وحفظها [illegible] عطف على [illegible]

(١) [illegible]

من الكفران والغمط، وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أياديَّ عندك، يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها. والخطاب عامٌّ للجميع؛ لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: يا أهل مكة، اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه، ومنعكم من جميع العالم، والناس يتخطفون من حولكم. وعنه: نعمة الله العافية. وقرئ: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ بالحركات الثلاث: فالجرُّ والرفعُ على الوصف لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء. فإن قلت: ما محلُّ ﴿يَرْزُقُكُم﴾؟ قلت: يحتمل أن يكون له محلٌّ إذا أوقعته صفة لـ﴿خَلِقٍ﴾، وأن لا يكون له محلٌّ إذا رفعت محلَّ ﴿مِنْ خَلِقٍ﴾ بإضمار ﴿يَرْزُقُكُم﴾، أو أوقعت ﴿يَرْزُقُكُم﴾ تفسيراً له، أو جعلته كلاماً مبتدأً بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾.

نعمة بالقلب بمعرفة النعم، وباللسان بالاعتراف بأنها منه، وبالجوارح بالطاعة لموليها اقتداءً بقول القائل:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المحجَّبا[1]

قوله: (وقرئ: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ بالحركات الثلاث) حمزة والكسائي: بالجرِّ، والباقون: بالرفع[2]، والنصب شاذٌّ. وعن بعضهم: الجر وصفُ الخالق لفظاً، والرفع نعتٌ له محلاً، لأن ﴿خَلِقٍ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، [illegible] تقديره: هل من خالق غير الله لكم أو للأشياء. وقيل: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً على فاعل ﴿خَلِقٍ﴾، أي: هل يخلق غيرُ الله شيئاً؟

قوله: (أو جعلته كلاماً مبتدأً بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾) قال: هذا الوجه ضعيف؛ لأنه مثل قولك: هل زيدٌ خرج؟

---

(١) [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

فإن قلت: هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل؟ قلت: نعم، إن جعلت ﴿يَرْزُقُكُم﴾ كلاما مبتدأ، وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة، وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيّد فيهما بالرزق من السماء والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يُستشهد به على اختصاصه بالإطلاق؟

ما لا يستوي في الفائدة، فيقال: هل زيدا ضربت؟ ولا يقال: قد زيدا ضربت، [illegible] بخلافه [illegible] أيضا في قسم الحروف.

قوله: (فكيف يُستشهد به على اختصاصه بالإطلاق) أي: كيف يستشهد به على اختصاص الله بإطلاقه عليه وقد تقيد بقيد آخر؟ فإن المعنى على الوجهين: ليس خالق سوى الله صفته أنه يرزقكم، فيفهم أن هناك خالقا سوى الله ليس برازق، وأما على الاستئناف فمعناه: ليس خالق سوى الله موجودا.

ولقائل أن يقول: لم لم يجعل قوله: خالقا؟ فقيل: الله يرزقكم من السماء والأرض؛ لأن الخالق ينبغي أن يكون رازقا؛ لأن صفة الربوبية [illegible]، هذا هو الوجه الفصيح القوي، وعليه مذهب أهل الحق.

(الانتصاف): القدري يقول: [illegible][1] خالق غير الله، وكل أحد عندهم يخلق فعله، وهذا وشح الدائرة وأتى بالأوجه الثلاثة، والذي يحقق الوجه الثالث المانع من إطلاق الخالق على غير الله أن المخاطبين مشركون إذا سئلوا: من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا سئلوا: من يرزق منهما؟ قالوا: الله، فقيل: وإقامة الحجة عليهم بإلزامهم، ولو كان الذي [illegible] غير [illegible] لكان مفهومه إثبات خالق غير الله لكن لا يرزق، [illegible] قد [illegible] منه [illegible] وأيضا فإن ﴿يَرْزُقُكُم﴾ و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [illegible] سيقت مساقا واحدا، والثانية مفصولة فكذلك الأولى[2].

قوله: [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) الانتصاف [illegible]

والرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة لا محل لها مثل: ﴿يَرْزُقُكُم﴾ في الوجه الثالث، ولو وصلتها كما وصلت ﴿يَرْزُقُكُم﴾ لم يساعد عليه المعنى؛ لأن قولك: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق، غير مستقيم؛ لأن قولك: هل من خالق سوى الله؟ إثبات لله، فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟

قوله: (والرزق من السماء المطر) قيل: إن جعل الرزق مصدراً فالمضاف محذوف، أي: إنزال المطر وإنبات النبات، وإن جعلته اسماً بمعنى المرزوق فلا حاجة إلى التقدير.

قوله: (فلو ذهبت تقول ذلك لكنت مناقضاً) وذلك أن الصيغة هاهنا تقرير، والاستفهام مؤكد للإنكار، وفيه معنى النفي؛ لأن الكلام مع المعاندين، ولذلك زيد (من) الاستغراقية، فإذا أنكرت أن يكون خالقاً غير الله يلزم منه إثبات ذاته عز وجل، وهو المراد من قوله: «هل من خالق سوى الله؟ إثبات لله»، ثم جئت ونفيته مرة أخرى بقولك: «لا إله إلا ذلك الخالق» لزم نفي ما أثبته أولاً، وهو المراد بقوله: «لكنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات».

قال صاحب «التقريب»: في لزوم التناقض نظر؛ إذ التقدير: لا خالق [illegible] إلا الله [illegible] الاستثناء أو معناه أنه هو الموصوف، ولا تناقض فيه، نعم، لو قطعت [illegible] المستفهم [illegible] الخالق [illegible] مع الوصل [illegible].

قلت: ويمكن أن يقال: إن [illegible] هل من خالق سوى الله إثبات لله [illegible] لأن زيادة المعنى وإثبات المغاير [illegible] إثبات الله [illegible] فإذا قلت: «لا إله إلا ذلك الخالق» يلزم منه نفي الله [illegible] الإثبات [illegible] من الإنكار الوارد على الموصوف والصفة معاً [illegible] صاحب «التقريب».

---

(1) في [illegible]: «[illegible]»، [illegible].

[﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٤]

نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله، وتكذيبهم بها، وسلّى رسوله ﷺ بأنّ له في الأنبياء قبله أسوة، ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد: من رجوع الأمور إلى حكمه، ومجازاة المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه. وقرئ: ﴿تَرجِعُ﴾ بضم التاء وفتحها. فإن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط؟ ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط، وهذا سابق له. قلت: معناه: وإن يكذبوك فتأسّ بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ موضع: فتأسّ، استغناء بالسبب عن المسبب، أعني بالتكذيب عن التأسي. فإن قلت: ما معنى التنكير في ﴿رُسُلٌ﴾؟ قلت: معناه: فقد كذبت رسل، أي رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال، وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك، وهذا أسلى له، وأحث على المصابرة.

[﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ٥-٧]

[illegible] قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [illegible]

قوله: «ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط» [illegible]

وقد أكّد الجزاء بالثواب والعقاب. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ فلا تخدعنّكم ﴿الْحَيَاةُ﴾ ﴿الدُّنْيَا﴾ بزينتها ولذّاتها ومنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لا يقولنّ لكم: اعملوا ما شئتم فإنّ الله غفور يغفر كل ذنب ويعفو عن كلّ خطيئة. (الغرور) الشيطان؛ لأنّ ذلك شأنه. وقرئ بالضم وهو مصدر غرّه، كاللزوم والنهوك، أو جمع غارّ، كالقاعد والقعود. [illegible]

قوله: (لا يقولنّ لكم: اعملوا ما شئتم فإنّ الله غفور يغفر كلّ ذنب، ويعفو عن كلّ خطيئة) الانتصاف: يعرّض باعتقاد أهل السنة، وهذا لا يناقض معتقدهم؛ فإنّ الله وعد [illegible] وقرن الوعد بالمشيئة في حقّ الموحّدين في مثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨][1].

قوله: (والغرور: الشيطان؛ لأنّ ذلك شأنه) الراغب: غررت فلانًا: أصبت غرّته ونلت منه ما أريده، فالغِرّة غفلة في يقظة، والغِرار غفلة مع غفوة، وأصل ذلك من الغُرّ، وهو الأثر الظاهر من الشيء، ومنه: غرّة الفرس، وغرار السيف: حدّه، [illegible] وغرّه كذا غرورًا كأنّما طواه على غرّه، قال تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ فالغرور: كلّ ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فُسّر بالشيطان إذ هو أخبث الغارّين، [illegible] غرّة الفرس [illegible] ثلاث ليال [illegible] من أوّل الشهر لكون ذلك منه كالغرّة[2].

قوله: (وقرئ بالضمّ وهو مصدر)[3]: [illegible]

---

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٣/ ٥٠٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن [illegible].

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن [illegible].

أنَّ الشيطانَ لما عادى أباكم [illegible] واقتضى عليه [illegible] وما فعل بأبيكم آدم [illegible] شهوات العاجلة،

وكيف اتخذت العداوة جبلة من قبل وجوده وبعده، ويحملكم على ذلك شهواته ويعينه

فيما يريد منكم ما فيه هلاككم، موعظًا عز وجل بأنه إنما يعاديكم عداوتكم التي لا [illegible]

أفرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ في

عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدنَّ منكم ما يدلُّ إلا على معاداته ومناصبته في سرّكم

وقال المصنف: (لأن [illegible] غروره) مصلحة له أو [illegible] أو أنتم [illegible]

غرور ليس مقصدة [illegible] إلى الغرور، أو [illegible] أهل الغرور، أو هو الغرور.

قوله: (وكيف اتخذت العداوة جبلة قبل وجودها) أي: قبل وجود جنسنا، وهي عداوته لآدم عليه السلام، وبعد وجود الجنس، وهو [illegible] في [illegible] ضلال [illegible] [illegible] في [illegible] وهو عدوٌّ [illegible] أباك وأبناء جنسك[1].

الأساس: [illegible] له حاجات.

قوله: (وأنتم تعاملونه) أي: نزّل العالم منزلة الجاهل، وذلك لأنَّ خاطب الناس بقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ مع أنهم لا ينكرونه، وأدخل على الجملة حرف التحقيق مع أنهم مقرُّون بذلك ولا ينكرونه؛ لعدم جريهم على موجب العلم، وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان.

قوله: (ولا يوجدنَّ منكم ما يدلُّ إلا على معاداته) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [illegible] الشيطان، وفي الحقيقة نهيٌ للإنسان أن يكون على وضع يتمكن الشيطان منه على الغرور [illegible]

قوله: (ومناصبته) يقال: نصبت لفلان نصبًا: إذا عاديته، وناصبته الحرب مناصبة.

(1) [illegible]

مقالًا لرسول الله ﷺ قال: لا، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [illegible] العمل [illegible] الإصلاح [illegible] على أن يكون
العاصي على صفة لا [illegible] عليه [illegible]

[illegible]
في [illegible] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن
يَشَاءُ﴾ [illegible] في الآية [illegible]
[illegible] فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء[1]

[illegible] أيضًا معنى الآية [illegible]
[illegible] على الرسول [illegible]
[illegible] من أمة محمد ﷺ [illegible]
[illegible] العاصي [illegible] إلى [illegible]
[illegible] العاصي على [illegible]
[illegible]

قوله: [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] (٢) [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]
[illegible] ﴿فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

للحسرات. و﴿عليهم﴾ صلة ﴿تذهب﴾، كما تقول: هلك عليه حبًّا، ومات عليه حزنًا، أو هو بيانٌ للمتحسَّر عليه. ولا يجوز أن يتعلق بـ﴿حسرات﴾؛ لأن المصدر لا يتقدَّم عليه صلته، ويجوز أن يكون حالًا كأنَّ كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير:

مشق الهواجرُ لحمهنَّ مع السُّرى ... حتى ذهبن كلاكلًا وصدورا

قوله: (وذكر الزجاج) والمالكي في «الكشف»: الجواب هاهنا على ضربين: أحدهما دلَّ عليه ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾، ويكون المعنى: أفمن زُيِّن له سوء عمله أضلَّه الله، ويكون دالًّا عليه: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾[1].

وقلت: فيه تنبيه على أن كلَّ واحد من الجمل المذكورة عليها الفاء لا يصلح أن يكون جوابًا لما في معنى الإنكار في الهمزة.

قوله: (هلك عليه حبًّا ومات عليه حزنًا) قال صاحب «الفرائد»: التقدير: لا تذهب نفسك واقعة عليهم حسرات؛ لأن الحب يُعدِّي إلى المحبوب، إنما أشرف على الهلاك إلى من وقع عليه.

قوله: (أو هو بيانٌ للمتحسَّر عليه) مثله ما قيل له: هيت لك. ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ هذا على قراءة نفس، عليهم، على أن ﴿عليهم﴾ متعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر، بناء على أن «حسرات» لا يعمل فيما قبله لكونها مصدرًا، ويجوز أن يتضمن «تذهب» معنى «تحسَّر» بواسطة «على»، وأن الأصل: فلا تتحسر عليهم، فعدَّاه بتضمينه إلى حالًا، وأما قوله: إنما تقول: هلك عليه حبًّا، فمن باب الحذف لا التضمين.

قوله: (مشق الهواجر) البيت[2]: المشق: السرعة في الطعن والضرب والكتابة، أي: رقَّق لحومهن السير في الهواجر والسُّرى في الليالي حتى ذهبت ولم يبق منهن إلا كلاكلها وصدورها.

---

(1) «معاني القرآن وإعرابه» (4: 262).

(2) البيت لجرير في «ديوانه» ... (2: 222)، ...

[illegible] ومنه قوله:

[illegible]

[illegible]

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ [فاطر: ٩].

وقوله: (أرسل الرياح) فإن قلت: لم جاء ﴿فتثير﴾ على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت: لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز [illegible]

قوله: [illegible] البيت(١) [illegible]

[illegible]

قوله: (وقوله: أرسل الرياح) [illegible](٢)

قوله: (وهكذا يفعلون) [illegible] وقول تأبط شرا [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

أنه قال لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك مَحْلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟» فقالوا: نعم، فقال: «فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه». وقيل: يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنيّ الرجال، تنبت منه أجساد الخلق.

[﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [١٠]]

كان الكافرون يتعززون بالأصنام، كما قال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين، كما قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، فبيّن أن لا عزة إلا لله ولأوليائه، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

قوله: (أنه قال لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى) الحديث[١]، مذكور في «جامع الأصول»[٢]، رواه رزين العبدري عن أبي رزين العقيلي صاحب رسول الله ﷺ مع تغيير يسير.

قوله: (كمنيّ الرجال)، في حديث مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «ثم يرسل الله مطراً كأنه الطَّلُّ، فتنبت منه أجساد الناس» الحديث[٣].

قوله: (كان الكافرون يتعززون بالأصنام) إلى قوله: (والذين آمنوا بألسنتهم كانوا يتعززون بالمشركين) إلى قوله: (فبيّن أن لا عزة إلا لله ولأوليائه)، وعلم منه أن العزة [illegible]

---

(١) أخرجه أحمد ([illegible])، والحاكم في «المستدرك» ([illegible])، والطبراني في «المعجم الكبير» ([illegible]).

(٢) «جامع الأصول» ([illegible]).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

[illegible] بقوله ﴿من كان يريد العزة﴾ مع المخاطبين [illegible] التعريض في الجملة الأولى [illegible] في الثانية [illegible] قوله ﴿جميعا﴾ [illegible]

قوله ﴿فلله العزة﴾ للاختصاص [illegible] بالله أصالة ولرسوله [illegible] ولهذا قال [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible] وأن قوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [illegible] طريق تحصيل العزة [illegible]

[illegible] قوله ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ [illegible]

[illegible] أبي العالية [illegible] الذين مكروا برسول الله ﷺ [illegible] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ [الأنفال: 30] [illegible] (1)

[illegible]

[illegible] قوله ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ الآية [illegible]

[illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

والعز، فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه، ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم، إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه. ومعنى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: أن العزة كلها مختصة بالله؛ عزة الدنيا وعزة الآخرة. ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، والكلم الطيب: لا إله إلا الله، عن ابن عباس، يعني أن هذه الكلمة لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها، فرفعها وأصعدها. وقيل: الرافع الكلم، والمرفوع

[illegible] حيث قلب الأمر عليهم، حيث أخرجوهم من مكة وأذلهم بالقتل يوم بدر، [illegible] في قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [illegible]

وعلى [illegible] عطفًا على جملة الشرط والجزاء [illegible] مراعاة التطابق بين القرينتين والتقابل بين الطرفين بحسب الإمكان [illegible] في الأولى [illegible] في الأخرى [illegible] الدوام.

قوله: (والمعنى: فليطلبها عند الله) فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه، يعني: وضع السبب موضع المسبب [illegible] الوسيلة، كما في قوله تعالى: [illegible]

قوله: (العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها) قال صاحب «الانتصاف»: [illegible] العمل الصالح [illegible] أن تكون الهاء المنصوبة [illegible]

الصلوات؛ لأنه لا يَقْبَلُ العملَ إلا من موحِّد. وقيل: الرافعُ اللهُ، والمرفوعُ العملُ. وقيل: الكَلِمُ الطيِّبُ: كُلُّ ذِكْرٍ من تكبيرٍ وتسبيحٍ وتهليلٍ وقراءةِ قرآنٍ ودعاءٍ واستغفار. وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «هو قولُ الرجلِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبر، فإذا قالها العبدُ عرج بها المَلَكُ إلى السماء فحيّا بها وجهَ الرحمن، فإذا لم يكن عملٌ صالحٌ لم يُقبل منه». وفي الحديث: «لا يقبلُ اللهُ قولاً إلا بعمل».

[illegible]

قال شارح «الإيضاح» لأبي علي[2]: التحيات: جمع تحية، وهو من أسماء الأجناس، [illegible] واحدها التحية.

ثم إنه لم [illegible]

قوله: (فحيّا بها وجه الرحمن) استعارة من استعمال التحية [illegible]

النهاية: وفي الحديث: «إنّ الملائكة قالت لآدم: حيّاك الله»[3] معناه: [illegible]، وقيل: هو من استقبال المُحيّا، وهو الوجه [illegible].

---

(1) [illegible]

(2) يعني الفارسي [illegible]

(3) [illegible]

ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية، ولا يقبل قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة» وعن
ابن المقفع: قولٌ بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر. [illegible]
(إليه يُصعد الكلم الطيب) في إثبات المفعول، و(إليه يُصعد الكلم الطيب) على تسمية
الفاعل من أصعد، والمصعد هو الله، أي: يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب،
وإليه يصعد الكلام الطيب. وقرئ: (والعمل الصالح) [illegible] نصب العمل، والرافع
الكلم أو الله عز وجل. فإن قلت: مكر فعل غير متعد لا يقال: مكر فلان عمله،
فم نصب ﴿السيئات﴾؟ قلت: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله: ﴿ولا
يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] أصله: والذين مكروا المكرات السيئات،
أو أصناف المكر السيئات، وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا

قوله: (ولا يقبل قولاً وعملاً إلا بنية) يمكن أن يكون تعريضاً بأهل الرياء، [illegible]
قوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ [illegible]

نقل الإمام في «التفسير» عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله أنه قال: علامة أن الحق [illegible] عملك ألا يبقى عندك، فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع، وإن [illegible] عن نظرك فهو مرفوع[1].

قوله: (إلا بإصابة السنة) وفيه فسحة من معنى قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، والإصابة هنا بمعنى [illegible].

النهاية: [illegible] الحديث [illegible] وهو [illegible][2] [illegible].

قوله: (وقرئ: «إليه يُصعد»[3]) [illegible] ﴿يصعد﴾ [illegible]

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]

في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله ﷺ: إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يعني: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور، أي: يكسد ويفسد، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعًا وحقق فيهم قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [١١]

قوله: (في دار الندوة) هي الدار التي بناها قصيّ بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، يقال: ندوت القوم، أي: جمعتهم.

قوله: (إما إثباته) [illegible] أو وثقه حتى لا يقدر على الحراك، ومنه قول [illegible] النبه الأول ووقف عنده الثاني، وفي التنزيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ليحبسوك [illegible] لا يقوم معها[١].

قوله: (يبور أي: يكسد) الأساس: بار كذا بورًا وهلك بوارًا، أي: هلاكًا، ومن المجاز: بارت البياعات: كسدت، وبارت الأرض إذا لم تزرع ولم تعمر.

وقال الراغب: البوار: فرط الكساد، ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل: كسد حتى فسد، عبر بالبوار عن الهلاك، قال تعالى: ﴿تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[٢].

قلت: ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ على هذا ترشيح لاستعارة التجارة بمنزلة الطاعة، وعلى ما في (الأساس) لا يجوز أن يكون ترشيحًا له.

---

(١) [illegible]
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص١٥٣).
(٣) [illegible]

﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، أو ذكراناً وإناثاً، كقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: 50]، وعن قتادة: زوّج بعضكم بعضاً. ﴿بِعِلْمِهِ﴾ في موضع الحال، أي: إلا معلومة له. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟ قلت: معناه: وما يعمّر من أحد، وإنما سمّاه معمّراً بما هو صائر إليه. فإن قلت: الإنسان إما معمّر، أي: طويل العمر، أو منقوص العمر، أي: قصيره، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال، فكيف صحّ قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾؟ قلت: هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بأفهام السامعين، واتكالاً على تسديدهم

قوله: (إلا معلومة): أي: هو حال من ﴿أُنثَىٰ﴾ فاعل ﴿تَحْمِلُ﴾ و﴿تَضَعُ﴾، و[illegible] الحال لأن [illegible].

فإن قلت: سياق الكلام يقتضي أن يكون حالاً من المحمول والموضوع لأنها [illegible] مقدّرة، والكلام فيهما لا في الأنثى، لقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ و﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

قلت: لا يخلو المقدَّر أن يكون صورة أو لا، فإن كان الثاني فلا [illegible] الحالية، وإن كان الأول فوجبت الشركة في المحمول والموضوع [illegible] العلم بالحامل والواضع [illegible] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: 28]، والذي يقتضيه مقام الخطاب بقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وقوله: ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ هذا الثاني كما ترى.

قوله: (هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بأفهام السامعين) [illegible] مثاله قول القائل: له عليَّ درهم ونصفه، فإن المقصود نصف درهم آخر [illegible] لأن لفظ الثاني لو ظهر [illegible] وهذا الأمر [illegible] فإنه قيل: لا يطول عمر أحد ولا ينقص من عمر أحد، وهذا كما يقال: ما تنعّمت بلدة ولا احتويته(1)، أي: احتويت بلدة أخرى.

---

(1) [illegible]

معناه حظوظهم وأنه لا يلتبس عليهم إصابة القلوب والقطر في شهر واحد [illegible] وعليه [illegible] الناس المستفيض يقولون: لا يُخيِّبُ الله عبداً، ولا يحرمه إلا بحق [illegible] [illegible] ولا يحرمه إلا في فيه ثواب. وفيه تأويل آخر.

[illegible]

[illegible]: لا [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا تجتمع [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] أهل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من العاصين لا [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] المعنى ما [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1] [illegible] من الوجه [illegible]

[illegible] تأويل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هذه الآية الكريمة [illegible] أحوال الإنسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القدرة الكاملة والعلم الشامل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بقوله ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] [illegible] [illegible] في تلك الأطوار [illegible] بقوله ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أحوال الإنسان من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(1) [illegible]

ثنيتها. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس، كتاب الله القصاص»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»(1). هذه رواية البخاري، ورواه مسلم بمعناه.

وأما قوله بعد ذلك: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ في جواب من قال: أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، فتقديره: [illegible] الشبه في العادة، بعد هذا الذي في «الكشاف»: قيل له: إن الله يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فقال: هذا إذا حضر الأجل، فأما ما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص، وقرأ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(2).

وروى الشيخ محيي الدين النووي في «شرح صحيح مسلم»(3) عن بعض العلماء أنه قال: قد علم بالدلائل القاطعة أن الله تعالى علم آجال العباد والأرزاق وغيرها، وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو به، فإذا علم الله تعالى أن زيدًا يموت سنة خمسمائة استحال أن يموت قبلها أو بعدها، فاستحال أن الآجال التي علمها الله تزيد أو تنقص، فتعين تأويل الزيادة أنها بالنسبة إلى ملك الموت أو غيره ممن وكل بقبض الأرواح وأمره بالقبض بعد آجال محدودة، فإنه تعالى بعد أن يأمره بذلك أو يثبت في اللوح المحفوظ ينقص منه أو يزيد على ما سبق به علمه في كل شيء، وهو معنى قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: 39]، وعلى ما ذكر يحمل قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ [الأنعام: 2].

وقال الراغب: القضاء من الله أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، ولهذا قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله، تنبيهًا على أن القدر

---

(1) أخرجه البخاري ([illegible])، ومسلم ([illegible])، وأبو داود ([illegible])، والنسائي ([illegible]).

(2) «معالم التنزيل» ([illegible]).

(3) «شرح صحيح مسلم» للنووي ([illegible]).

وهو أنه لا يُعقل أن يُعمَّر إنسان ولا يُنقص إلا في كتاب، وجمهور أنه أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عُمِّر، وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: «إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» وعن كعب أنه قال حين طُعن عمر رضي الله عنه: لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله، فقيل لكعب: أليس قد قال الله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]؟ فقال: هذا

[illegible] مرجوٌّ أن يدفعه الله، فإذا قُضي فلا مدفع له، ويشهد لذلك قوله عز وجل ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، وقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] تنبيه على أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه[1].

وقد ذكر صاحب «التاريخ الكامل»[2] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم الشام، فلما كان بسَرْغ لقيه أمراء الأجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار فاستشارهم فاختلفوا عليه، فنادى عمر في الناس: إني مُصبِحٌ على ظهر، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عُدوتان إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله تعالى، فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فأخبرهم أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تخرجوا فراراً منه» فانصرف عمر بالناس إلى المدينة.

والرواية الأخيرة أخرجها البخاري ومسلم[3] في «صحيحيهما»، والأولى مختصرة من «صحيح البخاري» عن ابن عباس.

---

(١) «مفردات القرآن» ص٤٠٧.
(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٧٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الله ﴿وما يعمر من معمر﴾ وقد استفاض على الألسنة: أطال الله بقاءك، وفسح في مدتك، وما أشبهه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يكتب في الصحيفة: عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره. وعن قتادة: المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة. والكتاب: اللوح، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله، أو صحيفة الإنسان. وقرئ: (ولا ينقص) على تسمية الفاعل. (من عمره) بالتخفيف.

[﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ ١٢](١)

ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه: ﴿ومن كل﴾ أي: ومن كل واحد منهما ﴿تأكلون لحما طريا﴾ وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية﴾

قوله: (العذب والمالح) الراغب: الملح: الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويقال له: ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد، فيقال: ماء ملح، وقلما تقول العرب: ماء مالح، قال تعالى: ﴿وهذا ملح أجاج﴾، وملحت القدر: ألقيت فيها الملح، ثم استعير من لفظ الملح فقيل: رجل مليح، وذلك راجع إلى حسن يغمض إدراكه(١).

قوله: (على سبيل الاستطراد) عن بعضهم: وذلك لأنه لما ضرب البحرين العذب والملح مثلًا للكافر والمؤمن، ولم يناسب وضعه أن يستمر بمدحهما لأنه في معرض الذم، استعمل ما هو على سبيل الاستطراد، ومثاله: أن يذهب الرجل إلى موضع فيعرض مقصدًا فيعرض له شيء آخر فاشتغل به فأعرض عن المقصد الأول، وفيه بحث.

(١) سورة فاطر آية ١٢

وهو اللؤلؤ والمرجان. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل ﴿مَوَاخِرَ﴾ تشق الماء بجريها، يقال: مخرت السفينة الماء، ويقال للسحاب: بنات مخر؛ لأنها تمخر الهواء. والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر؛ لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من فضل الله، ولم يجر له ذكر في الآية، ولكن فيما قبلها، ولو لم يجر لم يشكل؛ لدلالة المعنى عليه. وحرف الترجي مستعار لمعنى الإرادة، ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل، كأنما قيل: لتبتغوا ولتشكروا. والفرات: الذي يكسر العطش. والسائغ: المريء السهل الانحدار لعذوبته. وقرئ: (سيغ) بوزن سيد.

قوله: (بنات مخر)، في بعضهم: بنات مخر: سحائب رقاق بيض يأتين في أيام الربيع، ويقال: بنات بخر، بالباء والخاء المهملة؛ لأن معناه الشق، يقال: شقه، أي: قشره، والسفن الذي اشتقت منه السفينة.

الجوهري: السفن: ما ينحت به الشيء، قال:

وأسِ في قلبك الأم السفن

أي: الشاخص.

وفي «الأساس»: قشر العود بالسفن، وهو مبرد السهام، ومنه السفينة؛ لأنها تسفن الماء كما تمخره.

قوله: (وحرف الترجي مستعار لمعنى الإرادة) أو هو تمثيل شبه معاملته مع المكلفين فيما منحهم من الاختيار الظاهر والتلاهم الباري بصورة من يرجو ويأمل، وإنما خرجت من المطرد والمطرد عنه أي: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ و﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾؛ ليؤذن بأن المراد بالشكر العبادة والتقوى، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وليس كذلك ابتغاء الفضل ما ليس له أن تجاوز في كل باب.

قوله: (والفرات الذي يكسر العطش) الراغب: الفرات: الماء العذب، يقال للواحد

وسيّغ بالتخفيف، وملح على فعل. والأجاج الذي يحرق بملوحته. ويحتمل على طريقة الاستطراد، وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضّل البحر الأجاج

وسيّغ (١). والأجاج: شديد الملوحة والحرارة، من قولهم: أجيج النار، وأجّتها، وقد [illegible] التهاب، والأجيج [illegible] منه شبها [illegible] المضطرمة [illegible] الكثيرة [illegible] (٢).

قوله: (ويحتمل على طريقة الاستطراد) في الفصل ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ [illegible]

أحدها: أن يكون [illegible]، وذلك [illegible] إلى التمثيل [illegible] والمثل به [illegible] إلى [illegible] المثل به [illegible] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ [illegible] قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [illegible] [illegible] وهو المثل به [illegible]

ورابعها: أن يكون ترشيحًا للاستعارة؛ لأنه تصريح على [illegible] الاستعارة، [illegible] المشبه دون المشبه به [illegible] [illegible] الكافر [illegible] وهو المراد من قوله: [illegible] [illegible] يفضل البحر الأجاج على الكافر [illegible] الاستدلال [illegible] ﴿[illegible] لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤].

وخامسها: أن يكون من تتمة التمثيل [illegible]

قال القاضي: وهو استطراد أو تمام التمثيل، والمعنى: [illegible] في بعض [illegible] لا يتساويان فيما هو المقصود [illegible] لأنه [illegible] الأمرين [illegible] ولا يساوي المؤمن الكافر [illegible] في بعض الصفات

---

(١) المفردات [illegible] ص [illegible].

(٢) الكشاف [illegible] ص [illegible].

على الكافر بأنه قد شارك المؤمن في منافع من الشمس والقمر، وفي الكافر خلق من النفع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

[﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [١٣]]

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة، أو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران، و﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم

بالسعادة والشقاوة والهمة(١)، لا اختلافهما في غير الخاصية العظمى وبقاء أحدهما على فطرته الأصلية دون الآخر(٢).

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، وعلى الأول: الحق أن خبر الحكيم الفاضل، أي: المالك الموصوف بتلك الصفات التي أجريت عليه مستحق؛ لأن يعبد ويتخذ مالكًا، ويخص بالعبادة دون غيره، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ عطف على(٣) ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، وعلى الثاني قوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ يقرر مضمون الجمل السابقة من قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾، ويكون قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ حالًا من الضمير المستقر في الظرف.

---

(١) في (ط): الكشاف العلمي.
(٢) الكشاف (٣/٦٠١).
(٣) في (ط) [illegible] المعرفة بتلك الصفات [illegible].

الإشارة، أو عطف بيان، و﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ خبر، [illegible] والمعنى بإياه، والقطمير: لفافة النواة) وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها.

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [١٤]

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ الأوثان ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ على سبيل الفرض والتمثيل ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها، وقيل: ما نفعوكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به. والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال

قوله: (أو الأول أن المعنى بإياه) على بعضهم إلى أنه لأن ﴿رَبُّكُمۡ﴾ إشارة إلى معلوم سبق ذكره، وقوله صفة أو عطف بيان يقتضي التنكير فيما سبق [illegible] إبهام، وفيه نظر يحسن كونه صفة، وأما جعله عطف بيان ففيه شيء لشركة [illegible] قلت: [illegible] ذلك [illegible] فإنه أشد إبهامًا [illegible].

وقلت: ويمكن أن يقال: إن المشار إليه باسم الإشارة ما سبق قبل [illegible] ولو جعل موصوفًا أو مبينًا لكان المشار إليه ما بعده فلا يبقى ذلك الترتيب المقصود وهو أن ما سبقه مشعر بعينه لأجل إجراء تلك الصفات عليه، إذ المعنى: ذلك الموصوف بتلك الصفات المميزة والنعوت الكاملة هو المعبود المستحق للعبادة المالك للملك [illegible] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ والوجه المذكور كل ما يصح إعرابًا [illegible] فإن الإعراب تابع للمعاني ولا ينعكس.

قوله: (وقيل: ما نفعوكم) عطف على قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لأنهم جماد [illegible] لعدم قدرتهم على [illegible].

قوله: (يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة) يعني الاختصاص مستفاد [illegible]

الأصنام هم الحقّ؛ لأن خبيرًا ما أخبرك به. وقرئ: ﴿تدعون﴾، بالتاء والياء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [١٥ - ١٧]

فإن قلت: لمَ عرّف الفقراء؟ قلتُ: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم؛ لأن

لفظ ﴿مثل﴾، ووضع ﴿خبير﴾ موضع المضمر، [illegible] ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ أي: لا يخبرك أحد مثل خبير.

والثاني: [illegible] ولا يخبرك بالأمر مخبر صادق متحقق في الأمور، ثم قال بعده: ما يخبرك به مثل خبير، أي: مثلي، يعني: أنا [illegible] لا [illegible] بالأمر مخبر هو مثل الخبير العالم الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا يخبرك بها غيري سبحانه وتعالى.

قوله: (وقرئ: ﴿تدعون﴾ بالتاء والياء)، بالتاء الفوقانية: العامة، وبالياء: شاذة.

قوله: (أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء)، يريد: أنه تعالى أوقع الفقراء خبرًا لـ ﴿أنتم﴾ وهو على بلام الجنس، وهو يفيد الاختصاص، وأن غيرهم من المخلوقات ليس كذلك، وليس كذلك؛ لأن الخلائق كلهم مفتقرون إليه، لكن سلك فيه المبالغة وأن افتقار غيرهم بالنسبة إلى افتقارهم كلا افتقار، وإليه الإشارة بقوله: «وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه».

قال صاحب «الفرائد»: الوجه أن يقال: [illegible] الفقراء [illegible] من طريقة تغليب الحاضر على الغائب، وأولي العقل على غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [الصافات: ١١] غلّب أولي العقل على غيرهم، وهو [illegible] من

---

(١) [illegible]

الفقر لا يبلغ الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]، ولو [illegible] أنه يخطر الفقراء. فإن قلت: قد قرن ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ بـ﴿اللَّهِ﴾، فما فائدة ﴿الْحَمِيدُ﴾؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم حمده المُنعَم عليهم، واستحق عليهم الحمد.

القوم حاضرٌ وهو زيد، وبقيتهم غير حاضرين فقال له من هو حاكم على القوم بعد أن غضب عليه نعمه في حق القوم وأظهر أنهم لا يحتملون أمره ولا يحتسبون [illegible]: يا أيها الناس المحتاجون إليّ في حصول فائدة ما أمرتكم به وحصول فائدة ما نهيتكم عنه، وفي غيرهما من كل الوجوه، لا أنا محتاج إليكم في حصول فائدتها أو في شيء غيرهما، لأني غنيٌّ على الإطلاق حميدٌ على الإطلاق[1]، لا يرجع إليّ نفعٌ من امتثالكم، ولا مذمةٌ من تقصيركم، و[illegible] في مأمور ونهي منهي، إلا أن الخلق مفتقر إليه من جميع الوجوه، وهو غنيٌّ عن الكل بجميع الوجوه، وهو الذي أراده من قوله: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾. والله الهادي.

وقلت: الذي يقتضيه النظم والله أعلم: أن يُحمل التعريف في ﴿النَّاسُ﴾ على العهد، وفي ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ على الجنس؛ لأن المخاطبين هم الذين خوطبوا في قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ أي: ذلكم المعبود هو الذي وُصف بصفات الجلال، لا الذين تدعون من دونه، وأنتم أشد الخلائق احتياجاً إليه، وهو غنيٌّ عنكم وعن عبادتكم، لأنه حقيق بأن [illegible] وإن لم [illegible]، وهو [illegible] قوله: الحميد [illegible]، ويؤيده قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وتفسيره بقوله: وهذا تعريضٌ عليهم [illegible]، ولأن [illegible] إظهار حال استغنائهم عما يدعونه من دون الله وحال افتقارهم إلى الله عز وجل، وغاية [illegible].

---

(١) قوله: «حميد على الإطلاق» سقط من (ط).

ذكر الحميد، ليدل به على أنه الغنيُّ النافع بغناه خلقَه الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه. ﴿الْحَمِيدُ﴾ على ألسنة مؤمنيهم. ﴿بِعَزِيزٍ﴾: بممتنع، وعلا غضبتُ عليهم، لاتخاذهم له أنداداً، وكفرهم بآياته، ومعاصيهم، كما قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئاً.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [١٨]

الوزر والوقر أخوان، ووزر الشيء: إذا حمله. والوازرة: صفة للنفس. والمعنى: أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته، لا تؤاخذ نفسٌ بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا الوليَّ بالولي، والجار بالجار. فإن قلت: هلا قيل: ولا تزر نفسٌ وزر أخرى؟ ولم قيل: ﴿وَازِرَةٌ﴾؟ قلت: لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها. فإن قلت: كيف توفق بين هذا وبين

قوله: (ذكر الحميد ليدل به على أنه الغنيُّ النافع بغناه خلقه)، وهو من التكميل كقول كعب الغنوي:

حليمٌ إذا ما الحلم زيَّن أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيبُ [1]

قوله: أي: لأن الوصف بمجرد الحلم غير وافٍ فكمَّل بقوله: في عين العدو مهيب.

قوله: (لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها)، هو مثل قولك: ما زيدٌ إلا قائمٌ لا قاعد.

---

(1) لكعب بن سعد الغنوي في الحماسة [illegible]

قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؟ قلت: تلك الآية في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم، ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ١٢]؟ فإن قلت: ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ومعنى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾؟ قلت: الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه تعالى لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها، والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث، حتى إن نفساً قد أثقلتها الأوزار وبهظتها، لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث، وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ. فإن قلت

قوله: (ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾) إلى آخره، توجيه السؤال أن يقال: إذا كان معنى الأول: أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها، وكان معنى الثاني: أن النفس المثقلة بذنوبها إن تدع نفساً أخرى وتدعو إلى حملها لا تحمل ثقلها، رجعا إلى معنى واحد، فما الفرق؟

وأجاب: أن المقصود في الآيتين مفهومهما، وهما وإن تقاربا من أوصاف دلالتهما، فإن الأول على ظهور عدل الله، والثاني على ظهور الشدة والخذلان على طريق الكناية، كقوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والقوم يقصد، لأنه لما قيل: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أتبعها القصد على المشركين، وأنه لا أحد يستنقذهم من قهره عليهم، والشدة من أهوال يوم القيامة، دلَّ قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ على عدله، وأنه إن أهلكهم فشأنهم تطهير عن الكفرهم بآيات الله والجاحد له أشياء، لأن من شأن عدله عز وجل أن لا يؤاخذ نفساً إلا بذنبها لا بذنب غيرها، ومن شأن عزته أن لا يستنقذ أحد [illegible] لأنها [illegible] ﴿بِعَزِيزٍ﴾ [illegible].

(إلام أسند ﴿كان﴾ في ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾؟ قلت: إلى المدعو المفهوم من قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾. فإن قلت: فلم ترك ذكر المدعو؟ قلت: ليعم ويشمل كل مدعو. فإن قلت: كيف استقام إضمار العام؟ ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة. قلت: هو من العموم الكائن على طريق البدل. فإن قلت: ما تقول فيمن قرأ: ﴿وَلَوْ كَانَ ذُو قُرْبَىٰٓ﴾ على «كان» التامة، كقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؟ قلت: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة؛ لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحدًا إلى حملها لا تحمل منه وإن كان مدعوها ذا قربى، وهو معنى صحيح ملتئم، ولو قلت: ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه، على أن هاهنا ما ساغ أن يستتر له

قوله: (إلام أسند) هذا السؤال والجواب مستدركٌ لقوله أولًا: «وإن تدع المثقلة نفسًا [illegible]

قوله: (فلم ترك ذكر المدعو؟) أي: مفعول ﴿تَدْعُ﴾ في قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾.

قوله: (ليعم ويشمل كل مدعو) أي: من يصح أن يدعى نحو [illegible] والجن والإنس، وهذا لا يصح أن تدعى مثل الأصنام وغيرها، ولو قدر شيء من ذلك لاختص به ونقض العموم [illegible]

قوله: (ولا يصح أن يكون العام ذا قربى) يريد: أن خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، فإذا [illegible] اسمه [illegible] لا يصح حمله عليه. وخلاصة الجواب: أن العام قسمان: عام على وجه الشمول، وعام على وجه البدل، والمراد هاهنا الثاني، فكأن المعنى: وإن تدع النفس المثقلة [illegible] إما هذا وإما ذاك، لا يحمل منه شيء وإن كان ذلك المدعو ذا قربى.

قوله: (لتفكك وخرج من[1] اتساقه) لأن الجملة الشرطية كالتتميم والمبالغة [illegible] لا يحمل منه، ولو قدر المدعو ذا قربى.

[illegible]

(١) [illegible]

متميز في الفعل بخلاف ما أوردته. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول، أي: يخشون ربهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائباً عنهم. وقيل: بالغيب في السر. وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ من أصحابه، فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله، وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً. يعني: إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك، وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ ومن تطهر بفعل الطاعات وترك

نفس أخرى، فتقول: لا أستطيع حسبي ما علي(١). [ولو] قلت: إن تدع النفس المثقلة إلى تخفيف ما عليها لا تجد أحداً يساعدها، ولو وجدت قريبي لا يحمل ذلك الحمل.

قوله: (بخلاف ما أوردته)، يعني: في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فإنه في قراءة العامة بمعنى: الذي. قيل: وفيه نظر؛ لأنه يجوز أن يقال: وإن كان الغريم ذا عسرة [illegible] أن يقال: الأمر [illegible] أعلى المدعو بخلافه ثمة؛ لأنه ليس في اللفظ ما يدل على الغريم، ولذلك [illegible] المشهورة عنها بالرفع وقرأ أبي بالنصب.

وعن صاحب المفتاح: أن شرط الاستتار هاهنا بخلاف الشرط في ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؛ لأن هاهنا جملة الشرطية ارتبطت بما قبلها، وفي تلك منقطعة عما قبلها، فلم يكن ذكر جزائه لفظاً وهو ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله: (إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك... دون متمرديهم): إشارة إلى أنه من مواقع استعماله؛ لأن «إنما» يستعمل في حكم لا يعز تحقيقه، ولا يخفى على من له مسكة أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ويكون له تأثير إذا صادف من يؤمن بالله والبعث والقيامة، وأهل العناد لا ينفع فيهم.

وبيانه أنه تعالى لما أظهر غضبه على من اتخذ من دون الله أنداداً بقوله: ﴿إِن

---

(١) [illegible] (٢/ ٦١٤).

الصالحين. وقرئ: (ومن ازّكى فإنما يزّكى)، وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة؛ لأنها من جملة التزكي. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وعدٌ للمتزكين بالثواب. فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله؟ قلت: لما غضب عليهم في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ كأن رسول الله ﷺ أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم.

[﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [١٩ - ٢٣]

يُذْهِبْكُمْ﴾ وأتبعه الإنذار بيوم القيامة وأهوالها التفت إلى حبيبه صلوات الله عليه تابعاً له لإرغامهم وعنادهم وأن الوعظ لا ينجع فيهم؛ لأنهم لا يخافون عقابه لأنهم جهال لا يتفكرون في العاقبة، وإنما ينجع فيمن تيقن أنه لا بد من المصير إلى الله فيخشى عقابه وإليه ينظر قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

قوله: (من قومك) أي: من جملة قومك ومن سبقهم قبل (من) للتبعيض، وهو حال إما من قوله: «هؤلاء» أو من «قومك» في (التغير عنهم)، والمرجح أن يكون الحال إليه بقوله: «هؤلاء» ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾، وأمن قومك بيان لاسم الإشارة ...

وقلت: وإنما جعل (من) تبعيضاً، لظاهر أن (من قومك) بيان من (هؤلاء)، أي: إنما تقدر على إنذار بعض قومك دون مجموعهم.

قوله: (وقرئ: ومن ازّكى فإنما يزّكى)[1]، أصله: تزكى، أدغم التاء في الزاي، ثم أتى بهمزة الوصل لما أسقطت في الدرج.

---

(١) انظر: [illegible]

(الأعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن. كما ضرب البحرين مثلاً لهما. أو للصنم والله عز وعلا.

قوله: (الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن ... أو للصنم والله عز وجل) أي: يجوز أن يكون المشبه بالأعمى الكافر وأن يكون الصنم، وأن يكون المشبه بالبصير المؤمن وأن يكون الله تعالى، فعلى الأول التمثيل مردود على التمثيل الأول، أي: قوله: ﴿وما يستوي البحران﴾ وإليه الإشارة بقوله: (كما ضرب البحرين مثلاً لهما)، وعلى الثاني عطف على قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾. والأول أحرى على البلاغة اللفظي فإنه شبه أولاً المؤمن بالبحر العذب والكافر بالملح الأجاج ونفى فيه عدم الاستواء، ثم شبه أن الكافر أدون حالاً من البحر الملح بقوله ﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾ الآية، لأن فيه منافع جمة والكافر خلو من النفع، ثم أتى بتمثيل آخر فشبههما بالأعمى والبصير في الضلال والاهتداء، وشبه ما يزاولهما من متابعة الحق التي تورث المؤمن الثواب ومن التشبث بالباطل الذي يؤدي الكافر إلى العقاب بالظلمات والنور والظل والحرور، ثم جمع الأمر التمثيلي فيهما وموطئة لقوله ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ لأن المراد بالأحياء المؤمنون الذين دخلوا في دار السلام بدعوة نبي الرحمة صلوات الله عليه، وبالأموات الذين هم خارجون عن دار الدعوة ولم يرفعوا لها رأساً وأصروا على الشقاوة، وإليه الإشارة بقوله: (تمثيل آخر للمؤمنين الذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر).

وفهم من هذا التقرير أن التعريف في قوله: ﴿وما يستوي البحران﴾ وفي قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ للجنس، وفي ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ للعهد، وأن المقصود الأولي في الإيراد هذا التمثيل الثالث ولهذا كرر ﴿وما يستوي﴾ وأتى بالنفي بتكرير (لا)[1]، وذيله بقوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وإقناطاً له من إيمان المصرين وإعلاماً بأن الهادي والمضل هو الله سبحانه وتعالى، يعني أن

---

(١) هذا الشطر من [illegible]
[illegible]

والظلمات والنور والظلّ والحرور: مثلان للحقّ والباطل، وما يؤدّي إليه من الثواب

الذي تعلقت مشيئة الله وإرادته بإسلامه كالأحياء فانتفع بدعوتك وسمع[1] فيه وعظك، ومن تعلقت مشيئته بضلالته كالموتى فلا ينتفع بوعظك، فكلٌّ ميسّرٌ لما خلق له، فلا تهلك أنت في إسلام من يريد الله إضلاله فما أنت بمسمع الموتى.

هذا تقريرٌ واردٌ على مذهب أهل السنة، وهو ظاهرٌ مطابقٌ للآية.

وأما المصنِّف فأراد بقوله: «يهدي الذي قد علم أن الهداية تجدي فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه» تقرير مذهبه، وهو كما ترى متعسِّفٌ من حيث النظم، على أنه يؤدّي إلى أن تكون مشيئة الله تابعة لفعل العبد.

وقال القاضي: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيلٌ آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول، ولذلك كرّر الفعل. وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ترشيحٌ لتمثيل المصرّين على الكفر بالأموات، ومبالغةٌ في إقناطه عنهم[2].

وقلت: إن التمثيلات الثلاث ترقٍّ من الأهون إلى الأغلظ، وإن كلًّا منها مترتِّبٌ على الأصل، بني على المصرّين للعمى الطارئ وجريان الفلك، ومثل الأعمى والبصير: الظلمات والنور، ومثل الأحياء والأموات: امتزاج الحقّ وبعده.

قوله: (والظلمات والنور والظلّ والحرور: مثلان)، اعلم أن «لا» في ﴿وَلَا النُّورُ﴾ ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ مزيدة؛ لأن المعنى: الظلمات لا تساوي النور، وليس المراد أن النور في نفسه لا يستوي، وكذلك في ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]: إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها[3]، فقيل: «لا» مزيدة، والمعنى: ولا تستوي الحسنة والسيئة، وهذا ليس المعنى على

(١) [illegible]
(٢) أنوار التنزيل (٤/ ٢٥٣).
(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٢٠١).

والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات: مثلٌ للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصرّوا على الكفر. والحرور: السَّموم، إلا أن السَّموم تكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار، وقيل: بالليل خاصة. فإن قلت: «لا» المقرونةُ بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قُرِنت بها لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضُها ضمَّت شفعاً إلى شفع، وبعضها وتراً إلى وتر. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممّن لا يدخل فيه، فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه. وأما أنت فخفي عليك أمرهم، فلذلك تحرصُ وتتهالكُ على إسلام قوم من المخذولين، ومثلُك في ذلك مثلُ من يريد أن يُسمع المقبورين ويُنذر، وذلك ما لا سبيل إليه، ثُمَّ قال: ﴿إِنْ

أنّ الأحياء والأموات مثلاً متفاوتان فمن ثَمّ أتى أولاً حالاً من [illegible] وحيث ارتفع [illegible] حُمِل على مجرّد التأكيد.

فإن قلت: فلِمَ أخليت القرينةُ الأولى وهي «الأعمى والبصير» من التوكيد؟

قلت: هي كالتوطئة لذكر ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، ولذلك أُعيد ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾، وعُقِّب بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ﴾ الآية، وأما القرينتان المتوسِّطتان فهما مقصودتان أيضاً، لأنهما مثلان للحقّ والباطل، وما يؤول إليه من الثواب والعقاب.

قوله: (ضمَّت شفعاً إلى شفع)، أما التي ضمَّت الشفع فهي[1] الواوات في: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ● وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ● وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ● وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾، وأما التي ضمَّت الوتر فهي التي توسَّطت بين المتقابلين.

قوله: (فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه)، هذا القول يهدم قاعدة الاعتزال، لأنّ خلاف علم الله تعالى محال وقوعه، فلا يصدر عنه إلا ما علم الله تعالى، فيضطر إلى صدوره عنه، وإذن لا اختيار له فيه.

---

(١) سقط لفظ «فهي» من النسخة (ط).

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: ما عليك إلا أن تبلِّغ وتُنذر، فإن كان المنذَر ممن يسمع الإنذار نفع، وإن كان من المصرّين فلا عليك. ويحتمل أن الله يُسمع من يشاء، وأنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء، وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق، وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى.

[﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٤]

﴿بِالْحَقِّ﴾ حالٌ من أحد الضميرين، يعني: محقًّا أو محقِّين، أو صفة للمصدر، أي: إرسالاً مصحوبًا بالحق، أو صلةُ لبشير ونذير، على: بشيرًا بالوعد الحقّ، ونذيرًا بالوعيد الحق. والأُمة: الجماعة الكثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ [القصص: ٢٣]، ويقال لأهل كلِّ عصر: أمة، وفي حدود المتكلِّمين: الأمة هم المصدِّقون بالرسول دون المبعوث إليهم، وهم الذين يُعتبر إجماعهم، والمراد هاهنا: أهلُ العصر. فإن قلت: كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخلُ فيها نذير؟ قلت: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخلُ من نذير إلى أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدًا ﷺ. فإن قلت: كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في

قوله: (ويقال لأهل كلّ عصر أمة)، قال التُّورِبِشْتي في شرح قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم(١) عن أبي هريرة: الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر، إما دينٌ واحدٌ أو دعوةٌ واحدة أو طريقةٌ واحدة أو مكانٌ واحدٌ أو زمانٌ واحد، وأراد بها هاهنا الجماعة التي يجمعهم مكان الدعوة إلى الشريعة الحنيفية؛ لأنه ذكر في تفصيلهم اليهود والنصارى، وعلى هذا يدخل فيها كلُّ من تنتهي إليه الدعوة من أهل الملل المرتبة في الأديان المختلفة، وخصّت اليهود والنصارى بالتخصيص تنبيهًا بهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

من (أن) بعد ذكرهما؟ قلت: لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة، دل بذكرها على ذكرها، لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [٢٥ - ٢٦]

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالشواهد على صحة النبوة، وهي المعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ وبالصحف، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادًا مطلقًا، وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات، وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ.

قوله: (لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادًا مطلقًا)، يريد أن قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ﴾ من قبيل: بنو فلان قتلوا فلانًا، ويكون القاتل واحدًا منهم.

قوله: (وفيه مسلاة)، أي: في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر قوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾، المعنى: أعرض عن هؤلاء المصرين المعاندين، ولا تحرص، ولا تتهالك على هدايتهم؛ إذ لست إلا نذيرًا، وما عليك إلا البلاغ [illegible]، فإن أصروا فلا عليك، وكذلك دأب الأمم السالفة مع أنبيائهم الماضية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، فحينئذ قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ توطئة لقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ والقصد منه [illegible] التسلية [illegible] من توهم أنه مقصور على النذارة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] مشفوعًا مع النذير في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ واتصاله بما قبله أن الناس [illegible] في الضلال والعناد [illegible]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ • وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

﴿أَلْوَانُهَا﴾: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى، أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها. والجُدد: الخطط والطرائق [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ويقال: جُدّة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جُدّتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه. ﴿وغرابيب﴾ معطوف على ﴿بيض﴾ أو على ﴿جدد﴾، كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب. وعن عكرمة: هي الجبال الطوال السود. فإن قلت: الغربيب تأكيد للأسود، يقال: أسود غربيب، وأسود حلكوك، وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه، ومنه الغراب، ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد، كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يقق، وما أشبه ذلك. قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله، ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر، كقول النابغة

والذي في «الصحاح»: أن الرواية «النابغة» بقطع الألف وإن كان وصلاً، وذلك جائز في ابتداء الأنصاف(١)؛ لأن التقدير الوقف على النصف من البيت.

وقال: شاة مقرورة أي مقشورة، وقال(٢): لعله (المطرّق) وهو المكتوب. وقال [illegible] في قصيدة أخرى:

[illegible] … [illegible]

فهذا يدل على أنه لغة، ومقرورة [illegible] من هذا، فلا معنى [illegible] وهو الدارس.

الراغب: الجُدّة [illegible] جمع جُدّة، أي: طريقة ظاهرة من قولهم: طريق مجدود، أي: مسلوك مقطوع، ومنه: جادّة الطريق(٣). وقيل: الخطة الطريقة، وهي اسم المخطوط [illegible] بمعنى المفعول [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ

وإنما يُعمل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً. ولا بدّ من تقدير حذف المضاف في قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ بمعنى: ومن الجبال ذو جُدَدٍ بيضٍ وحُمْرٍ وسُودٍ، حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلفٌ ألوانه، كما قال: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ يعني: ومنهم بعضٌ مختلف ألوانه. وقُرئ: (ألوانها). وقرأ الزُّهري: (جُدُد) بالضمّ جمع جديدة، وهي الجُدّة؛ يقال: جديدة وجُدُد وجدائد، كسفينة وسُفُن وسفائن. وقد فُسّر بها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش:

قوله: (والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ)، تمامه:

يمسحها	ركبانُ مكة بين الغيل والسَّندِ
ما إن أتيتُ بشيءٍ أنت تكرهه	إذاً فلا رفعتْ سَوطي إليَّ يدي[1]

المؤمن: اسم الفاعل، وهو الله تعالى، من آمن. والعائذات: الحرائم لما عاذت بمكة والتجأت إليها حَرُم قتلها وصيدها، و[illegible] الغيل والسند: موضعان. و«المؤمن» مجرور بالقسم، «العائذات» منصوب باسم الفاعل وهو المؤمن، و«الطير» منصوب، إما بدلٌ أو عطفُ بيانٍ أو بإضمار أعني. وفيه نظر؛ لأن الاستشهاد بأن هذا الطير المذكور دالٌّ على المحلوف به مفعولٌ لاسم الفاعل، والعائذات صفته، أي: المؤمن الطير العائذات الطير. وقوله: «ما إن أتيت» جواب القسم، يقول: والله المؤمن الطير العائذات ما حلفت ولا نطقت به لساني، وما أتيت شيء تكرهه وإلا فشلّت يدي.

قوله: (ولا بدّ من تقدير حذف المضاف) يعني: [illegible] [illegible] بعضها على معنى [illegible][2] منها على معنى [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

جونُ السَّراةِ له جدائدُ أربعُ

وتُروى [illegible] (جُدَدًا) بتحريك [illegible]، وهو الطريقُ الواضحُ [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [illegible][1]

[illegible] [illegible] [illegible] من الناس والدواب والأنعام ما هو مختلفٌ ألوانه[2]

قوله: (جونُ السَّراةِ له جدائدُ أربعُ) أوله:

والدهرُ لا يبقى على حَدَثانه[3]

الجونُ: الأسود، والسَّراة: الظَّهر، والجدائد: الأُتُن[4] [illegible]

[illegible] الدهر لا يبقى على حدثانه [illegible]

قال ابن جني: [illegible] [illegible] [illegible][5]

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

(5) [illegible]

والطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقرئ: (والدَّوابُ) مخففًا، ونظيرُ هذا التخفيف قراءة من قرأ: (ولا الضَّأْلِين)؛ لأنّ كلّ واحد منهما فرارٌ من التقاء الساكنين، فحرَّك ذاك أوّلهما، وحذف هذا آخرهما. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثَّمرات والجبال.

قوله: (﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات والجبال) يعني: الكافُ نصبٌ على المصدر، والأظهر أنه رفع على الخبر، والإشارة منصرفة إلى المذكور من الدلائل في هذه الآية وما قبلها، ويكون قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ مقطعًا هذه الآية، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فإن قلت: لم خولف بين المقطعين؟ قلت: ما نحن فيه أبسط وأجمع من تلك الآية؛ لأن فيها إنزال الماء والجبال والناس والدواب والأنعام واختلافها، وهي مختصة بالثمرات، وصُدِّرت هذه الآية بهمزة الاستفهام وحرف النفي لإفادة مزيد التقرير، وبالخطاب العام لكل من له حظ الرؤية [illegible] لفخامة الأمر، ثم قرر هذا المعنى في أثنائها بقوله ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما ذكرت، فكأنه تعالى يقول: هذه الأشياء كلها مستوية في الجسمية، واختلاف ألوانها ثم اختلاف كل منها بما خُصَّ به من الأصناف لا بد له من قادر مختار قاهر يتصرف في خلقه كيف يشاء، وهذا مقام "من عرف [illegible] كان ذا خشية"(١)، فمن عرف ذلك وقام بموجبات فهو خشية حاصلة إلى جلال الله، ومن [illegible] ومن [illegible] وبذلك الشيء [illegible] وخشي الله فهو [illegible] فحصل من أن الحصر ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ بالعلماء الخشية [illegible] رضي الله عنه.

فإن قلت: لم لا تجعل ﴿كَذَلِكَ﴾ نصبًا على المصدر، كما ذهب إليه المصنف؟ قلت: يجب حينئذ [illegible] على ما ذهب إليه جملة مقررة لما في سابقه الاعتراض على [illegible]، ويكون موضعًا للتقرير على الاستئناف، يعني: إذا كان الأمر كذلك [illegible]

---

(١) يعني صاحب الكشاف.

والمراد: العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حق قدره، وخشوه حق خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً،

[illegible]

خشيتهم.

[illegible]

قوله: (العلماء)[1] الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز، [illegible] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [illegible] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [illegible]

[illegible] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [illegible]

---

[1] [illegible]

ومن كان علمه به أقل كان أقل. وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدّكم له خشية». وعن مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال: العالم من خشي الله. وقيل: نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عُرفت فيه. فإن قلت: هل تختلف المعنى إذا قُدّم المفعول في هذا الكلام أو أُخّر؟ قلت: لا بد من ذلك، فإنك إذا قدّمت اسم الله وأخّرت ﴿العلماء﴾ كان المعنى: أنّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون

قوله: (وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدّكم له خشية»)[1]، ويروى عن الدارمي عن عطاء قال: قال موسى عليه السلام: يا ربّ أيّ عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: يا ربّ أيّ عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمتُ له. قال: يا ربّ أيّ عبادك أخشى؟ قال: أعلمهم بي[2].

قوله: (وإذا عملت على العكس انقلب المعنى)، وذلك أن «إنما» نزع «ما» و«إلا»، وفي الأصل المختصر أيضاً في «ما» على ...، وفي الشرح المختصر في القراءة الأخرى، فقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾ قراءة: ما يخشى الله من عباده إلا العلماء، وهو يقتضي انحصار خشية الله على العلماء دون غيرهم، وقولك: إنما يخشى العلماءَ من عباده الله، قراءة: ما يخشى العلماء من عباده إلا الله، فتم انحصار خشية الله دون غيره.

قال الشيخ عبد القاهر رحمه الله: لما كان الغرض من الخشية الخاصة والإعلام بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم قدّم اسم «الله» على «العلماء»، ولو أخّر منه لصار المعنى على ضد ما عليه وهو: أنّ الغرض بيان المخشيّ والإعلام بأنه تعالى دون غيره، وهذا المعنى الأخير وإن كان قد جاء في التنزيل قال تعالى: ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ [الأحزاب: ٣٩] لكن ليس

(١) ...
(٢) أخرجه الدارمي ...

إلا الله، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وهما معنيان مختلفان. فإن قلت: ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله؟ قلت: لما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى: ألم تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وعدّد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدل به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه. وعن النبي ﷺ: «أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به».

هذا الغرض فاسد، ولا اللفظ يحتمل له البتة، ومن أجاز حملها عليه كأنه قد أبطل فائدة التقديم وسوّى بين الكلامين، فإذن يلزم أن يسوّي بين قولنا: ما ضربت عمرًا إلا زيدًا وما ضربت زيدًا إلا عمرًا، وذلك مما لا شبهة في فساده»[1].

وقلت: قوله: «الكلام ليس هو الغرض فاسد»، معناه: أن مقتضى المقام يوجب بيان الخاشين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم ليكون تعريضًا بالمشركين المصرّين على العناد والكفر، وأنهم جهلاء بالله وبصفاته، ولذلك لا يخشون الله ولا يخافون عقابه، ولو قلت: ما يخشى أحدٌ من عباده إلا العلماء لم يكن من التعريض في شيء، والمقام مقتضيه. أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] فكلام في تبليغ الرسالة وعدم تقيّه به صلوات الله عليه بعد التصريح بقوله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فحقّ التقديم له.

قوله: «أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به»: روينا عن البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئًا فرخّص فيه فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله تعالى، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[2].

---

(١) انظر: «دلائل الإعجاز» ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ)، وهو عمر بن عبد العزيز، ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يُجِلُّهم ويعظمهم كما يُجَلُّ المهيبُ المخشيُّ من الرجال بين الناس ومن بين جميع عباده. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية، لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم، والمعاقِبُ المثيبُ حقُّه أن يُخشى.

قوله: (فما وجه قراءة)، الفاء تدل على إنكار قراءته، أي: لا بد من ذلك، أي: من تقديم المفعول، أي: إذا كان الواجب ذلك لصحة المعنى فما وجه هذه القراءة؟

قوله: (كما يُجَلُّ المهيب)، «ما» مصدرية، أي: إنما يجلهم إجلالاً مثل إجلال المهيب المخشي من الرجال. هذا بيان وجه الاستعارة، وذلك أن الاستعارة مسبوقة بالتشبيه، شبه حالة معاملة الله تعالى مع العلماء في تعظيمه إياهم وإجلاله لهم بمعاملة من يُجِلُّ ويخشى السلطان[1] ومن هو بصدده خشية سطوته وهيبته، فأدخل المشبه في جنس المشبه به، واستعمل فيما يستعمل في المشبه به دالاً عليه بقرينة ما هو منزه عن ذلك ويتعالى عنه من الخشية، وهي الاستعارة التبعية الواقعة على طريق التمثيل[2].

قوله: (المعاقب المثيب حقه أن يخشى)، فإن قلت: المثيب كيف يخشى؟ والوصف بالغفران هو عين المرجاة لا المخوف؟

قلت: جوابه ما ذكر في «الفرقان» في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]: أنه جاء على القدرة التامة؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، ويمكن أن يقال: إن حالتي معاملات العبيد إما أن تكون نقمة أو إمهالاً، فدل العزيز على الأول، والغفور على الثاني، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالعالم خائف [illegible] لأنها قد تكون استدراجاً [illegible] لأنه لا يأمن فيها مكر الله.

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

[﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ٢٩ - ٣٠]

﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته، وهم سالِّهم والسامعين، وعن مُطرِّف رحمه الله: هي آية القرّاء، وعن الكلبي: يأخذون بما فيه، وقيل: يعلمون ما فيه ويعملون به، وعن السُّدّي: هم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وعن عطاء: هم المؤمنون. ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والتجارة: طلبُ الثواب بالطاعة. و﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلِّق بـ﴿لَنْ تَبُورَ﴾، أي: تجارة ينتفي عنها الكسادُ وتَنْفُقُ عند الله ليوفِّيَهم بنفاقها

قوله: (﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون [على] تلاوته) يعني: دلَّ عطفُ الماضي - أي قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا﴾ - على المضارع على أن المراد به الاستمرارُ والمداومة والتحقُّق فيه، ويساعده مقامُ المدح نحو: فلانٌ يَقْري الضيفَ ويحمي الحريم.

قوله: (عن[1] مُطرِّف) قال صاحبُ «الجامع»[2]: وهو أبو عبد الله مُطرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري البصري، روى عن أبي ذرٍّ وعثمان بن أبي العاص، مات سنة سبع وتسعين.

قوله: (يعلمون ما فيه ويعملون به) يريد: أوجب عطفُ قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا﴾ على ﴿يَتْلُونَ﴾ أن تُفسَّر التلاوة بالعمل بما فيه؛ لأن التلاوة إذا لم تكن مجردةً إنما [...] بالعمل، [...] إلا [...] معه العمل.

قوله: (﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلِّق بـ﴿لَنْ تَبُورَ﴾، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد) وقوله: ينتفي عنها الكسادة تفسيرٌ لقوله: ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ لا المطابقة؛ لأن أصل البوار الهلاك، قال في «الأساس»: ومن المجاز: بارت البياعاتُ: كسدت، وقوله: (وتَنْفُقُ عند الله) تفسيرٌ

---

(١) [...] «الأصول» [...] (٢/٨)
(٢) «جامع الأصول» (١٢/٤٠٠)

سبب ﴿أُجُورَهُمْ﴾: وهي ما استحقوه من الثواب، ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ من التفضل على المستحق.

وإن شئت جعلت ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال على: وأنفقوا راجين ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي: فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض، وخبر ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ على معنى: غفور لهم شكور لأعمالهم.

التفسير فكونه ثانية؛ لأن ﴿لَّن تَبُورَ﴾ لازم لمعنى الكساد وهو لازم كونها نافقة، كأنه قيل: يرجون تجارة نافقة عند الله مربحة ﴿لِيُوَفِّيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ﴾، [illegible] هذه الكناية ترشيح للاستعارة.

قوله: (وإن شئت جعلت ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال)، فعلى هذا ﴿لِيُوَفِّيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ﴾ يتعلق بالتلاوة وأقاموا الصلاة والإنفاق، ولهذا قال: «فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض»، وهو التوفية، وإنما خص المصنف ﴿يَرْجُونَ﴾ بقوله: ﴿وَأَنفَقُوا﴾ دون ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿وَأَقَامُوا﴾؛ لئلا يمتنع على معمول واحد عاملان، ولأن ما يتعلق الفعل من القيد يتعلق بالآخر على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

ويمكن أن يعلق بمحذوف على معنى: فعلوا جميع ذلك [illegible] لهذا الغرض، وهو الظاهر. قال أبو البقاء: ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ يتعلق بـ﴿يَرْجُونَ﴾، وهي لام الصيرورة[1].

وقلت: تأويله: أن غرضهم فيما فعلوا لم يكن سوى تجارة غير كاسدة؛ لأن صلة الموصول هنا علة والإشارة تحقق الخبر، إنما أتى بذلك إلى أن [illegible] الله أجورهم أي: باللام، وإنما لم يعلق إنه المصنف؛ لأن هذه اللام لا [illegible] إلا في أمر يرتب الثاني على الأول، ولا يكون مطلوبا به كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن (٢/ [illegible]).

والشكر مجاز عن الإثابة.

[﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [٣١]

﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، و﴿مِنَ﴾ للتبيين، أو الجنس، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة؛ لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق. ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما تقدمه من الكتب. ﴿لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعني: أنه خبرك وأبصر أحوالك، فرآك أهلًا لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيارٌ على سائر الكتب.

[﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [٣٢-٣٥]

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما

قوله: (والشكر مجازٌ عن الإثابة)، النهاية: في أسماء الله: الشكور، وهو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم، والشكور من أبنية المبالغة.

قوله: (عيارٌ على سائر الكتب)، أي: معيارٌ لسائر الكتب، به يقاس صحيحه من غيره.

المغرب: عايرتُ المكاييل والموازين إذا قايستُها، والعيار: الذي يقاس به غيره ويسوى(١).

قوله: (ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؟) يعني: الظاهر أن قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ عطف

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ٩٢).

إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك، أي: حكمنا بتوريثه، أو قال: أورثناه، وهو يريد نورثه، لما عليه أخبار الله. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمته من

عن ﴿أَوْحَيْنَا﴾، و﴿ثُمَّ﴾ يقتضي التراخي في الزمان، فإن قيل: لم ورثه بعدك المصطفين، وما معنى مجيء ﴿أَوْرَثْنَا﴾ ماضيًا؟

والجواب من وجهين:

أحدهما أن المراد: ثم حكمنا بعدك بتوريثه، أو وضع الماضي موضع المستقبل تنزيلًا لما هو الكائن منزلة الكائن.

وثانيهما أن هذه الآية متصلة بما سبق من قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وهو المراد من قوله: إنه قدم إرساله في كل أمة رسولًا، أي: قدم الله على إرساله صلوات الله عليه إرسال الرسل في كل أمة، وعقبه بما يبين أن تلك الأمم تفرقت حزبين: حزب كذبوا الرسل وما أنزل معهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، وحزب صدقوهم وآمنوا وتلوا كتاب الله وعملوا بمقتضاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا﴾، وعلى هذا الوجه يكون ﴿أَوْرَثْنَا﴾ ماضيًا يجري على ظاهره، والذي يدل على هذا التقسيم قول المصنف: أثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم.

ثم فرع من ذلك ما هو مختص برسول الله ﷺ من قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية مستطردًا معترضًا، ثم أخبر بعد ذلك بإرثه هذا الكتاب الكريم بهذه الأمة بعد إعطاء تلك الأمم الزبر والكتاب المنير، فيكون ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الإخبار، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: من بعد أولئك المذكورين، ويمكن أن يحمل ﴿ثُمَّ﴾ على التراخي في الرتبة أيضًا إيذانًا بفضل هذا الكتاب على سائر الكتب، وفضل هذه الأمة على سائر الأمم(1).

---

(1) قوله: «وفضل هذه الأمة على سائر الأمم» سقط من (ط) و(ن).

الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأنّ الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمّة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس، واختصّهم بكونهم أمة الأنبياء إلى أفضل رُسل الله، وبحمل الكتاب الذي هو أفضل كُتب الله، ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مُجرم، وهو المرجأ لأمر الله، ومقتصد، وهو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيّئًا، وسابق من السابقين. والوجه الثاني: أنه قدّم إرساله في كل أمة رسولًا، وأنهم كذّبوا رسلهم، وقد جاؤوهم بالبينات والزُّبُر والكتاب المنير، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذّبين بها من سائر الأمم، واعترض بقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: من بعد أولئك المذكورين، والمراد بالمصطفَين من عباده أهل الملّة الحنيفية. فإن قلت: فكيف جُعلت ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾؟

قوله: (ظالم لنفسه مجرم)، الراغب: ظلمُ النفس في الحقيقة هو النقص في تهذيبها وسياستها المذكورة في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]، وذلك أنّ كل إنسان سائسُ نفسه، فمتى لم يوفّ حقّ السياسة فقد ظلمها ظلمَ الوالي رعيّته، وبحسب ما أُعطي القوة ومُكّن من الطريق إلى الدرجات الرفيعة ثم ضيّع نفسه بأدنى مرتبة(١).

قوله: (المرجأ لأمر الله)، النهاية: الإرجاء: التأخير، مهموز.

وفي حديث توبة كعب بن مالك: "وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا"(٢)، أي: أخّره. وقال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، أي: مؤخّرون حتى يُنزل الله فيهم ما يُريد.

قوله: (فكيف جعلت ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾؟)، يعني: لما ثبت

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[1]، وهو عبارة عن السبق بالخيرات، فيلزم أن يكون ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من السبق بالخيرات، وليس بينهما مناسبة ظاهر الشكل فيه.

وتلخيص الجواب: أن السبق بالخيرات لما كان سببًا لنيل الثواب جُعل على نحو الثواب إقامة للسبب مقام المسبب أو أنيل منه، والزمخشري هنا بعيدٌ عن الذوق، متعسِّفٌ جدًّا، وما دعاه إليه إلا تصحيح مذهبه، ويجيء عند أهل السنة تخصيص المشار إليه بقوله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ما ضمن من معنى الإيراث، كما في «الوسيط»[2]، وجعل ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ جملة مستأنفة.

قال محيي السنة: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني: إيراثهم الكتاب، ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ يعني: الأصناف الثلاثة[3].

وقال أبو البقاء: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ، والخبر ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾[4]، ويؤيده قراءة الجحدري: «جناتِ عدنٍ»[5] بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي: يدخلون جنات عدن يدخلونها، فتخلص بهذا التأويل من هذا التعسف، ويسلم النظم من الفكاك، وهذا أولى مما ذهب إليه بوجوه:

أقطعها: أن سنة الله جارية في هذا الكتاب المجيد أن يقابل ذكر المؤمنين بذكر أضدادهم، ويقارن ذكر الجنة بذكر النار.

ولما ذكر الأصناف الثلاثة وما إليه مصيرهم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وختم بها إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ قابله بذكر الكافرين وما

(١) من حاشية الطيبي إلى هنا سقط من (ح) و(ف).
(٢) ينظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٠٥).
(٣) «تفسير البغوي» (٦/ ٤٢٥).
(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٧٤).
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ١٤٥).

أنه خصّصهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، فلم يجعل بعض أولئك من أهل النار لظلم النفس، والقاطع لعذر رسول الله ﷺ على ما رواه الترمذي(1) عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة».

وثانيها: أن قولهم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لا يستتب إلا إذا حُمل الشكور مقولاً للسابق باعتبار، والغفور للظالم والمقتصد، والصحيح أنه التفات إلى لفظ الشكور وقال: دلّ الشكور على أن القوم كثير الحسنات وغافلون عن لفظ الغفور، وإنه دلّ على أن القوم كثيرة السيئات، وعلى قول ابن عباس: «الغفور لظالمهم من ذنوبهم، والشكور للسابق من عاملي أعمالهم».

وما روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ بعد ما ذكر بعض الفريقين قال: «وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾»(2)، وفي «المعالم»(3) نحوه.

وثالثها: وهو الذي يستقيم أن يمدح الله قوماً في أول كلامه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وقد قال المصنّف: «وهم أمّة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمة وسطاً شهداء على الناس، واختصّهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله، وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله، ثم قسّمهم إلى ظالم لنفسه» إلى آخر ما قال، فهيهات ثم رجع إلى آخر الكلام وجعل أكثرهم من الذين يخلدون في النار؟! قال صاحب «الانتصاف»: قد شدّدت المقالة

---

(1) أخرجه الترمذي (٣٢٢٥)، وأحمد [illegible].

(2) أخرجه أحمد (٥/١٩٤).

(3) معالم التنزيل (٦/٤٢١).

الذي هو السَّبْقُ بالخيرات المشارُ إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾؟ قلتُ: لمَّا كان السببَ في نيل الثواب، نُزِّل منزلة المسبَّب، كأنه هو الثواب، فأُبدلَتْ عنه ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر، فليحذر المقتصد، وليهلك الظالم لنفسه حذرًا، وعليهما بالتوبة النَّصوح المُخلِّصة من عذاب الله، ولا يغترَّا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمُنا مغفور له»؛ فإنَّ شرط ذلك صحة التوبة؛ لقوله

ذلك المصطفَيْن من عباد الله، ثم قسَّمهم إلى الظالم والمقتصد والسابق، فلزم اندراجُ الظالم الموحِّد في المصطفَيْن وأنه منهم، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، فما قال الزمخشري غلطٌ في التسوية بين الموحِّد المصطفى وبين الكافر المفرِّق، وقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ عائدٌ إلى المصطفَيْن عمومًا، وإعرابُها مبتدأ، و﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبره، وقوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ إلى آخر الآية خبرٌ بعد خبر[1].

قوله: (فليحذر) أي: فليحذر حذرًا، أيْ: حذرًا، وليهلك من جهة الحذر، أو لأجله، أو حال كونه حذرًا.

قوله: (وعليهما بالتوبة النصوح) من نصحتهم هو من قولهم: نصحت الإبل الشُّرب تنصَحُ نُصوحًا، أي: صدقَتْها، وأنصحتُها أنا: أرويتُها، ومنه التوبة النصوح، وهي الصادقة.

قوله: (سابقنا سابق) الحديث رواه البيهقي في «البعث والنشور»[2]، ومعنى «سابقنا سابق» أي: من زادت حسناته على سيئاته فهو الذي يدخل الجنة بغير حساب، و«مقتصدنا ناجٍ» أي: من استوت حسناته وسيئاته فهو يحاسب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة، و«ظالمنا مغفور له» أي: من أوبق نفسه بالذنوب فهو إما أن تدركه الشفاعة، أو يغفر الله تعالى له بفضله، أو يُعذِّبه بقدر ذنبه ثم يخرجه ويدخله الجنة. وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديثًا مرفوعًا مثله معنًى.

---

(١) «الانتصاف» بحاشية «الكشاف» (٣/ ٦١٢).

(٢) برقم (٦١).

تعالى: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقوله: ﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٦]، ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر، ولم يعلل نفسه بالخدع. وقرئ: (سبّاق). ومعنى: ﴿بإذن الله﴾: بتيسيره وتوفيقه.

فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل. وقرئ: (جنة عدن) على الإفراد، كأنها جنة مختصة بالسابقين، و(جنات عدن) بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي: يدخلون جنات عدن يدخلونها، و(يُدخَلونها) على البناء للمفعول، و(يُحلَّون) من حليت المرأة فهي حالٍ. ﴿ولؤلؤا﴾ معطوفاً على محل ﴿من أساور﴾، و﴿من﴾ داخلة للتبعيض، أي: يحلون بعض أساور من ذهب، كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض، كما سبق المسوَّرون به غيرهم. وقيل: إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ. و(ولولؤا) بتخفيف الهمزة الأولى. وقرئ: (الحَزَن)، والمراد: حزن المتقين، وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة، كقوله تعالى: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور: ٢٦-٢٧]. وعن ابن عباس

قوله: (كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض) أي: في ذكر التبعيض الدلالة على فضلها وتفوقها على سائر الأبعاض كما سبق المسوَّرون به غيرهم بهذا التحلي من الأساور، ونحوه قوله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [الزخرف: ٣٢] وأريد به محمد صلوات الله عليه، والإبهام [illegible].

قوله: (ولولؤا)[1] بتخفيف الهمزة الأولى، وفي «التيسير»[2]: قرأ أبو بكر وأبو عمرو إذا خففت الهمزة الأولى من (لؤلؤا)، وحمزة إذا وقف سهّل الهمزتين على أصله، وهشام سهّل الثانية منه في الوقف على أصله، والباقون بتحقيقهن.

---

(١) انظر: [illegible]
(٢) «التيسير في القراءات السبع» [illegible]

رضي الله عنهما: حَزَنُ الأعراض والآفات، وعنه: حَزَنُ الموت، وعن الضحاك: حَزَنُ إبليس ووسوسته، وقيل: همُّ المعاش، وقيل: حَزَنُ زوال النِّعم، وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار، ومعناه: أنه يعم كلَّ حَزَنٍ من أحزان الدِّين والدنيا حتى هذا. وعن رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾». وذكر الشَّكور دليلٌ على أنَّ القوم كثيرو الحسنات. ﴿الْمُقَامَةِ﴾: بمعنى الإقامة، يقال: أقمتُ إقامة ومقامًا ومقامة. ﴿مِن فَضْلِهِ﴾: من عطائه وإفضاله، من قولهم: لفلانٍ فُضولٌ على قومه وفواضل، وليس من الفضل الذي هو التفضُّل؛ لأنَّ الثواب بمنزلة الأجر المستحَقّ.

قوله: (يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾): الحديث ما وجدته في الأصول[1] غير أنه غير مواطئ لظاهر الآية؛ لأنَّ السابق جنات عدن يدخلونها، واللاحق الذي أحلنا دار المقامة صريح في أنَّ مثل هذا القول عند دخولهم في الجنة.

قوله: (﴿الْمُقَامَةِ﴾ بمعنى الإقامة): عن بعضهم: دار المقامة مفعولٌ ثانٍ لـ﴿أَحَلَّنَا﴾، وليست ظرفًا؛ لأنها محدودة، ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ حالٌ من المفعول الأول.

قوله: (﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من عطائه وإفضاله): الإفضال: الإحسان، أفضل عليه وتفضَّل بمعنى، والفضل منه فضلة.

قوله: (وليس من الفضل الذي هو التفضُّل): وعند أهل السنة من تفضُّله وكرمه. قال الزجاج[2] والواحدي[3]: وذلك بتفضله لا بأعمالنا. وفي «المطلع»: لا استحقاقًا؛ لأنَّ العمل

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (ص ٩٢) والطبراني في «الدعاء» (ص ٣٦ [illegible])، وفي «المعجم الأوسط» (٩٤٤٥) عن ابن عمر.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٠).

(٣) «التفسير البسيط» (١٨/ [illegible]).

والتفضُّل كالشكر. وقُرئ: (لَغوب) بالفتح، وهو اسم ما يُلغِب منه، أي: لا نتكلّف عملاً يُلغبنا، أو مصدر كالقَبول والوَلوع، أو صفة للمصدر، كأنه لُغوبٌ لَغوب، كقولك: موتٌ مائت. فإن قلتَ: ما الفرق بين النَّصَب واللُّغوب؟ قلتُ: النَّصَب: التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له، وأما اللُّغوب: فما يلحقه من الفتور بسبب النَّصَب، فالنَّصَب: نفس المشقة والكُلفة، واللُّغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة.

معناه رزق، وثواب الجنة دائم لا يزول، ولعل المصنف لما خطر قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ إلى آخره بالسياق دون النظام والتفصيل ذهب إلى هذا المعنى.

قوله: (وقُرئ: "لَغوب" بالفتح)، قال ابن جني[1]: وهي قراءة علي رضي الله عنه والسلمي، وفيه وجهان: إن شئت حملته على ما جاء من المصادر على الفعول، نحو: الوضوء والوَلوع والوَقود، وإن شئت حملته صفة لمصدر محذوف، أي: لا يمسنا فيها لغوبٌ لغوب، على قولهم: شعرٌ شاعر، وموتٌ مائت، كأنه وصف اللغوب بأنه قد لغب، أي: أعيا وتعب.

ونحوه قولهم: جُنَّ جنونه، وخرجت خوارجه، وعلى هذا حمل أبو بكر قولهم: مرضات [illegible]، أي: [illegible].

وحكى أبو زيد: رجلٌ سَاكوتٌ بيّن السَّاكوتة، فلما قرأت هذا على أبي علي حمله على قياس قول أبي بكر، فقال: تقديره: بيّن السكتة الساكوتة، فجعل الساكوتة صفة مصدر محذوف، وحسُن ذلك عنده أنه من لفظه.

قوله: (واللُّغوب نتيجته)، أجاب عن السؤال، وزبدة الأسلوب أنه من أي قبيل هو، وأن [illegible] ﴿[illegible]﴾.

أما الأسلوب: فهو من باب قوله:

لا ترى الضبَّ بها ينجحر

---

(1) المحتسب (2/ 201).

[﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٦-٣٧)]

﴿فَيَمُوتُوا﴾ جوابُ النفي، ونصبُه بإضمار «أن». وقُرئ: (فيموتون) عطفاً على ﴿يُقْضَى﴾ وإدخالاً له في حُكم النفي؛ أي: لا يُقضى عليهم الموتُ فلا يموتون؛ كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الجزاء (نُجزي) وقُرئ: (يُجازى) و﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ بالنون. ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يتصارخون، يفتعلون

وقوله:

على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره[1]

أي: لا ضبَّ ولا انجحار، ولا منار ولا اهتداء، ولا عشب ولا تعويض [illegible] النفس، وإنما [illegible] أمر [illegible] لا [illegible]، ويبلغ في [illegible] إلى [illegible] على [illegible] وهو التعويض.

والكثير: «المتن» للفرس، و«تعلو» [illegible] أو لا [illegible] القول الشاعر:

لم يمسها [illegible][2]

قوله: (﴿فَيَمُوتُوا﴾ جواب النفي) ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾ في محل فاعل ﴿يُخَفَّفُ﴾، و﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ في موضع نصب [illegible] المفعول.

قوله: (وقُرئ «يُجازى» و«يُجزى») و﴿نَجْزِي﴾[3] بالنون [illegible] (لا أنا نجزي) فإنه [illegible] الياء مضمومة وفتح الزاي[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) [illegible]

(٤) انظر: «معجم القراءات» ص ٣٤٢.

من الصُّراخ، وهو الصياح بجهد وشدة. قال:

كَصَرْخَةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا

واستُعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته.

فإن قلت: هلا اكتفي بـ ﴿صَٰلِحًا﴾ كما اكتفي به في قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢]؟ وما فائدة زيادة ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ على أنه يوهم أنهم يعملون صالحًا آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلتُ: فائدته زيادة التحسّر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به، وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فقالوا: أخرجنا نعمل صالحًا غير

قوله: (كصرخة حبلى)، أوله:

فصدّت إلى حِشيٍ لأحداج خلفها	وقد حار من تلك الديار رحيلها
فأنّت كما أنّ الأسير وصرّحت	كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

أسلمتها: خذلتها، من قولهم: أسلمه، أي: خذله. والقبيل: القابلة، وإنما قال: حبلى من إيذاء الحمل ثقيل.

قوله: (ولأنهم كانوا يحسبون)، تسليمٌ للاعتراض بعد الاعتذار عنه، أي: يجوز أيضًا أنهم يعملون صالحًا آخر بناءً على زعمهم؛ لأنهم كانوا يحسبون صنعًا، فعلى الأول: الصفة مؤكدة، وعلى الثاني: مميزة.

قال أبو البقاء: ﴿صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى﴾ يجوز أن يكون صفتين لمصدر محذوف، أو لمفعول محذوف، ويجوز أن يكون ﴿صَٰلِحًا﴾ نعتًا للمصدر، و﴿غَيْرَ ٱلَّذِى﴾ مفعول(١).

---

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٧٦).

الذي كنا نحسبه صالحًا فنعمله. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ من الله، يعني: فنقول لهم. وقرئ: (ما يذَّكَّر فيه من اذَّكَّر) على الإدغام، وهو متناول لكل عمر تمكّن فيه المكلّف من إصلاح شأنه وإن قصُر، إلا أنّ التوبيخ في المتطاول أعظم. وعن النبيّ ﷺ: «العُمرُ الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة». وعن مجاهد: ما بين العشرين إلى الستين. وقيل: ثماني عشرة وسبع عشرة. و﴿النَّذِيرُ﴾: الرسول. وقيل: الشيب. وقرئ: (وجاءتكم النُّذُر). فإن قلت: علام عطف ﴿وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ﴾؟ قلت: على معنى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ لأنّ لفظه لفظ استخبار، ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد

قوله: (﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ من الله، يعني: فنقول لهم) أي: يقول الله لهم بالله توبيخًا. قال الزجاج: معناه: أولم نعمّركم العمر الذي يتذكّر فيه من تذكّر[1].

وقال ابن الحاجب[2]: ﴿مَّا﴾ لا يستقيم أن تكون نافية من حيث اللفظ ومن حيث المعنى. وأما اللفظ فلأنه يجب قطعها عن ﴿نُعَمِّرْكُم﴾؛ لأنه لا يجوز أن يكون النفي من معموله، وأيضًا فإن الضمير في ﴿فِيهِ﴾ يرجع إلى غير مذكور. وأما المعنى فلأن قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ إنما سيق لإثبات التعمير وتوبيخهم على تركهم التذكّر فيه، فإن جُعل نفيًا كان فيه إخبار عن نفي تذكّر متذكّر فيه قطعًا، وعلى ذلك نفي التعمير؛ لأنه إذا كان زمانًا لا يتذكّر فيه متذكّر لزم أن لا يكون تعميرًا، وهو خلاف قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾.

قوله: (العمر الذي أعذر الله فيه) الحديث من رواية البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخّر أجله حتى بلغ ستين سنة»[3].

النهاية: أي: لم يبق فيه موضعًا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر. يقال: أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٦٦).
(٢) في «الأمالي» [illegible].
(٣) سبق تخريجه.

فظهر بحالكم وحالكم الظاهر.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [٣٨]

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كالتعليل؛ لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون، فقد علم كل غيب في العالم. وذات الصدور: مضمراتها، وهي تأنيث «ذو» في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه: ذو بطن ابنة خارجة[1] جارية، وقوله:

لتغني عني ذا إنائك أجمعا

قوله: (ذو بطن [بنت] خارجة)، قيل: خارجة: جارية امرأة من [illegible] ولذلك [illegible] من قبائل العرب، أي: جنينها جارية.

المغرب: ذو بطن بنت خارجة جارية، أي: جنينها، والبنت الداخلة [illegible] بطنها.

قوله: (لتغني عني ذا إنائك أجمعا) أوله:

إذا قال قدني قلت بالله حلفة[2]

قدني: أي: حسبي، جملة «قلت» مفسرة للفعل المحذوف الذي يتعلق به الباء في «بالله»، واللام في «لتغني» للقسم، وأصله: «لتغنين» بالنون الخفيفة المؤكدة، فلما حذفت بقيت الياء مفتوحة على ما كانت عليه قبل الحذف لثبوت النون الخفيفة في النية.

«لتغني عني» أي: لتغنن عني ولتدفع جميع ما في إنائك، ولا تحوجني إلى غير شربك، والعرب تقول: أغن عني وجهك، أي: بعده، وإنما أضاف الإناء إلى المخاطب وليس الإناء له وإنما هو للمتكلم؛ لما بين المخاطب وبين الإناء نوع ملابسة. تقول: إن الضيف بالمضيف الكريم شوقه وبالغ في سقيه، فقال الضيف للمضيف وهو يسقيه ما في الإناء: حسبي ما شربته، فقال له الساقي: أقسم بالله لتشربن جميع ما في إنائك من اللبن. قال المصنف: فإن

---

(١) رواه مالك في الموطأ [illegible].

(٢) البيت لحريث بن عناب الطائي، انظر شرح الحماسة (٢/ ١١١).

المعنى: مما في بطونها من الحجاب، وهو ما في بالك من الشراب؛ لأن الحجاب والشراب يصحبان البطن والإناء. ألا ترى إلى قولهم: معها حبل؟ وكذلك الحسنات تصحب الصدور، وهي معها، وهو موضوع لمعنى الصحبة.

[﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ٣٩]

يقال للمستخلف: خليفة وخليف، فالخليفة يجمع خلائف، والخليف خلفاء. والمعنى: أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها، وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة. ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية، فوبال كفره راجع عليه، وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار، وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار. والمقت: أشد البغض، ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه: مقتي؛ لكونه ممقوتا في كل قلب، وهو خطاب للناس، وقيل: خطاب لمن بعث إليهم رسول الله ﷺ؛ أي: جعلكم أمة خلفت من قبلها، ورأت

بين مرافقة رجل ذو إناء وقولك التراب الخالف، وذلك أنك وصفت الرجل بأنه صاحب إناء وجالبه، وليس كالآخر لا إناء له، وأردت بذلك أنه في الإناء فأضفته كإضافتك الشراب إلى الإناء، أي: الشراب الذي ما في الإناء.

قوله: «خلفاءه في أرضه»، الراغب: استخلف فلان غيره: قام بالأمر إما بعده وإما معه، والخلافة: النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى الوجه الأخير استخلف الله تعالى عباده في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

وشرح قوله هذا المعنى نظم المصنف حيث قال: «وغمط مثل هذه النعمة السنية».

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٩٤.

وشاهدت فيهم ما ينبغي أن تعتبر به، فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة، كما أن ذلك حكم من قبلكم.

[﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ٤٠]

﴿أَرُونِي﴾ بدل من ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾؛ لأن معنى ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة، أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله، أم لهم مع الله شركة في خلق السماوات؟ أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب؟ أو يكون الضمير في ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾ للمشركين، كقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: ٣٥]، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ من قبله. ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ﴾ بعضهم وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ وهم الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾، وهو قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. وقرئ: (بينات).

قوله: (أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله)، إنما فسّر ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بهذا، وجعل «ماذا» استفهامية لينطبق على قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ثم على قوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾، لأن «أم» منقطعة متضمنة للهمزة، والمعنى على التدرج، كأنه قيل: أخبروني الذين تدعون من دون الله هل استبدوا بخلق شيء حتى يكونوا معبودين مثل الله، ثم ترقى منه إلى: ألهم شركة في الخلق؟ ثم نزل منه إلى: أم معهم بينة وحجة مكتوبة بالشركة؟ وإذا جعل الضمير في ﴿آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ للمشركين لا للأصنام، فيكون التدرج من العقل إلى النقل.

قوله: (وقرئ: «بينات»)[1]: نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي: بالجمع، والباقون بغير ألف على التوحيد.

(1) انظر: [illegible]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤١]

﴿أَن تَزُولَا﴾: كراهة أن تزولا، أو يمنعهما من أن تزولا؛ لأن الإمساك منع ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تُهدّا هدًّا لعظم كلمة الشرك، كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]، وقرئ: (ولو زالتا)، و﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جواب القسم في ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ سدَّ مسدَّ الجوابين، و﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدة لتأكيد النفي، والثانية للابتداء، و﴿مِّن بَعْدِهِ﴾: من بعد إمساكه. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام: من لقيت به؟ قال: كعبًا، قال: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إن السماوات على منكب ملك، قال: كذب كعب، أما ترك يهوديته بعدُ؟! ثم قرأ هذه الآية.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [٤٢-٤٤]

قوله: (غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما)[1]: قال الزجاج: سأل بعضهم: لمَ ذكر في هذا الموضع ذكر الحلم والمغفرة، والمقام يدل على القدرة؟ والجواب: أنه تعالى لما أمسك السماوات والأرض عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، حلم فلم يعجّل لهم العقوبة، وكان من حق السماوات والأرض أن تزولا من عظيم قولهم.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٤).

بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما بعث رسول الله ﷺ كذبوه. وفي ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ وجهان: أحدهما: من بعض الأمم، ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم. والثاني: من الأمة التي يقال لها: إحدى الأمم، تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة. ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إسناد مجازي؛ لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفوراً عن الحق وابتعاداً عنه، كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ بدل من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعول له على معنى: فما زادهم إلا أن نفروا استكباراً وعلواً في الأرض، أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين برسول الله ﷺ والمؤمنين. ويجوز أن يكون ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ معطوفاً على ﴿نُفُورًا﴾. فإن قلت: فما وجه قوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؟ قلت: أصله: وأن مكروا السيئ، أي: المكر السيئ، ثم: ومكراً

قوله: (من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم[1]) هذا كما يقال: واحد القوم وأوحد العصر، أي: أفضلهم.

الأساس: وهو واحد قومه وأوحد قومه، وهو واحد أمة، وفلان وحيد، واستوحد برأيه، ولو عند الله فلان[illegible]، وفي [illegible] يقول العرب للداهية العظيمة: هي إحدى الإحد، وإحدى من سبع، أي: إحدى ليالي عاد في الشدة.

قوله: (أصله: وأن مكروا السيئ أي: المكر السيئ) [illegible]: هو من إضافة الموصوف إلى الصفة تقديره: ومكروا المكر السيئ، ودليله قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فـ«المكر السيئ» انتصب على المصدر ثم أضيف إلى نعته اتساعاً كصلاة الأولى ومسجد الجامع[2]. وفي «التيسير»: نحوه إضافة الحق إلى اليقين، ووصفه بالسيئ لأنه [illegible]

---

(١) [illegible] الكشاف [illegible]
(٢) [illegible] ١٣٧٧.

السيئ» لما، ومكر السيئ، والدليل عليه قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ومعنى ﴿يَحِيقُ﴾: يحيط وينزل. وقرئ: (ولا يحيق المكر السيئ) أي: لا يحيق الله، ولقد حاق بهم يوم بدر. وعن النبي ﷺ: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكرًا، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ولا تبغوا ولا تعينوا باغيًا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]». وعن كعب أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: قرأت في التوراة: من حفر مغواة وقع فيها. قال: أنا وجدت ذلك في كتاب الله، وقرأ الآية. وفي أمثال العرب: من حفر لأخيه جبًّا وقع فيه منكبًّا. وقرأ حمزة: (ومكر السيئ) بإسكان الهمزة.

للغضب عن الحق، وقد يكون المكر حسنًا إذا كان احتيالًا للدفاع، ومنه قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

قوله: (مغواة) الجوهري: المغويات بفتح الواو مشددة: جمع المغواة، وهي حفرة كالزبية بالزاي المعجمة، يقال: من حفر مغواة وقع فيها. وفي «المستقصى»: يضرب في أن تعاقب صاحبه مكر المحتال به[1].

قوله: (وقرأ حمزة: «ومكر السيئ»[2] بإسكان الهمزة) في «التيسير»[3]: قرأها حمزة في الوصل لتوالي الحركات تخفيفًا، كما سكن أبو عمرو الهمزة في ﴿بَارِئِكُمْ﴾[4] [البقرة: ٥٤] للتثقيل، وقفه لدفعها ياء ساكنة، والباقون بخفضها في الوصل، وحمزة أيضًا بإسكانها في الوقف.

وفي «المطلع»: قال أبو جعفر النحاس: وقف عليه حمزة وهو وقف تام[5]، فظن الراوي أنه وصل بنية الوقف.

---

(١) «المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ص ٩٦، و«التيسير لاختلاف القراءات» (٤/ ٢٤٩).

(٣) «التيسير في القراءات السبع» ص ١٤٢.

(٤) انظر: «حجة القراءات» ص ٩٧.

(٥) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص ٤٤٤.

وقال الزجاج: وقرأ حمزة: (ومكرَ السَّيِّئْ) موقوفاً[1]، وهذا عند النحويين الحذاق لحن، وإنما يجوز في اضطرار الشعر، وأنشدوا:

إذا اعوججن قلتُ صاحبْ قوِّمِ

أي: يا صاحبي، والأصل: يا صاحبُ قوِّم، فكأنه سكّن مضطراً[2]، (وكان الضم بعد الكسر، والكسر بعد الكسر مستثقل)، وأنشدوا:

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ ... إثماً من الله ولا واغلِ[3]

وهذان البيتان قد أنشدهما جميع النحويين الحذاق، وزعموا كلهم أن هذا من الاضطرار، لا يجوز مثله في كتاب الله تعالى، وأنشدهما[4] ضبطاً صريحاً:

إذا اعوججن قلتُ صاحِ قوِّمِ

وهذا جيد بالغ، وأنشدنا:

فاليوم فاشربْ غير مستحقبٍ

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء: (إلى بارئْكم) [البقرة: ٥٤] فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاساً ولا يجزم، ورواية غير ضابط[5]، [illegible] سيبويه [illegible] باختلاس الكسر، وأنه يقال [illegible] الكسر[6].

---

(١) عبارة الزجاج: [illegible].
(٢) ليس [illegible].
(٣) [illegible] في الأصول الخطية، وفي معاني القرآن للزجاج [illegible].
(٤) [illegible] عن أبي عمرو رواية السكون في (بارئكم) من طرق [illegible] رواية السكون [illegible]
٢/٢١٢-٢١٤.
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه [illegible] ٤/٢٦٩-٢٧٠.

وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس فظنَّ سكونًا، أو وقف وقفة خفيفة، ثم ابتدأ ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾. وقرأ ابن مسعود: (ومكرًا سيئًا). ﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: إنزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الأمم قبلهم، وجعل استقبالهم لذلك انتظارًا له منهم، وبيّن أن عادته التي هي الانتقام من مكذّبي الرسل عادةٌ لا يبدّلها ولا يحوّلها، أي: لا يغيّرها، وأنّ ذلك مفعولٌ له لا محالة، واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم. ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾: ليسبقه ويفوته.

[﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ٤٥]

وقال أبو علي: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف كما حكى سيبويه من قوله: اللَّهُمْ... وقيل: يحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباء من (إبلٍ) [illegible] حركة الإعراب.

قوله: (ومكرًا سيئًا) قال ابن جني: يشهد لتنكيره تنكير ما قبله وهو ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، وقراءة الجماعة أقوى معنى لتعريفه، كأنه قال: المكر السيئ [illegible] في النفوس[1] [illegible] إلى الله تعالى أو [illegible].

قوله: (وجعل استقبالهم لذلك انتظارًا له منهم): اللام متعلق بـ(انتظارًا)، أي: أنهم لا [illegible] فهم يستقبلون إلا ما فعلنا بما مضى من الأمم الماضية من العذاب [illegible] فهل ينتظرون [illegible]؟

قوله: (أي: لا يغيّرها) معنى التبديل والتحويل. وقوله: (وأنّ ذلك مفعولٌ له) أي: لله تعالى [illegible] وتكريره [illegible].

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٢٠٠)، [illegible]

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: بما اقترفوا من معاصيهم ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: على ظهر الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾: من نسمة تدبُّ عليها، يريد بني آدم. وقيل: ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدوابّ بشُؤم ذُنوبهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كاد الجُعَل لَيُعذَّب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم تلا هذه الآية. وعن أنس: إنّ الضَّبَّ ليموت هزلًا في جُحره بذنب ابن آدم. وقيل: يحبس المطر فيهلك كلُّ شيء ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ

قوله: (﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: على ظهر الأرض)، قد جرى ذكرُ الأرض في ما قبل هذه الآية، يليها قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلذلك جاء ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾. قال مكي في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: العامل في (إذا) هو ﴿جَاءَ﴾؛ لأن (إذا) فيها معنى الجزاء، والأسماء التي يُجازى بها يعمل فيها ما بعدها، تقول: مَن أُكْرِمْ يُكْرِمْني، فأُكرِمْ هو العاملُ في (مَن) بلا خلاف، فأشبهتْ (إذا) حروف الشرط لما فيها من معناه فعمل فيها ما بعدها، وكان حقُّها أن لا يعمل فيها؛ لأنها مُضافةٌ إلى ما بعدها من الفعل، والمضافُ إليه لا يعمل في المضاف؛ لأنه من تمامه، وفيه خلاف. والحقُّ أن الموضع الذي يُجازى بها يمكنُ أن يعمل فيها الفعل الذي يليها، والموضع الذي لا يُجازى بها لا يمكنُ أن يعمل بها[1].

قوله: (إنّ الضبَّ ليموتُ هزلًا في جُحْره بذنب ابن آدم)[2]، النهاية: أي يُحبَس عنه المطر بشؤم ذنوبهم، وإنما خصّ الضبَّ لأنه أطول الحيوان نفسًا، وأصبرُها على الجوع. ويُروى: «الحُبارى»[3] بدل «الضب»؛ لأنها أبعد الطير نُجعة.

---

(١) مشكل إعراب القرآن (٢: ١٩٦).

(٢) بلفظ «خطايا» بدل «الضب» أخرجه الطبري في (جامع البيان) (١٩: ٤٧٣)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٩: ٣٦٠)، والحاكم في (المستدرك) (٢: ٤٧٣)، والطبراني في (المعجم الكبير) (٩: ٢٣٢)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (٦: ٤٢٢) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود.

وأخرجه الحارث في (مسنده) (٣٤: ١٦٤٢)، والبيهقي في (الشعب) أيضًا عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (٩: ٣٦٠) بلفظ: «إن الحبارى لتموت في وكرها هزلًا لظلم الظالم».

للسلو ﴿ إلى يوم القيامة ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ وعيد بالجزاء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت».

هزلت الدابة هزالاً ... [illegible] ... هزلت أي: ضعفت، والهزال ضد السمن.

تمت السورة بحمد الله

* * *

فهرس رؤوس الآيات المفسرة

الآية	الصفحة
سورة السجدة	
[illegible]	[illegible]
[٤]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
سورة الأحزاب	
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]